ف. إ. لينين

في الأدب والفن

عقدت

الجزء الثاني

نقله عن الروسية:

يوسف حلاوه

المكتبة التقدمية

ف. إ. لينين

في الأدب والفن

الجزء الثاني

نقله عن الروسية:
يوسف حلاق

منشورات وزارة الثقافة
دمشق — ١٩٧٣

العنوان الأصلي للكتاب :

V. I. LENIN

O LITERATOURÉ I ISKOUSTVÉ

في أ. م. غوركي

من مقال

« بـــدء المظاهرات »

أحيينا منذ أسبوعين في ســـاحة كازانسكايا [1] في بطرسبرج الذكرى الخامسة والعشرين لأول مظاهرة اجتماعية ثورية قامت في روسيا في السادس من كانون الأول عام ١٨٧٦ ، وأشرنا الى الصعود العظيم لحركة التظاهرات في اوائل العام الحالي . وقلنا إن على المتظاهرين ان يرفعوا شعاراً سياسياً اكثر تحديداً من شعار « الارض والحرية » (عام ١٨٧٦) ، ومطلباً أوسع من « الغـــاء القوانين الموقتة » (١٩٠١) . ويجب ان يكون هذا الشعار **الحرية السياسية** ، وأن يكون هذا المطلب الشعبي العام **دعوة المثلين الشعبيين** .

ونرى الآن أن المظاهرات تتجدد لأسباب مختلفة في نيجني وموسكو وخاركوف . الهيجان ينمو في كل مكان ، وضرورة توحيده في تيار واحد ضد **الحكم الاستبدادي** الذي ينشر الجور والاضطهاد والقهر في كل مكان تصبح اكثر إلحاحاً . وقد جرت في نيجني ، في السابع من تشرين الثاني ، مظاهرة صغيرة ، لكنها ناجحة ، بمناسبة توديع مكسيم غوركي . إن الحكومة الاستبدادية ، كما قال خطيب المظاهرة بحق ، تبعد كاتباً ، اشتهر على المستوى الأوربي ، من مسقط رأسه دون محاكمة ، كاتباً سلاحه الكلمة الحرة وحدها . وأردف الخطيب يقول باسم كل روسي فيه ولو ذرة واحدة من النزوع الى الحرية والنور : السفاحون يتهمونه بالتأثير السيء فينا ، ونحن نعلن أن تأثيره كان طيباً . أزلام القيصر يسيئون سراً ،

ونحن نعلن عن إساءاتهم جهاراً نهاراً . عندنا يُضرَب العمال المدافعون عن حقهم في حياة أفضل . ويُضرَب الطلاب الذين يحتجون ضد التعسف ، وعندنا تُسحق أية كلمة شريفة ! وانتهت المظاهرة ، التي شارك فيها العمال ايضاً ، بإعلان مهيب من أحد الطلاب : « سيسقط الظلم ، وسينهض الشعب قادراً ، حراً ، قوياً ! ».

وكان مئات من الطلاب ينتظرون غوركي في محطة موسكو . إلا أن الشرطة المذعورة أوقفته في منتصف الطريق في مقصورته ، ومنعته من دخول موسكو (على الرغم من السماح الخاص الذي أُعطي له) ، واجبرته على تغيير خط سيره الى كورسك . وهكذا لم تنجح هذه المظاهرة التي نظمت بمناسبة إبعاد غوركي، إلا انه جرت في الثامن عشر من الشهر نفسه مظاهرة صغيرة دون أي إعداد سابق ، قام بها طلاب « وأشخاص غريبون » (كما يعبّر وزراؤنا عادة) أمام منزل الجنرال حاكم موسكو ، لمنعه إقامة أمسية في ذكرى ن. أ دوبرالوبوف الذي مضى في السابع عشر من تشرين الثاني أربعون عاماً على وفاته . وتعالى صفير الاستهجان موجهاً لممثل السلطة الاستبدادية في موسكو من أناسٍ يعزّ عليهم ، كما يعزّ على روسيا المتعلمة والمفكرة ، كاتب بغض الظلم بقوة ، كاتب كان ينتظر بلهفة انتفاضة الشعب ضد «الأتراك الداخليين» ـ ضد حكومة الاستبداد[٢].

طبع في ٢٠ / ١٢ / ١٩٠١
ج ٥ ص ٣٦٩ ـ ٣٧٠

من رسالة الى

م. أ. أوليانوفا

٧ / ٦ / ١٩٠٢

... استلمت كتب غوركي وسكيتاليتس ، وقرأتها باهتمام عظيم جداً . قرأتها واعطيتها للآخرين كي يقرؤوها .

لندن

ج ، ٥٥ ص ، ٢٢٣

من رسالة الى

أ. أ. بوغدانوف

من لينين شخصياً الى سيسويكا

١٠ / ١ / ١٩٠٥

أيها الصديق العزيز ! وأخيراً أصدرنا « فبريود » . وبودّي أن اتحدث إليك بالتفصيل عنها ... المساعدة ضرورية جداً في الأشهر الأولى ، وإذا لم يتم إصدارها بشكل منتظم ، فإن موقف الأكثرية سيعاني من ضربة هائلة قد تكون قاتلة . لاتنس هذا ، وانتزع (خصوصاً من غوركي) شيئاً زهيداً على الأقل .. من وقت لآخر ..

جنيف

ج ٤٧ ، ص ٥ — ٦

من مقال

« قبل العاصفة »

... الحالة النفسية ، كما تشير الدلائل كلها، تتصاعد . والانفجار حتميّ ، وقـــد يكون قريباً . ولم تؤد اعـدامات كرونشتاد وسفيابورك ، والتنكيل بالفلاحين ، وملاحقة جماعات العمل ــ اعضاء الدومـا ــ إلا إلى تسعير الحقد ، وبذر الإصرار والاستعداد المركز في النفوس للمعركة . فمزيداً من الجرأة ، أيها الرفاق ، ومزيـداً من الإيمان بقوة الطبقات الثورية التي اغنتهـا التجربة الجديدة ، والبروليتاريا في طليعتها ، ومزيداً من المبادرة الذاتية المستقلة ! إننا نقف الآن ، كما تشير الدلائل كلها ، على عتبات نضال عظيم. وعلى القوى كلها أن تنصب لتجعل منـه نضالاً موحّد التوقيت ، مركزاً ومفعماً ببطولة الجماهير ؛ هـذه البطولة التي وسمت بطابعها كافة المراحل العظيمة للثورة الروسية العظيمة ؛ فليتطلع الليبراليون إلى المعركة المنتظرة بجبن ولتهديد الحكومة فقط، وليبذل هؤلاء التافهون المحدودو الأفق كل قوّة « عقلهم وقلبهم » انتظاراً لانتخابات جديدة، فالبروليتاريا تستعد للمعركة وتسير بنشاط وانسجام لملاقاة العاصفة ، وتندفـــع إلى قلب المعركة . يكفينا سيطرة الكاديت الجبناء ، هذه « البطاريق(*) الغبية » التي « تخفي جسمها السمين بين الصخور » .

« فلتهب العاصفة بقوّة أكبر »[٣] .

طبع في ٢١ / آب / ١٩٠٦
ج ١٣ ص ٣٣٧ ــ ٣٣٨

(*) نوع من الطيور .

ألى أ.م. غوركي

الأربعاء ١٤ / ٨ / ١٩٠٧

عزيزي ألكسي مكسيموفتش !

اليوم وصلنا إلى هنا مع ميشكوفسكي ، وسنذهب غداً إلى شتوتغارت. من المهم جداً جداً أن تكون أنت أيضاً هناك ، إذ قد سجلت هناك رسمياً من قبل اللجنة المركزية (بصفتك عضواً استشارياً) . هذا هو السبب الأول ، والسبب الثاني هو أنه سيكون أمراً حسناً جداً أن نلتقي ، وإلا فقد لا نلتقي لمدة طويلة، وثالثاً ، إن القضية لا تتعدى كونها سفراً مدته أربع وعشرون ساعة ، ولن يمتدّ أكثر من أسبوع (فهذه ليست لندن !) ، ولن يكون الوقت متأخراً أبداً إذا سافرت يوم الأحد أو الأثنين .

وبكلمة مختصرة ، الجميع يرحبون بمقدمك . وكل شي مسهلٌ أمامك : أرجوك المجيء إذا كنت معافى . لا تترك فرصة **ملاحظة عمل** الاشتراكيين الدوليين تفوتك . فهذا شيء آخر غير التعارف السطحي والحديث العابر . ثم إننا لن نستطيع بالمراسلة أن نتفهم أمورنا الصغيرة مالم نلتق . بكلمة مختصرة تعال حتماً . إلى اللقاء .

تحية جزيلة إلى ماريا فيدوروفنا [٤]

لينينك

الى أ . م غوركي

جنيف ٩ - ١ - ١٩٠٨

عزيزي أ . م .

وصلت الى هنا مع زوجي منذ أيام . وقد أصبنا بالزكام ونحن في الطريق. إننا نرتب أمورنا هنا كما يتيسر لنا ، ولذا فكل شيء سيء ، لأننا ، حتى الآن ، ننوي الاقامة المؤقتة هنا . سررت جداً برسالتك ، وفي الواقع من المهم أن نأتي الى كابري . وسأتحين الوقت المناسب ، حتماً ، لأذهب اليك . ولكن هذا غير ممكن الآن . لقد أتينا الى هنا لاصدار صحيفة ، أي نقل صحيفة البروليتاري من فنلندا . ولم يتقرر بعد نهائياً ما إذا كنا سنختار جنيف أو مدينة أخرى . على أي حال ، يجب الاسراع . وهموم اصدار الجريدة كثيرة . كم نتمنى أن نأتي اليكم في الصيف أو الربيع عندما تكون الأمور قد سارت كما يجب . ما هو أفضل وقت عندكم في كابري ؟ كيف صحتك ؟ كيف تشعر بنفسك ؟ هل تستطيع العمل جيداً ؟ سمعت ، عندما مررت ببرلين ، أنك قمت مع لوناتشارسكي بجولة في إيطاليا وفي روما [٥] على وجه الخصوص ، هل أنت راض عن ايطاليا ؟ وهل ترى كثيراً من الروس ؟

أعتقد أنه من الأفضل أن آتي اليك في وقت لا يكون فيه لديك أعمال كبيرة حتى نستطيع أن نتسكع ونتحدث معاً .

هل استلمت كتابي [٦] (الجزء الأول من مجموعة مقالات كتبتها خلال ١٢ عاماً) ؟ لقد أوصيت ان يرسل اليك من بطرسبرج .

تحية كبيرة جداً الى م فيودوروفنا . الى اللقاء .

لينين

ج ٤٧ ، ص ١١٩ - ١٢٠

من رسالة الى

أ . ف . لوناتشارسكي

١٣ - ١ - ١٩٠٨

... قيل لي إنك قمت مع غوركي بجولة رائعة ؟

اكتب اليّ عما تفعل . فنحن نعتمد عليك بكل تأكيد لمساعدتنا في « البروليتاري » وفي كتابة التقارير . أليس كذلك ؟

أين غوركي ؟ لقد كتبت اليه في كابري (فيلا بليزوف) فهل تصله رسالتي ؟ . .

جنيف

ج ٤٧ ص ١٢١

من رسالة الى غوركي

جنيف ٢ - ٨ - ١٩٠٨

. . والقضية الثانية اننا وصلنا الى هنا نحن الثلاثة (بوغدانوف وأنا وآخر « خبير » [٧]) مبعوثين من روسيا لإصدار « البروليتاري » . لقد رتبنا الأمور كلها ، وسنذيع إعلاناً بإصدارها خلال ايام . كما اخترناك مساعداً لنا . اكتب لنا بضع كلمات تخبرنا فيهـــا ما إذا كان بإمكانك أن تقدم شيئاً للأعداد الأولى (بروح ملاحظات حول البرجوازية الصغيرة [٨] التي صدرت في « نوفاياجيزن » أو مقاطع من القصة التي تكتبها الآن [٩] الخ ...)

أشد على يدك بقوة . تحية جزيلة الى م . ف .

لينين

ج ٤٧ ص ١٢٩ - ١٣١

من رسالة الى أ . م غوركي

... مشاريعك شيقة جيداً . كان بودي أن آتي اليك . إلا أنني لا أستطيع ترك العمل الحزبي الذي يجب تنظيمه بأقصى سرعة ، ولا شك أنك توافقني على ذلك . إن تنظيم عمل جديد أمر صعب ، وأنا لا أستطيع تركه الآن . وسيكون في مقدوري ، حين ننتهي من تنظيمه خلال شهر أو شهرين تقريباً ، أن انقطع عنه لأسبوع أو أسبوعين .

أوافقك ألف مرة على ضرورة النضال **المنظم** ضد الانحطاط السياسي والمروق والشكوى الدائمة الخ . ولا أظن أن بيننا خلافاً حول « المجتمع » و « الشباب » . ان أهمية المثقفين في حزبنا تتدنى : فمن كل مكان تصلني أخبار عن هروب المثقفين من الحزب . طريق هؤلاء الأوغاد الى هناك . والحزب يتطهر من هذا الوسخ البرجوازي الصغير ، فالعمال يأخذون القضية بأيديهم بشكل متزايد ، كما يتوطد دور العمال المهنيين . هذا كله رائع . وأنا على ثقة من أن « ركلاتك » يجب فهمها بهذا المعنى .

والآن كيف لنا أن نحدث تأثيراً ، « أي أدب يجب أن نكتب » بالضبط ؟ هل نصدر مجموعات **أو** « البروليتاري » ؟ سيكون من أسهل الأمور بالطبع ألا نرد **أو** ، بل **و** ، وسيكون الرد لاغبار عليه ، لكنه لن يكون عملياً إلا بدرجة قليلة . يجب أن تكون عندنا بالطبع مجموعات شرعية ، ويبذل رفاقنا الآن في بطرسبرغ جهداً كبيراً لإصدارها ، كما اني عملت في هذا المجال عندما كنت في كفاكالي بعد عودتي من لندن . ومن واجبنا أن نبذل كافة

جهودنا لنساعدهم ونستمرّ في إصدار هذه المجموعات ، إذا كان هذا ممكناً .

لكن تجربتي التي استقيتها من لندن حتى الشهر الحادي عشر من عام ١٩٠٧ (نصف عام !) أقنعتني أنه من المتعذر الآن إنشاء أدب شرعي منتظم . وأنا على قناعة بأن **ما يلزم الحزب** الآن هو إصدار صحيفة سياسية منتظمة تنطق بلسانه . تصدر ، وتناضل بقوة وثبات ضد الانحطاط واليأس . تلزمنا صحيفة حزبية ، صحيفة سياسية . كثير من الروس لا يصدقون الصحيفة الحزبية التي تصدر خارج البلاد ، وهذا خطأ ! لهذا ، ليس من قبيل الصدفة أننا قررنا نقل « البروليتاري » إلى هنا . سيكون من الصعب تنظيمها وإصدارها وإحياؤها ـ وهذا أمر لا شك فيه ـ لكنه أمر يجب أن نفعله وسنفعله .

ولماذا لاندرج فيها قسماً للنقد الأدبي ؟ المكان قليل ؟ أنا لا أعرف ؛ بالطبع ، طريقتك في العمل . من المؤسف أننا كنا أثناء لقاءاتنا نثرثر أكثر مما نتكلم في أمور جدية : فاذا كانت نفسك لا تميل الى المقالات الصغيرة الموجزة الدورية (الأسبوعية أو النصف شهرية) فاني لا أنصحك طبعاً بالانقطاع عنه ، لأن نفعه أكبر .

أما إذا كانت عندك الرغبة في العمل المشترك في صحيفة سياسية ، فلماذا لا تتابع النوع الذي بدأته في « ملاحظات حول البرجوازية الصغيرة » المنشورة في « نوفايا جيزن » ، وبدأته بشكل جيد وتجعل منه تقليداً . لقد كتبت لك بهذا الخصوص « عن قصد مسبق » في إحدى رسائلي الأولى ، وأنا أقول في نفسي : « إذا كان هذا يستهويه ، فسيتشبث بالفكرة » ، وقد تهيأ لي من رسالتك الأخيرة أنك تتمسك بها . أواني مخطىء ؟ . لكم سيفيد العمل الحزبي من صحيفة لن تكون ، كما في السابق ، ذات طابع واحد ، ولكم سيفيد العمل الأدبي ، بعد اتحاده الوثيق بالعمل الحزبي ، من تأثيره المستمرّ المنتظم في الحزب ! وذلك حتى

لا تكون هناك (مجرد غارات) ، بل ضغط متصلٌ على طول الخط دون توقف ودون ثغرات ، وحتى لا يهاجم الاشتراكيون الديمقراطيون البلشفيك بشكل جزئي مختلف انواع الاغنياء فقط ، بل حتى يستولوا على كل شيء كما استولى اليابانيون على منشوريا من الروس .

كم أتمنى لو ترسل إلى الصحيفة السياسية (البروليتاري) موضوعاً ونصفاً من الموضوعات الثلاثة (الفلسفة ، النقد الادبي ، تكتيك اللحظة الراهنة) التي تعدها للمجموعات . اي ان ترسل بتكتيك اللحظة الراهنة ونصف النقد الادبي . آه لا خير في مقالات أدبية نقدية ، خاصة وطويلة ، منثورة في مجلات مختلفة ، نصف حزبية وغير حزبية ! . من الافضل ان نحاول القيام بخطوة نبتعد بها عن عادة السادة المثقفين القديمة هذه ، أي بتعبير آخر أن نوثق صلة النقد الادبي بالعمل الحزبي وبقيادة الحزب . هكذا تفعل الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية الناضجة في اوربا . وهكذا يجب ان نفعل دون أن نخاف صعوبات الخطوات الاولى في العمل الصحفي المشترك .

اما الاعمال الادبية النقدية الكبيرة ، فانشرها كتباً ، او انشر بعضها في المجلات ، واما المقالات المنتظمة الدورية ، فانشرها في الصحيفة السياسية ، ولتكن على ارتباطٍ بالعمل الحزبي ،ومشبعة بروح ما بدأت به في (نوفايا جيزن) . قل لي ، هل لديك الرغبة في مثل هذا العمل ام لا ؟

والموضوع الثالث هو الفلسفة . انني ادرك عـــدم اهليتي التي تمنعني من الخوض في هذا المجـــال علناً . ولكني اقرأ بعناية ، بوصفي ماركسياً عادياً ، فلاسفتنا الحزبيين ، واقرأ بعناية بوغدانوف ، صاحب مذهب التجربية الاحادية والتجربيين الانتقاديين بازاروف ولوناتشارسكي وغيرهما . إنهم **يدفعونني** الى التعاطف **الكامل مـع بليخانوف** ! وعلى المرء ان يكون ذا قوة فيزيائية ، حتى لايترك المزاجية تستهويه كما يفعل بليخانوف ! ان تكتيكه ذروة في الابتذال

والدناءة . اما في الفلسفة فهو يدافع عن قضية عادلة . وانا مع المادية ضد التجريبية ـ الخ . . .

هل من الممكن وهل من الواجب ربط الفلسفة باتجاه العمل الحزبي ؟ بالبلشفية ؟ اعتقد ان من واجبنا ان لا نفعل ذلك الآن . فليعالج فلاسفتنا الحزبيون النظريات بعض الوقت وليتناقشوا .. **وليتفقوا** . واني احبذ حتى الآن فصل المناقشات الفلسفية ، كهذه التي تدور الآن بين الماديين (والتجريبيين) ، عن العمل الحزبي المتكامل .

سأنتظر جوابك . لقد آن الاوان لان انهي رسالتي .

لينينك

جنيف

ج ٤٧ ص ١٣٢ — ١٣٥

★ ★ ★

من رسالة الى

أ . ف. لوناتشارسكي

١٣ – ٢ – ١٩٠٨

عزيزي أ. ف !

البارحة بعثت اليك برسالة صغيرة بخصوص برينغمان . والآن أسرع لأجيبك على رسالتك المؤرخة في ١١ / ٢ .

لا أفهم تماماً ما كدّرك في رسالتي ؟ أليس بسبب الفلسفة ؟!

مشروعك بخصوص الباب الأدبي في البروليتاري والعهدة به الى الكسي مكسيموفتش رائع ، ويسرني سروراً غير عادي . كان حلمي بالضبط أن اجعل باب النقد والأدب في (البروليتاري) باباً دائماً ، وان أعهد به الى أ. م. لكنني كنت أخاف ، أخاف لدرجة فظيعة ، عرض هذا الأمر عليه بصراحة . فأنا لا أعرف طبيعة عمله (وميوله) . إذا كان الرجل مشغولاً بعمل جدي كبير وكان توزيع جهده على أشياء صغيرة ، كالصحيفة والأدب ، سيضرّ بهذا العمل ، فمن الغباء والجريمة أن نحوّله عن هذا العمل ونعيقه عنه . إني أفهم هذا الأمر جيداً وأشعر به .

وأنت في موقعك أبصر بالأمر ، ايها العزيز . حاول ترتيب الأمور ،

إذا كنت تعتقد أننا لن نلحق ضرراً بعمل أ. م. فيما لو أشركناه في العمل الحزبي المنتظم (وسيفيد العمل الحزبي حتماً من ذلك كثيراً !) ...

... أشد على يدك بقوة ، وأرجوك ان تخبرني إن كانت قضية مساهمة أ. م. في (البروليتاري) قد سويت . فليبدأ حالاً دون انتظار (للمؤتمر) وللاتفاق ، إذا كان جوابه إيجابياً [١٠] .

جنيف

ج ٤٧ ص ١٣٥ – ١٣٦

★ ★ ★

الى أ . م غوركي

١٩٠٨/٢/١٣

أعتقد أن ما اثرته من مسائل حول خلافاتنا ليس إلا سوء تفاهم . فأنا لم أفكر ، بالطبع ، في « طرد المثقفين » ، كما يفعل النقابيون الأغبياء ، أو أن أنكر ضرورتهم للحركة العمالية . ففي هذه المسائل كلها لا يمكن أن يكون بيننا خلاف . وأنا واثق من ذلك ثقة وطيدة . وبما انه لا يمكننا أن نلتقي الآن ، فمن الضروري أن نبدأ العمل معاً على الفور . ففي العمل سيكون اتفاقنا النهائي اسهل وافضل .

سرني جداً جداً مشروعك الخاص بكتابة اشياء صغيرة « للبروليتاري » (وقد ارسل لك الاعلان) ، ولكن بما ان لديك عملاً كبيراً فلا تنقطع عنه طبعاً .

كنت أريد أن أجيبك في المرة السابقة بخصوص تروتسكي ، لكني نسيت . فنحن (أي هيئة تحرير « البروليتاري » هنا أي أل. أل. وأنا « وآخر »(*)، وهو زميل ممتاز من البلاشفة الروس) قررنا فوراً دعوته للمساهمة في البروليتاري ، وحددنا له موضوعاً وعرضناه عليه ، ثم وقعنا الكتاب **بالاتفاق العام** « هيئة تحرير البروليتاري » ، رغبة منّا في طرح القضية على مستوى أكثر جماعية (فبيني شخصياً وبين تروتسكي على سبيل المثال ، معركة كبيرة ، وقد كان العراك بيننا على أشده في أعوام ١٩٠٣ — ١٩٠٥ عندما كان منشفياً) . ولست أدري ، إذا كان تروتسكي قد استاء من صياغة الدعوة بهذا الشكل . لكنه بعث

(*) هو إ. ف. دوبروفنسكي (هيئة التحرير) .

برسالة لم يكتبها هو نفسه . فقد اعلمت هيئة تحرير « البروليتاري » « بتفويض من الرفيق تروفسكي » أنه يرفض الكتابة لانشغاله .

إنها وقفة تصنّع على ما يبدو لي. وقد وقف في مؤتمر لندن الوقفة نفسها. فلا أدري إذا كان سيسير مع البلاشفة . .

نشر المناشفة اعلانا هنـــا وقعه بليخانوف وأكسيلرود ودان ومارتوف ومارتينوف عن اصدار مجلة شهرية هـي « صوت الاشتراكي الديمقراطي » . سأرسلها إليك فور حصولي عليها . قد يحتدم الصراع . أما تروتسكي فيريد أن يكون « فوق المجموعات المتصارعة » . .

اما بخصوص المادية ، بوصفها فهماً للحيـاة ، فأعتقد اني لا اوافقك من حيث جوهر الموضوع. فالحديث يدور بالضبط هنالا عن « الفهم المادي للتاريخ » (فهذا امر لا ينكره « تجريبونا ») ، بل عن المادية الفلسفية . اما ان يكون الانغلوساكسونيون مدينين «للمادية» بروحهم البرجوازية الصغيرة ، والرومانيون بفوضويتهم ، فهذا امر اعارضه بكل حزم . **فالمادية ، فلسفة ، مهملة عندهم في كل مكان** . « فنيوزيت » ، وهي اكثر المجـــلات رصانة واطلاعاً ، لا تهتم بالفلسفة ، ولم تكن في يوم من الأيام نصيرة متحمسة للمادية الفلسفية . ومع هذا نشرت في الآونة الأخيرة مقالات التجريبيين بدون اي تحفظ .

اما ان يكون بالامكان استخلاص نظرة برجوازية صغيرة ميتة من **تلك** المادية ، التي علّمنا اياها ماركس وانغلز ، فأمر غير صحيح ، غير صحيح ! ان التيارات البرجوازية الصغيرة في الاشتراكية الديمقراطية تحارب ، اكثر ما تحارب، المادية الفلسفية ،وتميل الى كنط والكنطية الجديدة والفلسفة الانتقادية. كلا ، فتلك الفلسفة ، التي اسسها انغلز في كتابه « ضد ديوهرنـغ » ،(لاتسمح للبرجوازية الصغيرة حتى بوطؤ عتبة البيت . وبليخانوف يسيء الى هذه الفلسفة

بربطه الصراع هنا مع الصراع الانشقاقي . ومن واجب كل اشتراكي ديمقراطي روسي الا يخلط بين بليخانوف السابق وبليخانوف الحالي .

لقد خرج أل. أل. لتوه من عندي . سأخبره مرة اخرى بخصوص « المؤتمر » . فاذا كنتم تصرون ، يمكن ترتيبه لمدة يومين وبأسرع مايمكن . اشد على يدك .

لينين
جنيف

ج ٤٧ ص ١٣٦ — ١٣٨

* * *

الى أ.م. غوركي

٢٥ – ٢ – ١٩٠٨

لم ارد على رسالتك فوراً ، فقد قام بيننا (وقد يبدو الامر غريباً للوهلة الاولى) شجارقوي الى درجة ما مع أل. أل. في هيئة التحرير .وسبب هذا الشجار او بعض سببه هو مقالتك[١١] . . . هم . . . هم . ولم اتكلم ، كما ظننت ، لا في ذلك المكان ولا بتلك المناسبة !

لقد حدث الامر على النحو التالي .

لقد زاد كتاب (دراسات في الفلسفة الماركسية) من حدة الخلافات القديمة القائمة بين البلاشفة في مسائل الفلسفة الى حد كبير . انا لا اعتبر اني على درجة من الكفاءة في هذه المسائل تؤهلني لان أعالج هذه الموضوعات كتابة . لكنني كنت أتتبع دائماً وباهتمام مناظراتنا الحزبية في الفلسفة بدءاً من نضال بليخانوف ضد ميخايلوفسكي وشركاه في آخر العقد التاسع وحتى عام ١٨٩٥، ثم نضال بليخانوف نفسه ضد الكنطيين عام ١٨٩٨ وما يليه (وهنا لم اكتف بمتابعة ما يجري بل شاركت فيه جزئياً بوصفي عضواً في هيئة تحرير (زاريا) منذ عام ١٩٠٠) ، واخيراً نضاله ضد التجريبيين الانتقاديين وشركاهم .

وتابعت مؤلفات بوغدانوف في الفلسفة منذ ظهور كتابه القوي (النظرة التاريخية الى الطبيعة) الذي درسته بإمعان خلال وجودي في سيبيريا . ولم يكن موقف بوغدانوف هذا الا انتقالاً الى نظرات فلسفية اخرى . ولقد تعرفت عليه

شخصياً عام ١٩٠٤ وأهدى كل منا إلى الآخر فوراً احد كتبه : قدمت له « خطوات »[١٢] وقدم لي أحد مؤلفاته الفلسفية الصادرة آنذاك[١٣] ، ثم كتبت اليه بعد ذلك بقليل (في ربيع عام ١٩٠٤ أو أوائل صيف هذا العام) من جنيف إلى باريس أقول ان مؤلفاته تثنيني بقوة عن اعتقادي في صحة نظراته ، وتقنعني اقناعاً قوياً بصحة نظرات بليخانوف .

وعند ما كنت أعمل مع بليخانوف تحدثت معه أكثر من مرة عن بوغدانوف . وقد شرح لي بليخانوف خطأ افكار بوغدانوف . لكنه لم يكن يعتبر انحرافه هذا كبيراً إلى درجة ميئوس منها. واذكر تماماً أننا تحدثنا ، أنا وبليخانوف في جنيف صيف عام ١٩٠٣ ، باسم هيئة تحرير (زاريا) مع مندوب عن هيئة تحرير (دراسات في النظرة الواقعية إلى العالم[١٤]) **ووافقنا** على المساهمة معهم ، أنا في المسألة الزراعية وبليخانوف في الفلسفة ضد ماخ . وكان **شرط** بليخانوف ، للمساهمة هو نشر مقاله ضد ماخ . وقد قبل مندوب (الدراسات) قبولاً تاماً هذا الشرط . كان بليخانوف يرى في بوغدانوف آنذاك نصيراً في النضال ضد التحريفية ، لكنه نصير يخطىء بقدر ما يسير وراء أوستفالد وبالتالي وراء ماخ .

وفي صيف عام ١٩٠٤ وخريفه التقيت نهائياً مع بوغدانوف بوصفنا من البلاشفة وعقدت معه ذلك الحلف الصامت ، والذي يبعد الفلسفة بصمت ، باعتبارها مجالاً محايداً . وقد استمر هذا الحلف طوال الثورة وأتاح لنا أن نمارس معاً في الثورة تكتيك الاشتراكية الديمقراطية الثورية (البلشفية) الذي كان هو الصحيح وحده حسب قناعتي العميقة .

ولم يتيسر لي ان اهتم بالفلسفة في حمى الثورة إلا قليلاً . وفي أوائل عام ١٩٠٦ كتب بوغدانوف وهو في السجن كتاباً آخر هو الجزء الثالث من (التجربة الاحادية) على ما يبدو . وفي صيف العام نفسه قدم لي كتابه فقرأته

بامعان . وما إن قرأته ، حتى غضبت وجن جنوني ، إذ اتضح لي بشكل اكبر أنه يسير في طريق غير صحيحة بتاتاً ، طريق غير ماركسية . فكتبت اليه آنذاك (اعترافاً بالحب) ، وهو رسالة في الفلسفة بحجم ثلاثة دفاتر . وقد اوضحت له فيها أني ،بالطبع ، **ماركسي عادي** في الفلسفة . إلا أن مقالاته الواضحة المبسطة المكتوبة بشكل رائع هي التي تقنعني نهائياً في خطأه من حيث الجوهر ،وبصواب آراء بليخانوف. ولقد عرضت هذه الدفاتر على بعض الأصدقاء (ومنهم لونشارسكي) وفكرت لبعض الوقت في طبعهـــا بعنوان (ملاحظات ماركسي عادي حول الفلسفة) ، لكني لم أقدم على ذلك . والآن أندم على كوني لم أطبعها فوراً . ولقد كتبت منذ ايام إلى بطرسبرغ اطلب فيها البحث عن هذه الدفاتر وارسالها إليّ.

والآن صدرت (دراسات في فلسفة الماركسية) .وقد قرأت مقالاتها كلها إلا مقالة سوفوروف (فأنا اقرأها الآن) ، ومع كل مقالة كنت ارغي وازبد استياء . كلا ليس هذا بالماركسية . إن تجريبيينا الانقاديين واصحاب نظرية التجريبية الاحادية والتجريبية الرمزية ينزلقون إلى المستنقع . ان تؤكد للقارىء بأن « الإيمان » بواقعية العالم الخارجي « صوفية » (بازاروف) ، وان تخلط بشكل مزر بين المادية والكنطية (بازاروف وبوغدانوف) ، وان تبشر بنوع من اللاادرية (هو التجربية الانتقادية) ، ومن المثالية (هو التجربية الاحادية)، وان تعلم العمال « الإلحـــاد الديني » (وعبادة) الطاقات الإنسانية العليـــا (لوناتشارسكي) ، وان تعلن تعاليم انغلز في الديالكتيك صوفية (بيرمان) ، وان تغرف من مصدر نتن (لوضعين) افرنسيين نكرات ـ لاادريين اوميتافيزيكيين اصحاب « النظرية الرمزية في المعرفة » (يوشكافيتش) ، ليأخذهم الشيطان جميعاً ـ كلا هذا يتجاوز كلّ حد !! اجل . نحن ماركسيون عاديون ، اناس لم يقرؤوا الفلسفة كثيراً . ولكن لماذا يسيئون الينا هكذا ، إذ يقدمون لنا مثل هـــذه

الأشياء على انها فلسفة الماركسية ؟ إني افضل ان تقطع يداي وقدماي ورأسي على الاشتراك في جريدة او هيئة تحرير تدعو إلى اشياء كهذه .

وعاودني الحنين مرة اخرى إلى (ملاحظات ماركسي عادي حول الفلسفة) فشرعت في كتابتها . وقد عرضت انطباعاتي ، خلال قراءتي (للدراسات) ،على أل . أل بصورة صريحة وفظة بطبيعة الحال

وستسأل: ما علاقة هذا كله بمقالي ؟ علاقته هي انك تبدأ في مقالك المرسل إلى البروليتاريا بشكل واضح تماماً في عرض وجهات نظر اتجاه واحد ، في وقت تهدد فيه هذه الخلافات بين البلاشفة بالتصاعد تصاعداً حاداً . انا لا اعلم بالطبع ماذا سيخرج من بين يديك في النهاية وكيف سيكون . زد على ذلك اني اعتقدان الفنان يستطيع ان يغرف من كل فلسفة اشياء كثيرة تنفعه ، واخيراً فإني اوافق موافقة تامة ومطلقة على انه يمكنك،في مسائل الإبداع الفني ، ان تقرأ الكتب كلها ، وعلى انك تستطيع ، حين تستخلص **هذا النوع من الأفكار** من تجربتك عنية **ومن الفلسفة معاً** (**وان تكن مثالية**) ، ان تصل إلى نتائج تعود بالنفع العظيم على الحزب العمالي. هذا كله صحيح. ومع هذا فإن على (البروليتاري) ان تظل محايدة حياداً مطلقاً من اختلافاتنا كلها حول الفلسفة وان لا تعطي القارىء ظلاً من سبب يجعل المرء يربط بين البلاشفة ، وصفهم اتجاهاً وخطاً تكتكياً جناح الثوري من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس ، وبين التجربة الانتقادية او التجربة الاحادية .

عندما قلت لـ ا . أ ، بعد ان قرأت مقالك واعدت قراءته ، إني ضد نشره، اصبح وجهه اقتم من غيمة سوداء ، وخيم فوقنا على الفور جو الانشقاق . والبارحة دعونا اعضاء هيئة التحرير الثلاثة الى اجتماع خاص لمناقشة المسألة ، وهناك ساعدتنا على غير انتظار فلتة وجدناها في نيوزيت . فقد نشر مترجم مجهول في

العدد ٢٠ مقالة بوغدانوف عن ماخ واشار دون مبرر في المقدمة الى ان الخلافات بين بليخانوف وبوغدانوف تتجه الى ان تصبح خلافاً **انشقاقياً** بين البلاشفة والمناشفة من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس .

لقد وحدنا هذا الأحمق (او الحمقاء) ، كاتب هذه المقدمة ، بكلماته ، واتفقنا فوراً على ضرورة الاعلان حتماً عن حيادنا في اول عدد من(البروليتاري) وكان هذا يتوافق الى اقصى حد مع مزاجي بعد صدور(الدراسات) .وقد كتبنا الاعلان ووافقنا عليه بالاجماع ، وسيصدر غداً في العدد الحادي والعشرين من البروليتاري وسنبعثه اليك . اما بخصوص مقالك ، فقد قررنا تأجيل البحث فيه حتى نعرض عليك الوضع في ثلاث رسائل من كل من محرري البروليتاري الثلاثة، وبعد ان نسرع انا وبوغدانوف بالذهاب اليك .

وعلى هذا ، انتظر رسالة من ال.ال . ورسالة من المحرر الثالث الذي كتبت لك عنه سابقاً .

اما انا فأعتقد ان من الضروري ان اقول لك رايي بصراحة تامة . إني ارى ان الاقتتال بين البلاشفة في مسائل الفلسفة امر لا مفر منه ،اما الانشقاق بسبب ذلك فغباء . لقد وقعنا حلفاً لنمارس تكتيكاً محدداً في الحزب العمالي ، ولقد مارسنا هذا التكتيك ولا نزال نمارسه حتى الآن **دون خلافات** (الخلاف الوحيد كان بخصوص مقاطعة الدوما الثالثة ، لكن هذا الخلاف لم يتصاعد الى حد الاشارة مجرد الاشارة الى الانشقاق) . هذا اولاً ، ثم ان هذا الخلاف لم يكن يتطابق والخلاف بين ماخيين وماديين ، إذ كان الماخي بازاروف مثلاً ، كما كنت انا ، ضد المقاطعة ، وقد كتب (في البروليتاري) مقالة هجائية فيهذا الموضوع.

إن إعاقة ممارسة تكتيك الاشتراكيةالديمقراطية الثورية بسبب المناقسات حول المادية والماخية غباء لا يغتفر في نظري . علينا ان نتخاصم فيشؤون الفلسفة

بشكل لا تمس معه وحدة « البروليتاري » والبلاشفة بوصفهم جناحاً من الحزب . وهذا أمر ممكن تماماً .

وفي رأيي أن من واجبك أن تساعدنا في ذلك . وانت قادر على مساعدتنا بعملك معنا في « البروليتاري » ، ومساهمتك في المسائل الحيادية (أي المسائل التي ليس لها أي علاقة بالفلسفة) ، كمسائل النقد الأدبي والمقالة الاجتماعية والابداع الفني الخ. وعليك أن تعيد صياغة مقالك،أي أن تنقل ماله علاقة بفلسفة بوغدانوف إلى مكان آخر (حتى ولو كانت علاقة غير مباشرة) ، اذا أردت أن تحول دون الانشقاق ، وأن تساعدنا على حصر المعركة الجديدة . لديك ، والحمد لله ، مجالات أخرى غير البروليتاري تستطيع أن تكتب فيها. كما يمكنك أن تكتب في كل ما ليس له علاقة بفلسفة بوغدانوف — وقسم كبير من مقالك لا علاقة له بها — في عدة مقالات « للبروليتاري » .

إن أي تصرف آخر من جانبك ، أي رفض اعادة النظر في المقـــال أو رفضك المساهمة في « البروليتاري » ، سيؤدي حتماً في رأيي الى ازدياد حدة النزاع بين البلاشفة ، والى عرقـــلة حصر النزاع الجديد واضعاف قضية الاشتراكيين الديمقراطيين الروس الحيوية والضرورية عملياً وسياسياً .

هـذا هو رأيي . وقد قلت لك كل مـا كنت أفكر فيه ، وانا الآن في انتظار جوابك .

كنا نريد أن نأتي اليك اليوم ولكن تبيّن أن علينا أن نؤجـــل سفرنا اسبوعاً على الأقل وربمّا اسبوعين أو ثلاثة .

اشد على يدك بقوة .

لينينك — جنيف

ج ٤٧ ص ١٤١ — ١٤٥

الى أ. م. غوركي

عزيزي أ. م. !

لم اكتب لك منذ مدة طويلة . سفرنا يتأخر باستمرار والعقبة الرئيسية الآن هي عدم وصول أخبارك من بروكسل . لقد كتب الي اصدقاء من هناك يقولون انهم ينتظرونني لاجتماع المكتب (مكتب الاشتراكية الدولية) هناك . فسألت أمين السرّ عن موعد السفر (لأن علي أن أسافر الى ايطاليا) ، لكني لم اتلق جواباً حتى الآن ، وأنا لا استطيع أن اتخلف عن بروكسل .

هل استلمت « البروليتاري » ؟ ما هي نواياك تجاهها ؟ ونوايا أ. ف ؟ لقد استلمت رفضه الكتابةعن الكومونة بأسف. إنمحررنا الثالث هو اينوكينتي[١٥].

اكتب لي عمّا إذا كان لديك ولدى أ.ف أي مشاريع « للبروليتاري ».

أشد على يدك .

لينينك

كتب في النصف الأول من آذار عام ١٩٠٨

جنيف

ج ٤٧ ص ١٤٧

الى أ. م. غوركي

(شخصياً لـ أ. م.)

٢٤ / ٣ / ١٩٠٨

عزيزي أ. م.

استلمت رسالتك المتعلقة بمعركتي ضد المـــاخيين . إني أفهم عواطفك واحترمها تماماً . ومن واجبي أن اقول لك إني اتلقى من الاصدقاء البطرسبرغيين ما يشبه رسالتك . لكنني على قناعة عميقة بأنك مخطىء .

عليك أن تفهم ، وستفهم بالطبع ، أن من واجب الانسان الحزبي أن يعارض دعوة ما عندما يقتنع أكيداً بعدم صحتها **وبضررها** . وما كنت لاثير هذه الضجة . لولا قناعتي التامة (وهي تتأكد اكثر فأكثر مع كل يوم ، وبقدر ما اطلع على المصادر الأساسية لحكمة بازاروف وبوغدانوف وشركاهما) بأن كتابهم غرق وضار وتافه وكهنوتي **كله** ، من البداية حتى النهاية ، من الاغصان حتى الجذور ، حتى ماخ وأفيناريوس . وبليخانوف محقّ تماماً ، من حيث الجوهر ، ضدهم . لكنه لا يريد أو لا يريد أو يتكاسل في قول ما يريد أن يقول بشكل **مشخّص** مفصـــل وبسيط وبدون تخويف الجمهور تخويفاً لا ضرورة له بالفروق الفلسفية الدقيقة . وسأقول هذا مهما كلفني الأمر **على طريقتي الخاصة** .

أي مصالحة يمكن أن تكون ، أيها الغالي أ. م. ؟ حنانيك ! إنه لمضحك مجرّد التفوّه بهذا . المعركة لا مفرّ منها **على الاطلاق** . وعلى الحزبيين أن يوجهوا

جهودهم كلها لا الى ستة [illegible] تأجيلها أو تفاديها ، بل الى جعل العمل الحزبي الضروري **لا يتأثر** عليك أن تهتم بـ [illegible] مر وسيد [illegible] ٩/١٠ من البلاشفة الروس وسيشكرونك شكراً جزيلاً .

كيف يجب [illegible] الحياد » ؟ كلا . إذ لا يمكن أن يكون حياد في هذه المسألة **ولن يكون** . وإذا كان لنا أن نتكلم عن الحياد ، فبمعنى مشروط هو وجوب ابعاد هذه المعركة عن جماعتنا . لقد كنت تكتب حتى الآن « بعيداً عنا » ، في النشرات غير الحزبية ، فتابع ما انت عليه . وبهذا الشكل فقط لن تكون جماعتنا مسؤولة ، لن **تورّط** ولن تضطر غداً أو بعد غد أن **تقرر وتصوت** ، أي أن تحول المعركة الى معركة مزمنة ، متواصلة لا مخرج منها .

ولهذا السبب **لا أوافق** على نشر أي شيء فلسفي في المجلة[١٦] . واعرف اني ألام على ذلك : يريد أن يكم أفواه الآخرين وهو لمّا يفتح فمه بعد ! ولكن فكر ، أنت ، في الأمر بهدوء !

مجلّة تحتوي على فلسفة . في العدد الأول منها ثلاث مقالات لبازاروف وبوغدانوف ولوناتشارسكي ضد بليخانوف ، ومقالة لي اقول فيها إن « دراسات في فلسفة الماركسية » = بيرديابيفية وإكليريكية . في العدد الثاني — تسع مقالات — لبوغدانوف وبازاروف ولوناتشارسكي ضد بليخانوف ولينين مكتوبة بلهجة عصبية ، ومقالة لي ابرهن فيها ، من ناحية اخرى ، ان « دراسات في فلسفة الماركسية » = الاكليريكية . في العدد الثالث : معركة وسباب ! .

استطيع ان اكتب ست مقالات او اثنتي عشرة مقالة ضد « دراسات في فلسفة المادية » ، مقالة ضد كل مؤلف وضد كل جانب من جوانب نظرياتهم . فهل يمكن لهذا ان يستمر ؟ والى متى ؟ أولَنْ يجعل **هذا** الأمر الانشقاق محتماً

نتيجة التوتر والحقد المتواصلين ؟ الا يلزم هذا الأمر الحزب بحل : قرر ، ناقش ، واختتم « النقاش » بتصويت ..

فكّر جيداً في هذا ، إذا كنت تخشى الانشقاق . هل سيأخذ خبيرونا العمليون بنشر هذه الكتب بمثل هذه « القحة » ؟ أليس من الأفضل أن تسلك طريقاً آخر ؟ تكتب ، كما كنت تفعل سابقاً ، أي « بعيداً » عنّا ، بعيداً عن النشرات التي تصدرها المجموعات الحزبية . تخاصموا بعيداً عنا ، فبإمكان المجموعة أن تنتظر ايضاً ، وإذا كان هناك من إمكانية للتخفيف من حقـــد لا مفرّ منه ، فبهذه الطريقة وحدها على ما أعتقد .

تقول إن المنشفيك سيربحون الـــنزاع . إنك على خطأ ، خطأ عميق ، يا ألكسي مكسيموفتش ! سيربح المناشفة إذا لم تنأ المجموعة البلشفية بنفسهاعن فلسفة البلاشفة الثلاثة وسيربحون نهائيـــاً . أما إذا جرى النزاع الفلسفي خارج المجموعة ، فسيقتصر مجال نشاط المناشفة على السياسة نهائياً ، وهنـــاك حتفهم . قلت : يجب إبعاد النزاع عن المجموعة . وتحقيق ذلك صعب على الناس الأحياء ، ومؤلم لهم طبعاً . إن عامل الزمن ضروري هنا ، ونحتاج لهذا رفاقاً يبدون اهتماماً وغيرة ، وسيساعدنا خبراء عمليون ، كما أن من واجبك أن تساعدنا . نحتاج هنا الى عـــلم نفس و كتب . وأعتقد أن بامكانك أن تقدم لنا مساعدة كبيرة في هذه القضية . هذا إن لم تغضب عليّ بعد قراءة كتيبي [١٧] الموجه ضد « دراسات » مثل غضبي عليهم .

فكّر جيداً في مسألة المجلة ، وأجبني بسرعة ، وبأسرع ما يمكن . أشك قليلاً في ضرورة سفرنا اليك الآن معاً . ولماذا توتير الأعصاب دون جدوى ؟ ... « وداعاً الى البعيد » .. ولن نستغني عن التخاصم . ألن يكون من الأفضل ان نحسم قضية المجلة بأبسط ما يكون ، دون مفاوضات طويلة ومؤتمرات رسميـــة

لا تؤدي الى شيء ؟ إن جلّ ما أفعـــله الآن هو أني أطرح عليك أسئلة طلباً لمشورتك . تحية جزيلة الى م. ف. سآتي الى كابري حتماً ، وسأحاول أن آخذ زوجي معي ، لكني أود ان افعل هذا بعيداً عن الخصومة الفلسفية .

أشد على يدك بقوة .

لينينك — جنيف

ج ٤٧ ص ١٥٠ — ١٥٣

★ ★ ★

الى أ. م. غوركي

١٩ – ٤ – ١٩٠٨

تلقيت برقيتكما ، أنت و م. ف. وسأبعث اليوم أو غداً باعتذاري . وأكرر مرة اخرى انه لا يجوز **بحال من الأحوال** أن نخلط مناقشات الأدباء حول الفلسفة بالقضية الحزبية (أي قضية الجماعات المختلفة في الحزب). لقد كتبت بهذا الخصوص الى أ. ف. أكرر اعتذاري لكافة الرفاق تحاشياً لأي سوء فهم ، أو أي استنتاجات خاطئة قد تنشأ عن رفضي . علينا أن ندير أمورنا (الحزبية) بانسجام كما في السابق ، ولا يوجد بيننا من ندم على تلك السياسة التي مارسناها وطبقناها في فترة الثورة ، فواجبنا إذاً الدفاع عن هذه السياسة والذود عنها أمام الحزب . ولا نستطيع ان نقوم بذلك إلا معاً . وواجبنا أن نفعل ذلك في « البروليتاري » وفي عملنا الحزبي كله .

فإذا هاجم شخصٌ ما شخصاً آخر ، وردّ هذا على هجوم الأول بسبب الفلسفة ، فواجبنا ان نفعل ذلك بشكل منفرد ودون إلحاق أي ضررٍ بالعمل الحزبي .

أرجوك رجاءً حاراً ، أنت والرفاق جميعاً ، ألا تسيئوا فهم رفضي الحضور . أعتذر كثيراً لكني لا استطيع المجيء بسبب الوضع العام للأمور ، وبسبب حالة هيئة تحرير المجلة .

أشد على يدك بقوة .

لينينك

ننتظر من أ. ف. وصول المقالة التي وعدنا بها عن إضراب روما بأسرع ما يمكن . وننتظر من العاملين في حقل الأدب كلهم العون« للبروليتاري » فنحن مسؤولون جميعاً أمام الروس غير الراضين بدورهم عن المجلة .

ظهيم آل. آل. جيداً بخصوص المال !! يصرخون في روسيا من قلة المال.

جنيف

ج ٤٧ ص ١٥٦ — ١٥٧

★ ★ ★

الى ا. م. غوركي

١٦ – ١١ – ١٩٠٩

عزيزي الكسي مكسيموفتش !

كنت على الدوام مقتنعاً قناعة عميقة بأنك والرفيق ميخايل [١٨] أصلب انشقاقي المجموعة الجديدة الذين لم أكن أرى من المعقول ان احاول التحدث اليهم حديث مودة . رأيت اليوم للمرة الأولى الرفيق ميخايل ، وتحدثت اليه حديث القلب للقلب عن قضايانا وعنك ، ورأيت أني كنت على خطأ كبير . لقد كان الفيلسوف هيغل محقاً والله عندما قال : تسير الحياة الى أمام عن طريق التناقض ، والتناقضات الحية أغنى واكثر تنوعاً واخصب محتوى مما يبدو للعقل الانساني للوهلة الأولى . لقد كنت أنظر الى المدرسة على انها مركز المجموعة الجديدة [١٩] . ثم تبين ان هذا ليس صحيحاً – لا بمعنى انها لم تكن مركز المجموعة الجديدة (فقد كانت المدرسة مركزها ولا زالت) ، لكن بمعنى ان هذا ليس كل شيء، ليس الحقيقة كلها . لقد جعل بعض الناس ، ذاتياً ، من المدرسة مثل هذا المركز وقد كانته موضوعياً ، لكنها استمدت ، الى ذلك ، من الحياة العمالية الحقيقية عمالاً طليعيين حقيقيين . وكان ان نشأ الى جانب التناقض بين المجموعتين ، القديمة والجديدة في كابري ، تناقض آخر بين قسم من المثقفين الاشتراكيين الديمقراطيين وبين العمال الروس الذين سيخرجون بالاشتراكية الديمقراطية الى الطريق الصحيحة مهما كلف الأمر ومهما قد يحدث ، سيخرجون بها على الرغم من المشاحنات والمماحكات « والقصص » الخ .. والناس الذين على شاكلة ميخايل هم ضمانة ذلك.

وتبين ايضاً انه قد نشأ في المدرسة تناقض بين عناصر المثقفين الروس القاطنين في كابري .

أرى من كلمات ميخايل أنك تعيش فترة في غاية الصعوبة أيها العزيز أ.م.

لقد تهيأ لك فجأة أن ترى الحركة العمالية والاشتراكية الديمقراطية في مظاهر وأشكال وجوانب كثيراً ما أدّت بقليلي الايمان من المثقفين في روسيا وأوروبا الغربية إلى اليأس من الحركة العمالية والاشتراكية الديمقراطية . وأنا على ثقة أنه لن يحدث لك شيء من هذا . وبودّي ، بعد أن تحدثت الى ميخايل ، أن أشد على يدك بقوة. لقد عادت موهبتك الفنية على الطبقة العاملة في روسيا وفي غير روسيا بنفع عظيم ، وستعود عليها في المستقبل بنفع أعظم لا يغتفر لك معه أن تترك نفسك نهباً للأمزجة الكئيبة التي تثيرها مراحل الصراع خارج البلد . فقد توجد ظروف تولّد فيها حياة الحركة العمالية هذا الصراع في الخارج ، كما تولد الانشقاقات والمماحكات والمشاحنات بين الحلقات المختلفة . وليس سبب ذلك أن الحركة العمالية ضعيفة داخلياً ، أو أن الاشتراكية الديمقراطية على خطإ من حيث الأساس ، بل لأن العناصر ، التي يتوجب على الطبقة العاملة أن تصهر منها حزبها ، متنوعة طبيعة ومزاجاً إلى حدّ كبير . وستصهر الطبقة العاملة منها حزبها على أي حال ، وستصهر منها اشتراكية ديمقراطية ثورية رائعة في روسيا ، وستصهرهما بأسرع مما يبدو أحياناً ، حين ننظر إلى الأمور من وجهة الوضع الملعون في الخارج ، وستصهرهما بشكل أضمن مما يبدو لنا ، إذا ما حكمنا على الأمور ببعض المظاهر الخارجية وببعض الحوادث. وإن أمثال ميخايل لضمانة ذلك.

أشد على يدك وبد ماريا فيودور روفنا بقوّة فلدي الآن أمل هو أننا سنلتقي معاً ، وأننا لن نلتقي أعداء .

لينينك

باريس

ج ٤٧ ص ٢١٩ – ٢٢٠

أراجيف الصحافة البرجوازية حول طرد غوركي

منذ عدة أيام والصحف البرجوازية ، (« الايكلير » و « الراديكال ») في فرنسا ، (« وبرلينير تاجيبلات ») في المانيا ، (« واوترا روسيا » و« ريتش » « روسكويي سلوفا ») في روسيا ، تلوك بتلذذ خبراً من أكثر الأخبار إثارة هو طرد غوركي من الحزب الاشتراكي الديمقراطي . وقد أصدرت «فورواوتس » تكذيباً لهذه الفرية كما بعثت هيئة تحرير « البروليتاري » بتكذيب الى عدة صحف . لكن الصحافة البرجوازية تجاهلت التكذيب ، ولا زالت مستمرة في افترائها .

ومصدر هذه الفرية واضح : قد يكون أحد من الكتاب السخيفين سمع من بعيد بالخلافات القائمة بسبب الأوتزوفية وبناء الله (وهي مسألة لازالت تناقش منذ عام علناً في الحزب بوجه عام وفي « البروليتاري» بوجه خاص) فحرف بلاخجل نتفاً من المعلومات التي وصلته « وقبض دفعة كبيرة » على « المقابلات الصحفية » التي اختلقها الخ . .

وليس هدف هذه الحملة الافترائية بأقل وضوحاً . فالاحزاب البرجوازية تودّ لو أن غوركي يخرج من الحزب الاشتراكي الديمقراطي . وتبذل أقصى جهدها لتسعير الخلافات داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي، وتصويرها بأبشع صورة .

عبثاً تجهد الصحف البرجوازية ، فالرفيق غوركي مرتبط بمؤلفاته الفنية العظيمة ارتباطاً وثيقاً بالحركة العمالية في روسيا والعالم كله، حتى أنه لن يردّ على هذه الافتراءات إلا بالاحتقار وحده .

٢٨ ت٢ (١١ ك١) ١٩٠٩

ج ١٩ ص ١٥٣

من مؤلف

ملاحظات كاتب

- ١ -

في « برنامج » أنصار الاوتزونية والمدافعين عنها

. . ان الصدفة لا تفسر الفترة الحالية الواقعة بين ثورتين . فما من شك الآن أننا أمام مرحلة خاصة من تطور الحكم الاستبدادي ، ومن تطور الملكية البرجوازية والبرلمانية البرجوازية المغرقة في رجعيتها ، وسياسة القيصرية البرجوازية في القرية ، ومن مساندة البرجوازية المعادية للثورة لهذا كله . هذه **الفترة هي** ، بلا ريب ، مرحلة **انتقالية** « بين موجتين ثوريتين » . وعلينا ، استعداداً للثورة الثانية ، أن ندرك خاصة هذا الانتقال ، وأن نعرف كيف نكيف تكتيكنا وتنظيمنا مع هذا الانتقال الصعب ، الثقيل الوطأة والغامض ، الذي يفرضه علينا سير « الحملة » . فاستخدام منصة الدوما وغيرها من الإمكانيات الشرعية الأخرى ليس إلا واحداً من أساليب الصراع غير المتطورة التي ليس فيها أي شيء بارز . لكن المرحلة الانتقالية هي انتقالية بالضبط ، لأن مهمتها المميزة هي **إعداد القوى** وتجميعها ، وليس زجها المباشر الحاسم في المعركة . **ومهمة الحزب** ، مهمة اللحظة الراهنة ، هي أن نعرف كيف ننظم هذا النشاط الذي ليس له أي مظهر خارجي براق ، مستغلين في سبيله كل المؤسسات نصف المفتوحة أمامنا ، التي تميز فترة

دوما اكتوبر المغرقة في الرجعية ، وبالتالي أن نعرف كيف نذود ، على هـــذه الأرضية أيضاً ، عن تقاليد الاشتراكية الثورية كلها ، وشعارات ماضيها البطولي القريب كلها ، وروح عملها كله ، وعدم مهادنتها للانتهازية والاصلاحية . لقد حللنا تراجع البرنامج الجديد الأول عن التكتيك الذي اعتمد في قرار مؤتمر كانون الاول عام ١٩٠٨ ،ورأينا أن هذا التراجع كان باتجاه افكار «الاوتزوفية»، باتجاه افكار لا يجمعها اي شيء بالتحليل الماركسي للفترة الراهنة ، او بالمنطلقات الاساسية لتكتيك الاشتراكيين الديمقراطيين الثوريين بوجه عام . وعلينا الآن ان نبحث في السمة الثانية الطريفة في البرنامج الجديد .

إنها مهمة « خلق ثقافة جديدة ، بروليتارية ، ونشرها بين الجماهير » . إنها تطوير العلم البروليتاري وتوطيد علاقات رفاقية حقاً في الوسط البروليتاري ، وإنشاء فلسفة بروليتارية ، ودفع الفن شطر الأهداف البروليتارية والتجربة » (ص ١٧٠) .

هذا هو نموذج صغير من تلك الديبلوماسية الساذجة التي تستخدم في البرنامج الجديد لإخفاء جوهر القضية ! أليس بالفعل أمراً ساذجاً أن يحشر «توطيد العلاقات الرفاقية حقاً » بين « العلم و الفلسفة » ؟ إن الجماعة الجديدة تدرج في برنامجها مظالمها الموهومة ، واتهاماتها لغيرها من الجماعات (والبلاشفة الأرثوذكس بالذات في الدرجة الأولى) بخرق « العلاقات الرفاقية حقاً » . هذا هو بالضبط المحتوى الحقيقي لهذه النقطة المضحكة .

« والعلم البروليتاري » يبدو هنا أيضاً كثيباً وفي غير محله . فنحن ، أولاً ، لا نعرف حتى الآن الا علماً بروليتارياً واحداً هو الماركسية. أما واضعو البرنامج فيتحاشون دوماً ، لسبب ما ، هـــذه العبارة التي هي وحدها الدقيقة ، ويضعون بدلاً منها في كل مكان « الاشتراكية العلمية » (ص ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ،

٢٠ ، ٢١) . ومن المعلوم انه حتى أعداء الماركسية المباشرون عندنا في روسيا يدعون لأنفسهم الحق في هذا التعبير . وثانياً ، ان من واجب واضعي البرنامج ، حين يطرحون فيه مهمة تطوير « العلم البروليتاري » ، أن يقولوا بوضوح ما هو بالضبط الصراع الفكري ، النظري ، الدائر الآن الذي يقصدونه ، والى جانب من يقفون . والسكوت عن هذا خبث ساذج ، إذ ان جوهر الموضوع واضح لكل من يعرف أدب الاشتراكيين الديمقراطيين في عامي ١٩٠٨ – ١٩٠٩ . لقد برز الصراع في ايامنا هذه بين الماركسيين والماخيين في مجال العلم والفلسفة والفن . وإغماض العينين عن هذا الواقع الذي يعرفه الجميع أمر مضحك على اقل تقدير . علينا ان نكتب « برامج » ، لا لطمس الخلافات ، بل لتبيانها .

وواضعو البرنامج يفضحون أنفسهم بشكل غير ذكي من خلال الفقرة التي أوردناها من البرنامج . فالكل يعلم أن ما يقصد « بالفلسفة البروليتارية » هي الماخية في الواقع ، وأي اشتراكي ديمقراطي حصيف سيكشف هذا « الاسم المستعار » الجديد . عبثاً اختلاق هذا الاسم المستعار ، وعبثاً التستر تحته ، فالنواة الأدبية ، صاحبة النفوذ الأكبر في الجماعة الجديدة ، ماخية بالفعل ، وتعتبر أي فلسفة غير ماخية فلسفة غير بروليتارية .

كان عليهم ان يقولوا هكذا ، اذا ارادوا ان يتحدثوا عن هذا الأمر في برنامجهم : تضم الجماعة الجديدة اشخاصاً سيناضلون ضد النظريات غير البروليتارية ، أي غير الماخية ، في الفلسفة والفن . وعندئذ سيكون اعلانهم هذا اعلاناً صريحاً وصادقاً ومباشراً عن تيار فكري معروف ، اعلاناً عن بدء الصراع مع التيارات الأخرى . فعندما تعطي جماعة ما الصراع الفكري أهمية كبيرة بالنسبة للحزب ، تعطيه وهي تعلن الحرب بصراحة ، تهاجم ولا تختبىء .

وسندعو الجميع الى إعطاء جواب محدد وواضح عن مسألة تضمين

البرنامج الصراع الفلسفي مع الماركسية، فتعابيرهم المتعلقة « بالثقافة البروليتارية» تخفي كلها بالفعل **صراعاً ضد الماركسية** على وجه الضبط . و « أصالة » الجماعة الجديدة هي انها أدخلت الفلسفة في برنامج حزبي دون أن تقول صراحة ما هو التيار الفلسفي الذي تدافع عنه بالضبط .

وعلى أي حال ، لا يمكننا القول ان المضمون الفعلي لكلمات البرنامج التي أوردناها سابقاً سلبي كله . فخلف هذه الكلمات مضمون ايجابي الى حد ما . ويمكننا ان نعبر عن هذا المضمون الايجابي بكلمة واحدة هي : مكسيم غوركي .

وفي الحقيقة ، ليس هناك من داع لإخفاء واقع طالما طبلت له الصحافة البرجوازية وزمرت (مشوهة ومحرفة) ، وهو انتماء غوركي الى انصار الجماعة الجديدة . غوركي أعظم ممثل للأدب البروليتاري بلا شك ، فعل في سبيله الكثير ويستطيع أن يفعل اكثر في المستقبل . وتستطيع أي مجموعة في الحزب الاشتراكي الديمقراطي أن تفخر بانتماء غوركي اليها. لكن إدراج « الفن البروليتاري » في **البرنامج** على هذا الأساس معناه اعطاء البرنامج شهادة فقر حال، معناه قصر المجموعة على حلقة أدباء يفضحون بأنفسهم ما كانوا يرددونه ، كذباً ، عن عدم اعترافهم بالأشخاص ذوي الكلمة المسموعة... فواضعو البرنامج يتكلمون كثيراً معارضين الاعتراف بالأفراد أصحاب الكلمة المسموعة ، دون ان يوضحوا صراحة فحوى القضية . والقضية هي أنهم يتصورون ، خطأ ، أن دفاع البلاشفة عن المادية في الفلسفة ونضالهم ضد الاوتزوفية من فعل « أشخاص معينين ذوي كلمة مسموعة » (تلميح ناعم الى حالة غليظة !) يثق بهم أعداء الماخية « ثقة عمياء » . ان مثل هذه النزوات صبيانية تماماً . فالبيريوديون بالذات هم الذين يسيئون التصرف مع الأشخاص ذوي الكلمة المسموعة . ان لغوركي كلمة مسموعة في قضايا الفن البروليتاري ، وهذا أمر لا ريب فيه . أما محاولة « استخدام » هذا الشخص ذي الكلمة المسموعة

توطيداً للماخية والأوتزوفية (الاستخدام بالمعنى الفكري طبعاً) فمعناها اننا نقدم نموذجاً صغيراً عن سوء تصرفنا مع الاشخاص ذوي الكلمة المسموعة .

إن مكسيم غوركي قيمة ايجابية عظيمة في قضايا الفن البروليتاري على الرغم من تعاطفه مع الماخية والاوتزوفية . اما البرنامج الذي يفرز مجموعة الماخيين والاوتزوفيين في الحزب ، بطرحه قضية تطوير فن يدعي أنه بروليتاري على أنها قضية مجموعة خاصة ، فهو قيمة سالبة في قضايا تطوير الحركة الاشتراكية الديمقراطية البروليتارية . لأن هذا البرنامج يريد أن يقوي ويستغل في نشاط هذا الانسان ذي الكلمة المسموعة والنفوذ العظيم ما يشكل الجانب الضعيف ، وما يمثل قيمة سلبية في مجمل ما عاد به على البروليتاريا من نفع عظيم .

طبع في ٦ (١٩) آذار عام ١٩١٠
ج ١٩ ص ٢٤٨ — ٢٥٢

★ ★ ★

من رسالة الى

أ . م غوركي

١٩١٠ / ٤ / ١١

... يسير تطور الحزب ، تطور الحركة الاشتراكية الديمقراطية إلى الأمام أبداً عبر الصعوبات الشيطانية للوضع الحالي، ويسير تطهير الحزب الاشتراكي الديمقراطي من « انحرافاته » الخطرة ، من التصفوية والأوتزوفية إلى الامام باستمرار : ويسير في إطار التوحيد **اسرع من السابق**. لقد انتهينا من الأوتزوفية فكرياً قبل انعقاد المؤتمر في الحقيقة . لكننا لم نقض على التصفوية نهائياً آنذاك ، إذ استطاع المناشفة أن **يخفوا الأفعى** موقتاً ، والآن أبرزوها وها هم الناس كلهم يرونها ، وسنحاول أن نقضي عليها وسنقضي عليها .

وليس هذا التطهير مهمة «فكرية » فقط، وليس أبداً « نوعاً من الأدب » فقط ، كما يفكر الأبله (أو النصّاب) بوتريسوف ، الذي يدافع عن الماخيين الآن ، مثلما دافع هؤلاء عن « الفبيريوديين » في المؤتمر . كلا فهذا التطهير مرتبط أوثق ارتباط بصميم الحركة العمالية التي تدرس اوضاع عمل الاشتراكية الديمقراطية في الظرف الحالي الصعب ، وتدرسها عن طريق الرفض ، وعن طريق رفض التصفوية والأوتزوفية تخرج إلى الطريق الرحب . وتروتسكي الثرثار هو الوحيد الذي يتصور ان بالامكان تحاشي هذا الرفض ، وان هذا الرفض لا لزوم له ، وأنه لاعلاقة للعمال به ، وان صحافة مماحكين اشرار ، لا الحياة ، هي التي تطرح مسائل التصفوية والاوتزوفية .

استطيع ان اتصور مقدار العناء الذي يكابده كل من لم ير ويعايش التطور الشاق للحركة الاشتراكية الديمقراطية في اواخر العقد التاسع واوائل العاشر، وهو يلاحظ الآن هذا النمو الشاق للحركة الجديدة حالياً. آنذاك كان امثال هؤلاء الديمقراطيين الاشتراكيين عشرات، لابل أفراد معدودين، أما اليوم فمئات وآلاف. ومن هنا ازمة تتلو أزمات، لكن الحركة الاشتراكية ككل ستتجاوزها وستتجاوزها بشرف.

اشد على يدك بقوة

باريس لينيك

ج ٤٧، ص ٢٤٨ — ٢٥١

★ ★ ★

الى أ . م غوركي

١٩١٠/١١/١٢

عزيزي أ . م !

كتبت اليك منذ أيام ، وأنا أرسل لك « رابوتشايا غازيتا » ، متسائلاً عما حدث للمجلة التي تكلمنا عنها في الصيف والتي وعدت بالكتابة بشأنها .

والآن اقرأ في « ريتش » اعلاناً عن مجلة « سوفريمينك » [٢٠] ، التي تصدر بمشاركة أمفيتياتروف الوثيقة والاستثنائية ، (هكذا جاء في الاعلان. والكلمة هنا وإن كانت غير صحيحة لغوياً الا انها ذات دلالات كثيرة وتوحي بادعاء قائلها) وباسهامه المستمر .

ما هذا ؟ وكيف حصل هذا ؟ « مجلة شهرية » ذات ابواب في « السياسة والتاريخ والحياة الاجتماعية » ـ هذا شيء مختلف تماماً عن مجموعات ترمي الى تجميع أفضل قوى الأدب . ومجلة كهذه تقف امام أحد أمرين : إما ان تكون ذات اتجاه محدد تماماً ، جدي وثابت أو تجلب العار حتماً على نفسها وعلى المساهمين فيها. إن « لفيسنك أوروبا » اتجاهها ، وهو اتجاه ميء مائع ، غير موهوب ، لكنه اتجاه يخدم عناصر معينة من البرجوازية ، ويوحد بعض فئات ممن يسمون بالمثقفين من أساتذة وموظفين وليبراليين شرفاء (أو قل ليبراليين يودون ان يكونوا شرفاء) . ولـ « روسكايا ميسل » (الفكر الروسي) اتجاهها النجس ، لكنه اتجاه يؤدي خدمة طيبة للبرجوازية الليبرالية المعادية للثورة . ولـ « روسكايي بوغاتستفو »

اتجاهها الشعبي ، الشعبي ـ الكاديتي ، لكنه اتجـــاه حافظ على خطه عشرات السنين . و لـ « سفريمي ميز » (العالم المعاصر) اتجاهها المنشفيكي ـ الكاديتي جزئياً (مع ميل حالي نحو المنشفية الحزبية) ، لكنه اتجاه على أي حال . اما المجلة التي ليس لها اتجاه فشيء غير مقبول ، شيء سمج ، فاضح وضار . وأي اتجاه يمكن أن يكون لمجلة مـــع وجود امفيتياتروف « مشاركاً استثنائياً » فيها ؟ ! فلوباتين لا يستطيع ان يعطيها اتجاها . واذا صحت الاشاعات عن مساهمة كاتشوروفسكي فيها (وقيل ان هذه الاشاعات قد وجدت طريقها الى الصحف ، فسيكون للمجلة اتجاه ، لكنه اتجاه البليدين ، اتجاه اشتراكي توري .

عندما تحدثنا في الصيف وقلت لك اني كدت انتهي من الكتابة اليك بشأن « اعترافات » ، لكني لم أبعث الرسالة بسبب الانشقاق الذي بدأ مع الماخيين ، أجبت : « وعبثاً لم ترسله » . ثم لمتني لأني لم أذهب الى مدرسة كابري ، وقلت ان انشقاق الماخيين والاوتزوفيين كان يمكن ان يكلفك قدراً اقل من توتر الأعصاب ومن هدر القوى ، لو أنه جرى في غير هذه الظروف . وبما اني لا زلت اذكر احاديثنا هذه ، قررت ان اكتب اليك دون تأخير ، ودون انتظار لأي تدقيق ، ان اكتب فوراً وأنا لا زلت تحت تأثير الانطباع المباشر الذي أحدثه في هذا الخبر . اعتقد ان مجلة سياسية واقتصادية سميكة يشارك فيها امفيتياتروف مشاركة « استثنائيـة » أسوأ بمرات كثيرة من مجموعة الماخيين الاوتزوفين : فالشيء السيء في هذه المجموعة هو ان اتجاهها **الفكري** كان يبتعد ، ولا يزال يبتعد ، عن الماركسية ، عن الاشتراكية الديمقراطية ، وهي ، مع ذلك ، لا تفصح علناً عن انفصالها عن الماركسية بل تحاور وتداور تمويها وتضليلاً .

مجلة امفيتياتروف (وقد احسنت « كراسنايي زنامیا » « العلم الأحمر » التي أصدرها فيما مضى امفيتياتروف نفسه صنعاً بأن ماتت في اوانها) هي اعلان

سياسي ، عمل سياسي ليس فيه حتى ادراك ان «اليسارية» بوجه عام اصبحت شيئاً قليلاً بالنسبة للسياسة ، وانه لم يعد بامكان المرء عام ١٩٠٥ ، ولم يعد مقبولاً منه ، ان يتحدث في السياسة دون ان يوضح موقفه من الماركسية ، ومن الاشتراكية الديمقراطية .

إنه لأمر سيء ، مزاجي حزين .

لينينك

تحية اخوية الى ماريا فيودوروفنا .

باريس

ج ٤٨ ص ٣ - ٥

★ ★ ★

من رسالة الى

أ. م. غوركي

١٩١١/١/٣

... بخصوص تولستوي اشاطرك رأيك كاملا في ان المرائين والنصابين سيحاولون ان يصنعوا منه قديساً . وقد جن جنون بليخانوف ايضاً من الاكاذيب والتذلل لتولستوي . وقد التقت افكارنا على هـــذا الأمر ، فهو يلوم مجلتنا « ناشازاريا » (*) على هذا ، كما فعلت الشيء نفسه في « ميسيل » (اليوم سيصدر العدد الأول منها،هنئني - فمجلتنا الصغيرة في موسكو ماركسية . لقد غمرتنـــا الفرحة اليوم) . وفي العدد الأول من « زفيزدا » (التي صدرت في بطرسبوغ في ١٢/١٦) مقالة جيدة لبليخانوف [٢١] مع ملاحظة تافهة لمنا هيئة التحرير عليها. على الأرجح ان هذا الغبي إيوردانسكي قد كتبهامع بونتش ! اين « السوفريمينيك » لتحارب « اسطورة تولستوي ودينه » . هل يستطيع فودونوروف ولوباتين ان يفعلا ذلك ؟ لا بد انك تمزح .

وانه لما يعزي ، في رايي ، انهم اخذوا يضربون الطلاب . اما تولستوي فلا يجوز لنا ان نغفر له تشاؤمه وفوضويته وشعبيته ودينه ...

ج ٤٨ ص ١١ - ١٢

(*) ومعناها « فجرنا » .

الى أ. م. غوركي

كراكوف ١ / ٨ / ١٩١٢

عزيزي أ. م. !

استلمت رسالتك ورسالة السيبيريين . عنواني الآن ليس باريس بل كراكوف – انظر الى الأعلى .

لم أفهم تماماً من أي حزب تريد أن تطردني. أليس من حزب الاشتراكيين الثوريين ؟

دع المزاح جانباً . لقد اتبعت اسلوباً رديئاً ، اسلوباً ضيق الأفق ، برجوازياً ، في التملص من المشكلة بقولك : « جميعكم ماحكون » . هلا نظرت الى الأدب الاشتراكي الثوري الجديد ، انظر الى « بوتشين » (المبادرة) «واخبار منظمة المغتربين المحلية » وقارنها « بريفو لوتسيونايا ميسل » (الفكر الثوري) « وريفولو تسيونايا روسيا »[٢٢] (روسيا الثورية) وبروبشين[٢٣] ايضاً الخ .. ثم تذكر « الفيخي » ونقاش (ما يسمى بنقاش) ميلوكوف وغريديسكول معها (لقد اكتشف غريديسكول هذا الآن ، وهو أنه لا ضرورة لثورة ثانية في روسيا) الخ الخ ..

قارن هذا كله ، قارن مجمل التيارات الفكرية بين عامي ١٩٠٨ – ١٩١٢ في صفوف الاشتراكيين الثوريين وجماعات العمل وأصحاب « بيزاغلافيا »[٢٤] والكاديت ، بما كان ولا زال يحدث عند الاشتراكيين الديمقراطيين (سيقوم

أحدهم يوماً ما ، ولربما كان مؤرخاً ، بهذه المقارنة حتماً) ، وسترى أنهم جميعاً، جميعاً بالحرف الواحد ، ما عدا الاشتراكيين الديمقراطيين قد طرحوا المسائل نفسها (المسائل نفسها بالحرف الواحد)التي انشقت بسببها عندنا المجموعات الصغيرة عن الحزب باتجاه التصفوية والاوتزوفية .

ويحب البورجوازيون والليبراليون والاشتراكيون الثوريون، الذين يقفون موقفاً غير جاد من المسائل الملحة ، ويتسترون وراء ظهور الآخرين ويناورون ويقنعون بالانتقائية ، أن يصرخوا مشهرين «بالماحكات» في صفوف الاشتراكيين الديمقراطيين. وميزة الاشتراكيين الديمقراطيين عليهم جميعاً أن الصراع ذا الجذور الفكرية العميقة والواضحة ، الذي يدور الآن بين مجموعاتهم المختلفة، يأخذ شكل المشاحنة ،أمّا مشاحناتهم هم فمصقولة ملمعة في مظهرها، فارغة تافهة وحقيرة في محتواها. وإني غير مستعد أبداً، ومهما كلّف الأمر ، لأن استبدل هذا الصراع الحاد القائم بين التيارات المختلفة في صفوف الاشتراكيين الديمقراطيين بالتفاهة والبشاعة المصقولتين في صفوف الاشتراكيين الثوريين وشركاهم ..

ج ٤٨ ، ص ٨٠ – ٨١

من رسالة الى

أ. م. غوركي

... لـك مقالات غير ناجحة في « زابروسي جيزني »[٢٥] . وبالمناسبة غريبة هذه المجلة التصفوية ـ الفيخية ـ المعبرة عن جماعات العمل . وعلى أي حال إنه حزب لا طبقي ، إصلاحي ...

ج ٤٨ ، ص ٨٥

★ ★ ★

من رسالة الى هيئة تحرير صحيفة « البرافدا »

أيها الزميل المحترم !

كتبت نزولاً عند رغبتكم إلى غوركي ، وتلقيت اليوم منه جواباً يقول فيه : « ابعث بالمذكرة المرفقة إلى « البرافدا » . لا يليق التحدث بشأن المكافأة. سأعمل في الصحيفة وسأباشر عمّا قريب إرسال مخطوطات اليها . لم استطع أن افعل ذلك حتى الآن لأني كنت مشغولاً إلى درجة كبيرة جداً ، فأنا أعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم وظهري يكاد يكسر » .

مزاج غوركي، كما ترون، ودي(*). وآمل أن تردوا عليه باللهجة نفسها ، وأن تهتموا بإرسال البرافدا إليه بانتظام . وقد تتعثر الإرسالية فعليكم أن تتحققوا ، وتتحققوا شخصياً من الأمر من آن لآخر .

ابعثوا الأخبار التي قد تهمه وبعض المخطوطات (إليّ لأوصلها إليه) إذا أردتم أن تحافظوا على مزاجه الودي .

٢ / ١١ / ١٩١٢

ج ٤٨ ، ص ١٠٥ — ١٠٦

(*) أرفق بهذه الرسالة رسالة غوركي إلى «سوفريمي مير» ليسلموكم « القصص». خذوها بأقصى سرعة .

الى أ. م. غوركي

عزيزي الكسي مكسيمتش !

أبعث إليك اليوم طرداً بريدياً مسجلاً هو عبارة عن بداية رواية لنشرها في « بروسفيشينيا » . ونعتقد أنك لن تعارض في ذلك . أما إذا كنت من المعارضين ، خلافاً لتوقعنا ، فأبرق إلى « بروسفيشينيا » : « أجلوا فويتينسكي » أو « لا تنشروا رواية فويتينسكي » .

إن ما علمته من أن « بلشفيكياً » ، وإن كان بلشفيكياً سابقاً، يعالجك بطريقة جديدة قد أثار قلقي . أنقذنا يا الله من الأطباء الرفاق بعامة ، والأطباء البلاشفة بخاصة ! إن ٩٩٪ من الأطباء الرفاق « حمير » كما قال لي أحد الأطباء الجيدين وأؤكد لك أنمن واجبك أن تعالج نفسك (باستثناء الحالات البسيطة) عند مشاهير من الدرجة الأولى فقط . أما أن تجرّب على نفسك اكتشافات بلشفيكي فهذ أمر فظيع ! يلزمك مراقبة أساتذة البندقية فقط ، إذا كان هؤلاء الأساتذة يعرفون بالفعل . . . لا أعلم إذا كنت ستأتي في الشتاء . على أي حال سافر إلى أطباء من الدرجة الأولى في سويسرا وفينا . سيكون أمراً لا يغتفر أن لا تفعل ذلك . كيف صحتك الآن ؟

ليننيتك

أول تشرين الثاني ١٩١٣

ج ٤٨ ص ٢٢٤

الى مؤلف « اغنية الصقر »

سيقرأ كل عامل واعٍ ، والألم يحزّ في قلبه ، اسم غوركي الى جانب اسم ب. ستروفي موقعاً على الاحتجاج الشوفيني الكهنوتي ضد الهمجية الألمانية .

لقد قال غوركي ذات مرة أثناء حديث دار بمناسبة شالابين : « يجب ألا نقسو في الحكم عليه الى هذه الدرجة . فلنا ، نحن الفنانين ، نفسية مختلفة » . وبعبارة اخرى : إن الفنان كثيراً ما يتصرف بتأثير مزاجه الذي يصل الى قدر من القوة يبطل أي تصورات أخرى . .

ليكن الأمر كذلك . ولنفرض انه لا يجب ان نقسو في الحكم على شالابين ، فهو فنان وحسب . إنه بعيد عن قضية البروليتاريا ، فقد يكون صديق العمال اليوم ومن جماعة المائة السود في الغد . . وفقاً لمزاجه .

اما غوركي فقد اعتاد العمال على اعتباره واحداً منهم . وكانوا يعتقدون دوماً انه يهتم بقضية البروليتاريا نفس اهتمامهم الحار بها ، وانه كرّس موهبته لخدمة هذه القضية .

ولهذا نراهم يكتبون الى غوركي رسائل تحية ، ولهذا نرى اسم غوركي عزيزاً عليهم . وتفرض ثقة العمال الواعين هذه على غوركي واجباً معيناً هو أن يحافظ على سمعته الطيبة ، وان لايترك اسمه يظهر على احتجاجات شوفينية رخيصة تؤدي الى تضليل العمال الواعين ، الذين ليس في مقدورهم بعد ، أن يتفهموا كثيراً

من الأمور ، وقد يضللهم اسم غوركي . إن اسم ستروفي لن يضلل أي عامل ، أما اسم غوركي ففي مقدوره أن يفعل ذلك .

ولن يستطيع العمال الواعون الذين يفهمون زيف هذا الاحتجاج المرائي ضد « الألمان البرابرة » وخساسته ، إلا أن يلوموا صاحب « اغنيـــة الصقر » ، وسيقولون له : « كنا ننتظر منك في هذا الظرف العصيب الذي تعيشه البروليتاريا الروسية ان تسير يداً بيد مع مناضليها التقدميين ، لا مع السيد ستروفي وشركاه! »

طبع في ٥ / ١٢ / ١٩١٤
ج ٢٦ ص ٩٦–٩٧

★ ★ ★

من رسالة الى

م. ن. بوكروفســـكي

... صـح . يقال إن بوتريسوف ينضم الى دار النشـر !! [٢٦] وأن الـكاتب الشهير وافق على ذلك !! هـذه فضيحة ، فضيحة لا يمكن تصديقهـــا ، أليس كذلك ؟

كتبت في ٣١ / ٨ / ١٩١٦
فلومس (سويسـرا)
ج ٤٩ ص ٢٨٥

★ ★ ★

من رسالة الى

أ. غ. شليابنيكوف

... لاأستطيع أن اتابع الكلام اكثر من ذلك في الحديث عن «توحيد» النظرية . فقد تمسك الأعداء بنكرانهم الغبي لأهمية الديمقراطية (بوتريسوف في العدد الأول من « ديلا ») . وبازاروف اقترف الغباء نفسه في « ليتوبيس »[٢٧]، وبوغدانوف يتكلم كلاماً فارغاً مختلفاً ، لكنه يقوله في « ليتوبيس » أيضاً . هناك حلف مشبوه جداً من الماخيين وخصومهم . يا له من حلف شنيع ! يكاد يكون من المستحيل تحطيمه . . أن نحاول إنشاء حلف مع الماخيين ضد خصومهم ؟ امكانيات نجاحه تكاد تكون معدومة !! غوركي دائماً ضعيف الارادة جداً في السياسة ، وينساق وراء العاطفة والمزاج ...

كتبت بعد ٣ / ١٠ / ١٩١٦

زيوريخ

ج ٤٩ ص ٢٩٩

ـــ رسائل من بعيد ـــ

من الرسالة الرابعة

« كيف نحصل على السلام ؟ »

انتهيت الآن فقط (١٢ (٢٥) آذار) من قراءة الخبر التالي الذي حملته أسلاك البرق من برلين (في العدد ٥١٧ تاريخ ٣/٢٤ من « صحيفة زيوريخ الجديدة » .

« وصلت أنباء من السويد تقول إن غوركي قد بعث الى الحكومة والى اللجنة التنفيذية رسالة تحية حماسية ، يحيي فيها انتصار الشعب على أساطين الرجعية ويدعو أبناء روسيا كلهم الى المساعدة في بناء الدولة الروسية الجديدة، كما يدعو ، في الوقت نفسه ، الحكومة إلى أن تكلّل هذا العمل التحرري بعقد الصلح . ولا ينبغي أن يتم السلام مهما كلّف الأمر (هكذا) ، فلدى روسيا الآن من الاسباب لعقد مثل هذا السلام أقل ممّا كان لديها في أي وقت مضى ، بل ينبغي أن يسود سلام تتمكن روسيا معه من ان تعيش بشرف مع غيرها من شعوب الأرض . كفى البشرية ما نزفته من دم . إن الحكومة الجديدة ستؤدي خدمة عظيمة لا لروسيا وحدها ، بل للانسانية جمعاء ، إذا نجحت في عقد الصلح بسرعة » .

هكذا نُقلت رسالة م . غوركي .

إن المرء ليشعر بالمرارة وهو يقرأ هذه الرسالة المشبعة أوهاماً تافهة وشائعة .

ولقد سنحت الفرصة لكاتب هذه الأسطر خلال لقاءاته بغوركي في جزيرة كابري ان يحذّره ويلومه على أخطائه السياسية . وكان غوركي يردّ على هذا اللوم بابتسامة لطيفة لا يمكن محاكاتها وبإعلانه الصريح الصادق : « أعرف أني ماركسي سيىء، ثم اننا ، نحن الفنانين ، أناس لا نستطيع أن نتمالك أنفسنا » . ليس من السهل حقّاً الردّ على هذا .

لامراء في أن غوركي ذو موهبة فنية هائلة ،وقد عاد على الحركة البروليتارية العالمية وسيعود عليها بالخير العميم .

لكن لماذا يخوض غوركي غمار السياسة ؟

في رأيي أن رسالة غوركي تعبّر عن أوهام منتشرة انتشاراً واسعاً ، لا في أوساط البرجوازية الصغيرة فقط ، بل في قسم من العمال الواقعين تحت تأثيرها أيضاً . وعلى قوى حزبنا كلها ، وعلى جهود عمالنا الواعين كلها ، أن توجه للنضال العنيد والمتواصل والمختلف الجوانب ضد هذه الأوهام .

لقد بدأت الحكومة القيصرية الحرب الحالية وقادتها بوصفها حرباً **امبريالية** ، حرب نهب ولصوصية ، هدفها سلب الشعوب الضعيفة وخنقها . وما حكومة غوتشكوف وميلوكوف وأمثالها إلا حكومة اقطاعية ورأسمالية مضطرة إلى متابعة **مثل هذه الحرب بالضبط** ، وتريد متابعتها والتوجه . الى هذه الحكومة باقتراح عقد صلح ديمقراطي كدعوة القائمين على بيوت الدعارة الى عمل الخير . . .

ن. لينين

زيوريخ ١٢ (٢٥) / ٣ / ١٩١٧
ج ٣١ ص ٤٨ - ٤٩

من رسالة الى ن . ك . كوروبسكايا

٩ / ٧ / ١٩١٩

عزيزتي ناديوشا !

سررت جداً بوصول أخبارك . لقد بعثت ببرقية الى قازان ، وعندما لم استلم رداً عليها ، بعثت بأخرى الى نيجني . وقد أجابوني بأن السفينة « كراسنايا زفيزدا » يجب أن تكون في قازان في ٨/٧ ، وستتوقف هناك لا أقل من أربع وعشرين ساعة. وقد طلبت في هذه البرقية أن تحجز غرفة لغوركي على ظهر السفينة. سيصل غوركي إلى هنا غداً، وبودّي ان أسحبه من بطرسبرغ حيث توترت أعصابه وأرهق. آمل أن تسرّي أنت والرفاق الآخرين بالسفر مع غوركي . انه انسان لطيف جداً ، انما له بعض النزوات أحياناً ، لكن هذه أشياء تافهة . . .

ج ٥٥ ص ٣٧٣ — ٣٧٤

الى أ . م . غوركي

٣١ / ٧ / ١٩١٩

عزيزي الكسي مكسيموفتش !

بقدر ما اتمعن في قراءة رسالتك ، وبقدر ما أفكر بعلاقة استنتاجاتك بما عرضته في رسالتك (وبما اخبرتني اياه اثناء لقاءاتنا) ، أصل اكثر فاكثر الى الاقتناع بان رسالتك هذه واستنتاجاتك وانطباعاتك كلها مريضة تماماً .

لقد أصبحت بطرسبرغ في الأيام الاخيرة واحداً من اكثر المراكز اصابة بالامراض ، وهذا مفهوم لأن سكانها هم الذين تحملوا اكثر من غيرهم ، وعمالهم هم الذين بذلوا من خيرة قواهم اكثر مما بذل غيرهم . المجاعة ثقيلة الوطأة ، وكذلك خطر الحرب . واعصابك لم تعد تتحمل هذا كله على ما يظهر . ليس هذا بالأمر بالغريب . لكنك لازلت على عنادك حين يقال لك إن عليك أن تغير مكان إقامتك ، إذ ليس من العقل في شيء ان تترك اعصابك تنهار حتى درجة المرض ، ليس من العقل في شيء حتى من اكثر وجهات النظر فظاظة ، هذا إذا لم نتكلم عن وجهات نظر أخرى .

ففي رسالتك ، كما في أحاديثك ، مجموعة من انطباعات مريضة تؤدي بك إلى استنتاجات مريضة .

فأنت تبدأ من الزحار والكوليرا ثم تتكلم مباشرة بحقد عن « الإخاء والمساواة » . بدون وعي تحدث هذا كله ، والنتيجة تبدو كأن الشيوعية سبب فقر المدينة المحاصرة وحاجتها وأمراضها .

ثم تلقي بنكات شريرة غير مفهومة ضد أدب « الاسوار » (أي أدب ؟ ولماذا يكون مرتبطاً بكالينين ؟)والنتيجة تبدو كأن « بقايا تافهة من العمال العاقلين » تقول « انها وقعت غدراً في أسر الموجيك » .

ولكن هذا كلام سخيف . هل المتهم في خيانة العمال لصالح الموجيك هو كالينين ؟ هذه هي النتيجة .

إن من يستطيع أن يختلق مثل هذه الترهات إما عمال اغبياء غير ناضجين بتاتاً من الذين يستخدمون الجملة « اليسارية » بدلاً ان يستخدموا رؤوسهم ، وإما عمال تهافتت أعصابهم ، عمال متألمون ، جائعون ، مرضى ، وإما « بقايا الارستقراطية » التي تعرف تماماً كيف تشوه كل شيء ، وتعرف تماماً كيف تستغل أي شيء تافه لتنفس عن حقدها المسعور على السلطة السوفيتية . وهذه البقايا تذكرها انت في رسالتك . ومزاجها هو الذي يؤثر عليك هذا التأثير المرضي .

تقول إنك ترى « أناساً من مختلف الفئات » . أن ترى ، فهذا شيء ، وأن تشعر باحتكاكهم بك كل يوم في الحياة فهذا شيء آخر . وانك لتشعر باحتكاك « هذه البقايا » بك اكثر مما تشعر بغيرها ، لأنك مجبر على الأقل بحكم مهنتك وبحكم وضعك الحياتي ،على « استقبال » عشرات من المثقفين البرجوازيين الحاقدين .

وتدعي أن هذه « البقايا » « تكن للسلطة السوفيتية ما يشبه العطف » ،في حين ان « غالبية العمال » تصدر لصوصاً وشيوعيين مندسين الخ ! ثم تخلص الى ان الثورة لا يمكن صنعها بمساعدة اللصوص ، ولا يمكن صنعها بدون المثقفين .

هذه نفسية مريضة ، زاد توترها بسبب وجودها في وسط مثقفين برجوازيين حاقدين .

اننا نعمل كل ما في وسعنا على اشراك المثقفين (غير البيض) في النضال ضد اللصوص . ومع كل شهر تنمو في الجمهورية السوفيتية نسبة المثقفين البرجوازيين

الذين يساعدون العمال والفلاحين **باخلاص**، وليس فقط نسبة المثقفين الذين يتأففون وينفثون سعار غضبهم. لا يستطيع المرء أن « يرى » هذا في بطرسبرغ ، فهي مدينة فيها عدد كبير غير عادي من البرجوازيين (ومن المثقفين ايضاً) فقدوا مكانهم (ورأسهم) . لكن هذا واقع لاشك فيه بالنسبة لروسيا كلها .

ويمكن للمرء في بطرسبرغ ، أو من بطرسبرغ، أن يقتنع بهذا ،إذا كان ذا اطلاع سياسي واسع جداً ، وذا تجربة سياسية واسعة جداً ، انت لا تملكها. وما تهتم به انت ليس السياسة ، ولا ملاحظة عملية البناء السياسي ، بل مهنة خاصة تحيطك من كل جانب بمثقفين برجوازيين حـــاقدين لم يفهموا شيئاً ، ولم ينسوا شيئاً ، ولم يتعلموا شيئاً ، أو انك محاط في احسن الأحوال ، وهذا نادر جـداً، بمثقفين تائهين يائسين متذمرين يرددون أوهاماً قديمة ، مذعورين يهول بعضهم على البعض الآخر .

وإذا كان لك أن تلاحظ ما يجري ، فعليك أن تلاحظه في الاسفل ، في المحلة العمالية ، أو في القرية ، حيث يمكنك أن تراقب عملية بناء الحياة الجديدة . فهناك لا يتحتم على المرء ان يحيط سياسياً بمجمل المعطيات المعقدة جداً، بل يكفيه أن يلاحظ فقط . أمـــا انت فقد وضعت نفسك ، بدل ذلك ، في موضع محرر محترف للترجمة الخ ، وهـو موضع لا يمكنك منه ان تلاحظ بناء الحياة الجـديدة بشكل جديد ، موضع تنصرف فيه القوى كلها الى تأفف مرضي لمثقفين مرضى ، والى ملاحظة العاصمة « القديمة » في ظروف خطر حرب عنيفة وجوع رهيب .

لقد وضعت نفسك في موضـع **لاتستطيع منه** ان تلاحظ بشكل مباشر الجديد في حياة العمال والفلاحين ، اي ٩/١٠ سكان روسيا ، في موضع يضطرك ان تلاحظ فقط اقساماً من حياة العاصمة القديمة التي ذهبت نخبة عمالها الى الجبهات والى القرية ، والتي بقيت فيها نسبة كبيرة جداً من مثقفين لا مكان لهـم ولا عمل لهم ،

« **يحاصرونك** » عن **قصد** ، امـــا انت فـلا زلت ترفض باصرار كافة النصائح بمغادرة المدينة .

من المفهوم انك اوصلت نفسك الى المرض . فأنت تقول إن الحياة لم تعد صعبة عليك وحسب ، بل اصبحت بغيضة !! بالتأكيد انك **لاتستطيع** ، بوصفك فناناً ، ان تلاحظ وتدرس ، هنا ، الجديد في الجيش او الجديد في القرية او الجديد في المعمل ، عند ما تسمر نفسك في وقت كهذا الى امرض مركز ، بوصفك محرراً لقسم الترجمة (افضل مهنة لمراقبة الناس ، للفنان !) . لقد حرمت نفسك امكانية ان تعمل ما يرضي الفنان فيك . ففي بطرسبرغ يمكن العمل في السياسة ، لكنك لست بسياسي . اليوم زجاج يحطم عبثاً ، وغداً طلقات رصاص وانات تصعد من السجون ، ثم ثار من خطب اكثر الناس تعباً من الذين بقوا في بطرسبرغ من غير العمال ، ومليون انطباع من المثقفين ، مثقفي العاصمة الذين بقوا بدون عاصمة ، ومئات الشكاوى من المهانين ، ثم **لاتستطيع** ان ترى خارج اوقات عملك اي بناء للحياة (وهذا البناء يجري بشكل خاص وفي بطرسبرغ اقل مما في غيرها) فكيف لا يصل بك الأمر الى ان ترى الحياة وقد اصبحت كريهة عليك .

إن بلدنا يعيش في حمى الصراع ضـــد برجوازية العالم كله ، برجوازية تحاول ، مسعورة ، الانتقام لسقوطها . هـذا شيء طبيعي . والضربات الأولى تأتي من كل **جهة** بسبب **الجمهورية السوفيتية الاولى** وهذا شيء طبيعي . فعـلى المرء ان يكون سياسياً نشيطاً ، وإذا كانت نفسه لا تميـل الى السياسة ، فعليه ، إذا كان فناناً ، ان يلاحظ كيف تبنى الحياة بناء جديداً في القرية او في معمل في الريف (او على الجبهة) ، حيث لا يوجد مركز الهجوم المسعور على العاصمـة ، والنضال المسعور ضد المؤامرات ، وحقد مثقفي العاصمـة المسعور . هناك يمكن للفنان ان يفرق ، بملاحظة بسيطة ، تفسخ القديم وبواكير الجديد .

لقد اصبحت الحياة كريهة ، « والخلاف » مع الشيوعيـة « يزداد عمقاً ».

اما فيما الخلاف فأمر لا يمكن إدراكه ، إذ ليس في رسالتك ظل من اشارة الى الاختلاف في السياسة ، أو الأفكار. الاختلاف فقط في **المزاج** بين أناس يمارسون السياسة ، او يستغرقهم الصراع المحموم ، وبين مزاج انسان قبع ، بشكل مصطنع ، في مكان لا يستطيع معه ان يلاحظ الحياة الجديدة ، انسان تتملكه انطباعات التعفن في العاصمة الضخمة للبرجوازية .

لقد قلت لك صراحة ما بعثته فيّ رسالتك من خواطر . وقد كنت اقترب منذ زمن بعيد (من خلال أحاديثنا في كابري) من هذه الأفكار نفسها ، لكن رسالتك أكملت وصاغت بمجمل الانطباعات التي بعثتها فيّ احاديثك . لا أريد أن أثقل عليك بنصائحي ، لكني أريد أن أقول لك شيئاً واحداً : بدل جوك ووسطك ومكان إقامتك وعملك وإلا ستسأم الحياة نهائياً .

أشد على يدك .

لينينك

ج ٥١ ص ٢٣ – ٢٧

★ ★ ★

الى ا. م. غوركي

٩/١٥

عزيزي الكسي مكسيموفتش .

استقبلت تونكوف ، وكنا قد قررنا في اللجنة المركزية قبل أن استقبله وقبل أن اتلقى رسالتك ، أن نعين كامينيف وبوخارين للتحقيق في توقيف المثقفين البرجوازيين الميالين الى الكاديت ، وللافراج عمن نستطيع الافراج عنه . إذ من الواضح بالنسبة لنا أنه وقعت هناك اخطاء .

ومن الواضح كذلك أن اعتقال الكاديت (والمقربين منهم) كان ، على وجه العموم ، إجراء ضرورياً وصحيحاً .

وعندما أقرأ رأيك الصريح بهذا الخصوص ، اذكر عبارتك التي استقرت في ذاكرتي بنوع خاص خلال أحاديثنا (في لندن ثم في كابري) : « إننا ، نحن الفنانين ، أناس لا نستطيع أن نتمالك أنفسنا » .

هكذا بالضبط ! تتفوه بكلمات غاضبة بشكل لا يصدق في كل مناسبة بسبب أن بضع عشرات (أو حتى بضع مئات) من السادة الكاديت والمقربين سينزلون السجن لبضعة أيام تداركاً لمؤامرات من نوع تسليم كراسانيا غوركا[٢٨]، لمؤامرات تهدد حياة عشرات الآلاف من العمال والفلاحين .

يا لها من مصيبة ؟ يا له من ظلم ! بضعة أيام او بضعة اسابيع من السجن للمثقفين تداركاً لهلاك عشرات الالوف من العمال والفلاحين !

« الفنانون أناس لا يستطيعون أن يتمالكوا أنفسهم » .

ليس من الصحيح الخلط بين « قوى الشعب الفكرية » وبين « قوى » المثقفين البرجوازيين . وسآخذ من كورولنكو مثالاً : فقد قرأت منذ فترة وجيزة كراساً كتبه في آب ١٩١٧ تحت عنوان « الحرب والوطن والانسانية » . وكورولنكو واحد من أفضل « المتعاطفين مع الكاديت » ويكاد يكون منشفيكيا . لكن أي دفاع كريه ، سافل وشنيع ومتستر وراء الكلمات المعسولة هو دفاعه عن الحرب الامبريالية ! يا له من برجوازي صغير ، أسير الأوهام البرجوازية ! ان ١٠٠٠٠٠٠٠ من القتلى في حرب امبريالية قضية تستحق المساعدة بالنسبة لهؤلاء السادة (والمساعدة **بالاعمال** ممزوجة بجمل معسولة « ضد » الحرب) ، أما بضع مئات من الآلاف في حرب أهلية **عادلة** ضد الاقطاعيين والرأسماليين فيثير فيهم الآهات والحسرات والهيستيريا .

كلا . ليس من الخطأ أن تمضي « مثل هذه المواهب » بضعة اسابيع في السجن ، اذا كان هذا ضرورياً لتدارك المؤامرات (كمؤامرة كراسنايا غوركا) وهلاك عشرات الألوف . لقد اكتشفنا مؤامرات الكاديت و « المتعاطفين » معهم هذه. **ونعرف** ان الأساتذة المتعاطفين مع الكاديت يقدمون **لهؤلاء المساعدة** باستمرار . وهذا واقع .

ان قوى العمال والفلاحين الفكرية تنمو ويشتد ساعدها في النضال لاسقاط البرجوازية واعوانها ، المثقفين الحقيرين ، خدم رأس المال الذين يدعون أنهم دماغ الأمة ، وهم ليسوا في الواقع دماغها ، بل . . .

نحن ندفع « للقوى الفكرية » التي ترغب في ايصال العلم للشعب (لا أن تخدم رأس المال) مرتبات **اعلى من الوسط** . وهذا واقع . نحن نحافظ عليها . وهذا واقع . ان عشرات الآلاف من الضباط تخدم في الجيش الأحمر وتنتصر رغم انف مئات الخونة . وهذا واقع .

أما بخصوص مزاجك فأنا أفهمه تماماً ، افهمه (ما دمت تتساءل عما اذا كنت افهمك) . وقد قلت لك اكثر من مرة في كابري وبعدها : انك تحيط نفسك بأسوأ عناصر المثقفين البرجوازيين ، وتستسلم الى تذمراتها . انك تسمع عويل مئات من المثقفين بصدد الاعتقال « المرعب » لبعض منهم عـــدة أسابيع وتصغي اليه ، أما صوت الجماهير ، صوت الملايين ، صوت العمال والفلاحين الذين يتهددهم دينيكين وكولتشاك وليانوزوف ورودزيانكو والمتآمرون الكراسناغوركيون و (**والكاديت** الآخرون) ،اما هذا الصوت فلا تسمعه ولا تصغي اليه . افهم تماماً ، افهم تماماً ، تماماً ان بالامكان ليس فقط القول ان « الحمر ، كالبيض ، اعداء الشعب » (كذا) ، (وان المناضلين لاسقاط الرأسماليين والاقطاعيين اعداء للشعب كالاقطاعيين والراسماليين) ، بل الايمان بالله وبالقيصر ابينا . افهم تماماً .

ستهلك ، والله ، ان لم تتخلص من محيط المثقفين البرجوازيين هـذا . اتمنى لك من صميم قلبي ان تتخلص منه بأسرع ما يمكن .

افضل تحياتي .

لينينك

★ فأنت لا تكتب ! ان تستنفذ قواك على تذمرات مثقفين عفنين ولا تكتب ــ اليس هذا هلاكاً بالنسبة لفنان ، اليس هذا عاراً ؟

كتب في ١٩١٩/٩/١٥
ج ٥١ ص ٤٧ - ٤٩

مشروع قرار مقدم للمكتب السياسي

للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)

حول مقالات أ. م. غوركي في مجلة « الانترناسيونال الشيوعي »

اقترح على المكتب السياسي القرار التالي بعد جمع التواقيع عليه :

يعتبر المكتب السياسي للجنة المركزية نشر **مقالات** غوركي في العدد الثاني عشر من « الانترناسيونال الشيوعي » أمراً غير ملائم بتاتاً ، وخصوصاً المقالة الافتتاحية[٢٩] ، لا لأن هذه المقالات لا تتضمن **أي شيء** شيوعي **فقط** ، بل لأن فيها الكثير من الأشياء **المعادية للشيوعية** . **ويمنع** في المستقبل منعاً باتاً وبأي صورة كانت نشر **مثل** هذه المقالات في « الانترناسيونال الشيوعي » .

لينين(*)

كتب في ٣١ / ٧ / ١٩٢٠

(*) وقع على المشروع أيضاً تروتسكي وكريستينسكي وكالينين .

الى ف. م. مولوتوف

لعرضها على أعضاء المكتب السياسي

للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)

كتب إلي كريستينسكي يقول إن غوركي قد غادر ريغا بدون مال تماماً ، وأنه يضع أمله في استلام مكافأة من ستومونيا كوف على اصدار كتبه . ويعتقد كريستينسكي أن من الضروري ادراج غوركي في قائمة الرفاق الذين يعالجون في الخارج على حساب الحزب أو حساب مجلس مفوّضي الشعب . ولهذا اقترح أن يقدم لكريستنسكي اقتراح عبر المكتب السياسي بإدراج غوركي في عداد هؤلاء الرفاق وبالتأكد من أن غوركي قد زوّد بما يكفيه من المال للمعالجة[٣٠] .

لينين

كتبت في ١٢ كانون الأول ١٩٢١

من مُؤلّفاتِهِ في العَهْدِ السّوفِيْتي

مقتطفات من الفصل الخامس من مؤلف

« الدولة والثورة »

« تعاليم الماركسية الخاصة بالدولة ومهام البروليتاريا في الثورة »[٣١]

٣ ــ المرحلة الأولى في الشيوعية

يفند ماركس بالتفصيل في « نقد برنامج غوتا »[٣٢] فكرة لاسال القائلة بان العامل ينال في عهد الاشتراكية « نتاج عمله كاملاً » أو « غير منقوص » . ويبين ماركس أنه لابد أن تقطع من مجموع العمل الاجتماعي للمجتمع كله مخصصات احتياطية ، ومخصصات أخرى لتوسيع الانتاج واستبدال الآلات « المستهلكة » الخ ، كما تقتطع مخصصات أخرى من مواد الاستهلاك لانفاقها على الجهاز الإداري والمدارس والمستشفيات ومآوي العجزة الخ . .

فبدلاً من كلام لاسال العام، الغائم والمبهم (« نتاج العمل كاملاً للعامل ») يبين ماركس بجلاء ووعي الكيفية التي يتعين على المجتمع الاشتراكي بالضرورة أن يدير بها اقتصاده . ويتناول ماركس بالتحليل المفصل ظروف الحياة في مجتمع لا وجود للرأسمالية فيه فيقول :

« الأمر لا يتعلق هنا » (لدى تحليله برنامج حزب العمال) بمجتمع شيوعي نشأ على أساس خاص به ، بل بمجتمع يخرج لتوه من المجتمع الرأسمالي بالذات ،

أي بمجتمع لا زال يحمل في مختلف جوانبه الاقتصادية والأخلاقية والفكرية بسبب ذلك طابع المجتمع القديم الذي خرج من أحشائه » [٣٣] .

وهذا المجتمع الشيوعي الذي خرج الى الحياة لتوّه من أحشاء الرأسمالية، ولا زال يحمل في مختلف جوانبه طابع المجتمع القديم ، هو الذي يسميه ماركس « المرحلة الأولى » أو الدنيا من المجتمع الشيوعي .

فوسائل الانتاج لم تعد ملكاً خاصاً بأفراد، بل أصبحت ملك المجتمع كله . وكل فرد من اعضاء المجتمع يؤدي قدراً معيناً من العمل الضروري اجتماعياً ، ينال من هذا المجتمع ايصالاً بكمية العمل الذي قام به . وبموجب هذا الايصال يأخذ من المخازن العامة لمواد الاستهلاك كمية مناسبة من المنتوجات . فكل عامل يأخذ من المجتمع إذاً قدر ما أعطاه ، وذلك بعد اقتطاع كمية العمل التي تذهب للمخصصات العامة .

يبدو الأمر وكأن « المساواة » تسود .

لكن لاسال يخطىء حين يقول إن هذا « توزيع عادل » ، وإن هذا « حق متساوٍ لكل فرد في كمية متساوية من نتاج العمل » ، وهو يقصد بذلك مثل هذه الأوضاع الاجتماعية (التي تسمى بالاشتراكية عادة، بينما يسميها ماركس بالمرحلة الاولى من الشيوعية) . ويوضح ماركس خطأ لاسال فيقول :

« الحقيقة أننا ، هنا ، أمام « حق متساوٍ » ، لكنه لا يزال « حقاً برجوازياً » يفترض ، كأي حق آخر ، عدم المساواة . الحق ، أي حق ، هو تطبيق مقياس واحد على أناس متباينين ، غير متشابهين ، وغير متساوين . « فالحق المتساوي » ، لهذا ، هو إخلال بالمساواة وظلم . وواقع الأمر ان كل فرد ، قام بقدر من العمل الاجتماعي يساوي ما قام به فرد آخر ، ينال حصة متساوية من النتاج الاجتماعي (بعد اقتطاع المخصصات التي أشرنا اليها سابقاً) .

إلا أن الأفراد غير متساوين : فواحدهم أقوى وثانيهم أضعف ، أولهم متزوج وثانيهم أعزب، لأحدهم عدد من الأولاد اكبر ولآخر عدد أقل وهكذا .

ويخلص ماركس الى القول :

« عندما يقوم اثنان بعمل متساوٍ ، ويسهمان بالتالي إسهاماً متسارياً في الصندوق الاجتماعي للاستهلاك ، ينال احدهما بالفعل اكثر من الآخر ، ويصبح أغنى منه الخ ، ولكي نتلافى هذا كله ، يجب ان يكون الحق غير متساوٍ ، لا أن يكون متساوياً [٣٤]... » .

فالمرحلة الأولى من الشيوعية لا تستطيع ان تعطي الناس العدل والمساواة، إذ يبقى التفاوت في الغنى ، وتبقى فروق غير عادلة . لكن **استغلال** الانسان للانسان يغدو أمراً غير ممكن ، إذ يصبح من المتعذر على الفرد ان يستولي على وسائل الانتاج ، على المعامل والآلات والارض وما الى ذلك ، ويعتبرها ملكه الخاص . وماركس ، إذ يدحض فكرة لاسال البرجوازية الصغيرة المبهمة عن « المساواة » و« والعدل » ، يوضح مسار تطور المجتمع الشيوعي ، فيبين أن على المجتمع الشيوعي ان يحطم في البدء هذا « الغبن » المتمثل في استيلاء أفراد على وسائل الانتاج . أما الغبن التالي المتمثل في توزيع مواد الاستهلاك حسب «العمل» (لا حسب الحاجة) ، فلا يستطيع هذا التطور ان يحطمه بعد .

يلوم الاقتصاديون العاميون ، ومنهم الاساتذة البرجوازيون بمن فيهم صاحبنا الروسي توغان ، الاشتراكيين دائماً لأنهم ينسون ، كما يزعمون ، وجود اللامساواة بين الناس ، « ويحلمون » بإزالة هذه اللامساواة . ولا يدل هذا اللوم ، كما نرى ، الا على جهل السادة الايديولوجيين البرجوازيين المطبق .

وماركس لا يقيم حساباً بالغ الدقة لحتمية اللامساواة بين الناس وحسب ، بل يعي ايضاً أن انتقال وسائل الانتاج الى ملكية المجتمع العامة («الاشتراكية» كما

يقال عادة) ، لا يزيل وحده نواقص التوزيع وعدم المساواة التي يتصف بها الحق البرجوازي الذي يظل سائداً ما دامت المنتوجات توزع « حسب العمل » .

ويتابع ماركس قائلاً :

« ... لكن هذه النواقص حتمية في المرحلة الأولى من المجتمع الشيوعي بشكله الذي خرج به من المجتمع الرأسمالي بعد مخاض طويل وعسير . فالحق لا يمكنه أبداً أن يكون في مستوى أرقى من النظام الاقتصادي ، وبما يرتبط به من تطور ثقافي في المجتمع [٣٥] .. » .

« فالحق البرجوازي » لا يسقط سقوطاً تاماً ، بل جزئياً فقط ، في المرحلة الأولى من المجتمع الشيوعي (التي تسمى « بالاشتراكية » عادة) ، ويسقط بقدر ما تحقق من انقلاب اقتصادي فقط ، أي بالنسبة لوسائل الانتاج وحدها . «فالحق البرجوازي » يعترف بملكية أشخاص معينين لوسائل الانتاج ، في حين أن الاشتراكية تجعل من هذه الوسائل ملكية **عامة** . بهذا القدر ، وبهذا القدر وحده يسقط « الحق البرجوازي » .

لكن هذا الحق يبقى في قسمه الآخر مع ذلك ، يبقى بوصفه ناظماً (محدّداً) لتوزيع المنتوجات وتقسيم العمل بين أعضاء المجتمع . « من لا يعمل لا ينبغي له أن يأكل » ــ هذا المبدأ الاشتراكي قد تحقق **الآن** ؛ « كمية متساوية من المنتوجات لقاء كمية متساوية من العمل » ــ وهذا المبدأ الاشتراكي قد تحقق هو أيضاً . لكن هذا ليس بشيوعية بعد ، وهو لا يسقط « الحق البرجوازي » الذي يعطي اناساً غير متساوين كمية متساوية من الانتاج مقابل كمية غير متساوية من العمل (غير متساوية فعلاً) .

يقول ماركس إن هذا « نقص » ، لكنه نقص لا مفر منه في المرحلة الأولى من الشيوعية ، إذ لا يمكن للانسان أن يعتقد ، دون أن يقع فريسة

الطوباوية ، أن الناس يتعلمون ، بعد اسقاط الرأسمالية فوراً ، العمل في سبيل المجتمع دون أي **معايير حقوقية** . ثم ان القضاء على الرأسمالية **لا يعطي فوراً** أي مقدمات اقتصادية لمثل هذا التحول .

وليس هناك من معايير إلا معايير « الحق البرجوازي » . ولهذا تبقى قائمة الحاجة إلى دولة تصون المساواة في العمل ، والمساواة في توزيع الانتاج ، بصيانتها الملكية العامة لوسائل الانتاج .

الدولة تزول عندما لا يعود للرأسماليين وللطبقات وجود ، فيستحيل بالتالي **سحق أي طبقة** .

لكن الدولة لم تزل بعد تماماً ، لأن عليها أن تصون « الحق البرجوازي » الذي يكرس اللامساواة الفعلية . إن زوال الدولة مرهون بقيام شيوعية تامة .

٤ ــ المرحلة العليا من المجتمع الشيوعي

ويستطرد ماركس قائلاً :

« . . . في المرحلة العليا من الشيوعية ، وبعد أن يزول ما يستعبد الانسان من تبعية لتقسيم العمل ، ويزول معه التناقض بين العملين الفكري والجسدي ، وحين يصبح العمل الحاجة الأولى في الحياة ، لا وسيلة عيش فقط ، وحين تتطور قوى الانتاج الى جانب تطور الأفراد تطوراً متكاملاً ، وتأخذ ينابيع الثروة الاجتماعية تتدفق بغزارة ـ عندئذ فقط يمكن تجاوز الأفق الضيق للحق البرجوازي نهائياً ، ويستطيع المجتمع بالتالي أن يكتب على رايته : من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته » [٣٦] .

الآن فقط نستطيع أن نقدر كل ما في ملاحظات انغلز من صواب ، حين سخر بلاشفقة من غباء الجمع بين كلمتي « الحرية » « والدولة » . فلاوجود

للحرية ما دامت هناك دولة ، وعندما توجد الحرية لن تكون هناك دولة .

إن الأساس الاقتصادي لزوال الدولة زوالاً تاماً هو تطور الشيوعية تطوراً عالياً ، يزول معه التناقض بين العملين الفكري والجسدي ، ويزول بالتالي أحد أهم مصادر اللامساواة **الاجتماعية** ، علماً بأنه مصدر لا يمكن بأي شكل من الأشكال القضاء عليه مباشرة بمجرّد انتقال وسائل الانتاج الى ملكية المجتمع ، وبمجرّد نزع ملكية الرأسماليين .

وسيوفر نزع الملكية هذا **امكانية** تطور قوى الانتاج تطوراً هائلاً . ولنا الحق أن نقول بثقة تامة ،ونحن نرى إلى أي حدّ لا يصدق أصبحت الرأسمالية **تعيق** الآن هذا التطور ، وكيف كان بالامكان دفع أمور كثيرة الى الأمام على أساس ما وصلت اليه التقنية العصرية ، إن نزع ملكية الرأسماليين سيطور بالضرورة قوى المجتمع الانساني الانتاجية تطويراً هائلاً . لكن الشيء الذي لا نعرفه ،ولا نستطيع أن نعرفه ، هو سرعة هذا التطور في المستقبل ، وسرعته في القضاء على تقسيم العمل ، القضاء على التناقض بين العملين الفكري والجسدي ، وفي جعل العمل « المطلب الحياتي الأول » .

ولذا لا يحق لنا الآن إلا أن نتكلم عن حتمية زوال الدولة فقط ،مع تأكيدنا على المدى الطويل الذي تستغرقه هذه العملية ، وعلى ارتباطه بسرعة تطور **المرحلة العليا** من الشيوعية ، تاركين مسألة وقت هذا الاضمحلال أو مسألة أشكاله المشخصة مسألة معلقة ، **اذ ليس بني أيدينا** من المعطيات ما يمكننا من حل هذه المسائل .

يمكن للدولة أن تزول نهائياً ، عندما يطبق المجتمع القاعدة التالية « من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته » ، أي عندما يعتاد الناس مراعاة القواعد الأساسية للحياة المشتركة ، وعندما يصبح عملهم منتجاً إلى درجة يأخذ معها كل

منهم في العمل ، طوعاً **وحسب كفاءته** . آنئذ سيتم تجاوز « الأفق الضيق للحق البرجوازي » الذي يرغم المرء على إجراء حساباته بجلافة شيلوك [٣٧] ، فلا يعمل نصف ساعة أكثر من غيره ، ولا يقبض أجراً أقل منه . ولن يتطلب توزيع المنتجات عندئذ تقنيناً من قبل المجتمع لكمية المنتجات التي يحصل عليها كل فرد من أفراد المجتمع ؛ فكل فرد سيأخذ منها « بحسب حاجته » .

من السهل القول ، من وجهة نظر برجوازية ، إن مثل هـذا التنظيم الاجتماعي « طوباوية خالصة » ،ومن السهل الهزء من الاشتراكيين لكونهم يعدون كل شخص بالحق في أن يأخـذ ، مستقبلاً ، الكمية التي يريدها من السكاكر والسيارات وأجهزة البيانو الخ.. دون أي مراقبة لعمله هذا . وبهذا الهزء تتملص حتى الآن غالبية « العلماء » البرجوازيين ، مبرهنين بذلك على جهلهم وعلى دفاعهم المغرض عن الرأسمالية .

جهلهم ـ لأنه لم يخطر ببال أي اشتراكي أن « يعد » بحلول المرحلة العليا من تطور الشيوعية . أما تنبؤ اشتراكيين عظام بحلولها ، فأمر يفترض انتاجية عمل غير الانتاجية الحالية ،وانساناً غير الانسان التافه والضيق الافق الذي يستطيع ، كالاخوة المترهبين الذين وصفهم بوميلوفسكي في روايته ، تبديد الخيرات العامة « سدى » ، والمطالبة بما هو غير ممكن .

وإلى أن تأتي المرحلة « العليا » من الشيوعية يطالب الاشتراكيون **المجتمع والدولة** برقابة **صارمة جداً** على مقياس العمل ، ومقياس الاستهلاك . لكن هذه الرقابة يجب أن تبدأ من نزع ملكية الرأسماليين ومراقبة العمال لهم ، وأن تطبق هـذه الرقابة لا من جانب دولة موظفين ، بل من جانب دولة **العمال المسلحين** .

وفحوى الدفاع المغرض عن الرأسمالية الذي يقوم بـه الايديولوجيون البرجوازيون (وأذنابهم من أمثال السيدين تسيريتيلي وتشيرنوف وشركاهما) أنهم

يستبدلون المسألة الجوهرية الملحة في السياسة **الراهنة**، وهي نزع ملكية الرأسماليين وتحويل المواطنين كلهم إلى عاملين ومستخدمين في نقابة ضخمة **واحدة**، أي في دولة **واحدة** على وجه الضبط، واخضاع عمل هذه النقابة كله اخضاعاً كاملاً لدولة ديمقراطية حقا، لدولة سوفييتات **نواب العمال والجنود**، بأحاديث ومناقشات حول المستقبل البعيد.

فعندما يتحدث عالم ما عن طوباويات غير معقولة، وعن وعود غوغائية يطلقها البلاشفة، وعن تعذر «تطبيق» الاشتراكية، ثم يردد انسان تافه ضيق الافق هذا الكلام إثره، فيتلقفه السادة من أمثال تسيريتيلي وتشيرنوف، فانهم يقصدون بذلك في الواقع الطور الأعلى، أو المرحلة العليا من الشيوعية بالضبط، وهي المرحلة التي لم يعدْ أحد «بتطبيقها»، بل لم يفكر أحدبتطبيقها، إذ ان «تطبيقها» أمر غير ممكن بوجه عام.

ونصل هنا إلى المسألة المتعلقة بالفرق العلمي بين الاشتراكية والشيوعية، وهي المسألة التي تطرق إليها انغلز فيما أوردناه سابقاً من محاكماته حول خطأ تسمية «الاشتراكيين الديمقراطيين». أغلب الظن أن الفرق بين المرحلة الأولى أو الدنيا من الشيوعية وبين مرحلتها العليا سيصبح مع الزمن هائلا من الناحية السياسية. ولكن من المضحك الاعتراف به في الوقت الحاضر، في ظل الرأسمالية. ولا يستطيع أحد وضعه في المرتبة الأولى من اهتماماته اللهم إلا بعض الفوضويين (هذا إن بقي بين الفوضويين اناس لم يستعملوا شيئاً بعد أن تحول كروبوتكين وغراف وكورنيليسين وغيرهم من «نجوم» الفوضوية «تحولاً بليخانوفياً» إلى اشتراكيين – شوفينيين أو إلى فوضويي خنادق كما عبّر عن ذلك غيه، وهو أحد الفوضويين الذين احتفظوا بالشرف والضمير).

إلا أن الفرق العلمي بين الاشتراكية والشيوعية واضح. فما يدعى عادة

بالاشتراكية ، كان ماركس يسميه بالمرحلة « الأولى » أو الدنيا من المجتمع الشيوعي . فبقدر ما تصبح وسائل الانتاج **ملكية عامة** ، يصح إطلاق كلمة « الشيوعية » على هذه المرحلة ، على أن لا ينسى المرء أن هذه **ليست** بالشيوعية الكاملة . والأهمية العظمى لشروح ماركس تتلخص في كونه يطبق في هذه النقطة أيضاً الديالكتيك المادي ونظرية التطور تطبيقاً متماسكاً ، معتبراً الشيوعية شيئاً ينشأ من الرأسمالية . فهو بحلل ما يمكن تسميته مراحل نضج الشيوعية الاقتصادي، مستعيضاً بهذا عن التعاريف السكولاستيكية المختلقة و « الملفقة » ، وعن النقاش العقيم حول الكلمات (ما هي الاشتراكية ، وما هي الشيوعية ؟) .

فالشيوعية لا يمكنها أن تكون ناضجة تماماً بعد من الناحية الاقتصادية في مرحلتها الاولى ، أو درجتها الاولى ، ولا يمكنها أن تكون خالية تماماً من تقاليد الرأسمالية او آثارها . ومن هنا كانت هذه الظاهرة التي تلفت النظر ، وهي بقاء الافق الضيق « للحق **البرجوازي** » في المرحلة الاولى من الشيوعية . فالحق البرجوازي ، إذا ما نظر إليه من حيث توزيع منتجات **الاستهلاك** ، يفترض بالطبيعة والضرورة **دولة برجوازية** ، إذ ان الحق لا شيء بدون جهاز يستطيع **الالزام** بمراعاة معايير الحق .

والخلاصة ان الحق البرجوازي لا يستمر لمدّة معينة في عهد الشيوعية هو وحده فقط ، بل تستمر حتى الدولة البرجوازية بدون برجوازية !

قد يبدو ذلك مفارقة أو مجرّد فذلكة عقلية ديالكتيكية ، كثيراً مايتهم الماركسية بها أناسٌ لم يبذلوا أي جهد ليدرسوا مضمونها العميق كل العمق .

والواقع أن الحياة ترينا في كل خطوة ، وفي الطبيعة كما في المجتمع ، بقايا القديم في الجديد. وماركس لم يقحم بصورة كيفية قطعة من الحق «البرجوازي» في الشيوعي ، بل أخذ ما هو أمر حتمي ، اقتصادياً وسياسياً، في مجتمع يخرج من احشاء الرأسمالية .

إن للديمقراطية أهمية هائلة في نضال الطبقة العاملة ضد الرأسماليين من أجل تحررها . لكن الديمقراطية ليست أبداً حداً لا يمكن تجاوزه . فما هي إلا مرحلة من المراحل على الطريق من الاقطاعية الى الرأسمالية ، ومن الرأسمالية الى الشيوعية .

الديمقراطية تعني المساواة . وغني عن البيان ما لنضال البروليتاريا من أجل المساواة ، وما لشعار المساواة من أهمية عظمى ، إذا فهم هذا الشعار فهماً صحيحاً ، بمعنى القضاء على **الطبقات** . لكن الديمقراطية تعني المساواة **الشكلية** فقط . فما أن تتحقق مساواة اعضاء المجتمع كلهم **من حيث** امتلاك وسائل الانتاج ، أي المساواة في العمل والمساواة في الأجور ، حتى تطرح على البشرية حتماً مسألة السير إلى الأمام، من المساواة الشكلية إلى المساواة الفعلية ، أي إلى تطبيق قاعدة « من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته » . ونحن لا نعرف ، ولا نستطيع أن نعرف ، المراحل التي ستسير عليها البشرية ، والتدابير العملية التي ستتخذها للوصول إلى هذا الهدف الأسمى . لكن الأمر الهام هنا هو أن نتبين مدى زيف الفكرة البرجوازية الشائعة التي تزعم أن الاشتراكية شيء ما ميت ، جامد، ثابت لا يتغير ، في حين ان حركة التقدم السريع في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والشخصية ، الحركة الحقيقية ، الجماهيرية فعلاً ، التي تشارك فيها اكثرية الناس أولاً ثم جماهيرهم كلها ، لا تبدأ في الواقع **الا مع** الاشتراكية .

الديمقراطية هي شكل الدولة ، هي نوع من انواعها . وبالتالي فهي ، ككل دولة ، استعمال منظم ودائم للعنف حيال الناس . هذا من ناحية . لكنها، من الناحية الأخرى ، تعني الاعتراف الشكلي بالمساواة بين المواطنين كلهم وحقهم المتساوي في تحديد بناء الدولة وإدارتها. ويرتبط هذا بدوره بأن الديمقراطية ترص ، في درجة معينة من تطورها ، صفوف الطبقة الثورية ، البروليتاريا ضد

الرأسمالية وتوفر لها امكانية أن تحطم جهاز الدولة البرجوازية ، حتى ولو كانت برجوازية جمهورية، والجيش النظامي والشرطة وجهاز الموظفين ، وتبددها وتمحوها عن وجه الأرض لتستبدلها بجهاز دولة اكثر ديمقراطية ، لكنه جهاز يظل مع ذلك جهاز دولة يتمثل في الجماهير العمالية المسلحة وفي اشتراك الشعب كله في الميليشيا .

هنا « تتحول الكمية إلى كيفية » : فهذه الدرجة من الديمقراطية مرتبطة بالخروج من اطار المجتمع البرجوازي ، والبدء في اعادة بنائه على اسس اشتراكية. فإذا كان المواطنون جميعاً يشتركون في ادارة الدولة ، لن تستطيع الرأسمالية الصمود. وتطور الرأسمالية يخلق بدوره المقدمات لكي يستطيع « الجميع » حقاً المشاركة في ادارة الدولة . ومن هذه المقدمات انعدام الامية انعداماً تاماً ، وهو أمر حققه عدد من الدول الرأسمالية الأكثر تقدماً ، ثم وجود ملايين من العمال « علمهم ولقنهم الانضباط » جهاز كبير معقد ذو طابع اجتماعي كالبريد، والسكك الحديدية ، والمعامل الكبرى ، والمتاجر الكبرى والبنوك الخ ...

وبوجود مثل هذه المقدمات الاقتصادية يصبح بالامكان تماماً ، بعد اسقاط الرأسماليين والموظفين ، الاستعاضة عنهم حالاً بين عشية وضحاها بالعمال المسلحين وبالشعب المسلح كله في مسائل الرقابة على الانتاج والتوزيع ، ومسائل حساب العمل والمنتوجات . (علينا ألا نخلط بين مسألة الرقابة والحساب ومسألة الملاكات ذات الثقافة العلمية من مهندسين ، ومهندسين زراعيين الخ : فهؤلاء السادة يعملون اليوم مؤتمرين بأمر الرأسماليين ، وسيعملون غداً بصورة أفضل ، وهم يأتمرون بأمر العمال المسلحين) .

فالحساب والرقابة هما الشيء الرئيسي الذي يقتضيه « ضبط » المرحلة الأولى من المجتمع الشيوعي وعملها المنظم ، إذ يصبح المواطنون كلهم آنذاك مستخدمين تستأجرهم الدولة المتمثلة في العمال المسلحين ، ويصبح المواطنون كلهم

مستخدمين وعمـــالاً في « نقابة » واحدة للشعب كله ، للدولة كلها . وتصبح القضية كلها في أن يعملوا كمية متساوية مراعين بصورة صحيحة مقياس العمل وينالوا اجوراً متساوية . ولقد بسطت الرأسمالية هذا الحساب وهذه الرقابة تبسيطاً هائلاً فجعلت منها عمليتين يسيرتين إلى حد يستطيع معه أي انسان غير امي يعرف العمليات الحسابية الأربع واعطاء الايصالات اللازمة أن يقوم بها (*)

وعندما نأخذ اكثرية الشعب ، بصورة مستقلة وفي مكان ، بإجراء هذا الحساب ، والقيام بهذه الرقابة على الرأسماليين (الذين أصبحوا الآن مستخدمين) وعلى السادة المثقفين الذين لازالوا يحتفظون بالعادات الرأسمالية ، تصبح هذه الرقابة كلية حقاً ، شاملة ، ذات طابع شعبي عام لا يمكن التهرب منها .

سيصبح المجتمع كله مكتباً واحداً يتساوى فيه الجميع عملاً وأجراً .

بيد أن هذا الانضباط « المعملي » ، الذي تعممه البروليتاريا على المجتمع كله بعد ان تنتصر على الرأسماليين وتسقط المستغلين ، ليس مثلنا الاعلى ولا هدفنا النهائي بأي حال من الاحوال . فما هو إلا مرحلة ضرورية لتطهير المجتمع جذرياً من شناعة الاستغلال الرأسمالي ونذالته ، ولمواصلة السير إلى الامام .

وتبدأ الحاجة إلى أي ادارة ، بوجه عام ، بالزوال عندما يتعلم اعضـــاء المجتمع كلهم ، أو اكثريتهم الساحقة على الأقل ، أن يديروا الدولة بأنفسهم ، ويمسكوا ، هم انفسهم ، هذا الأمر بأيديهم ، وعندما « يرتبون » أمر الرقابة على الاقلية الضئيلة من الرأسماليين وعلى السادة الراغبين في الاحتفاظ بالعادات الرأسمالية وعلى العمال الذين افسدتهم الرأسمالية افساداً عميقاً . فبقدر ما تكون الديمقراطية

(*) عندما يقتصر القسم الاعظم من وظائف الدولة على الحساب والرقابة يجريها العمال انفسهم ، تكف الدولة آنذاك عن أن تكون « دولة سياسية » ، « وتتحول الوظائف الاجتماعية من وظائف سياسية إلى مجرد وظائف إدارية » (راجع ما تقدم ، الفصل الرابع ، المقطع الثاني المتعلق بنقاش انغلز مع الفوضويين) .

اكمل ، يدنو وقت زوال الحاجة اليها . وبقدر ما تكون « الدولة » المؤلفة من العمال المسلحين التي لم تعد دولة بالمعنى الدقيق للكلمة ، بقدر ما تكون هذه « الدولة » اكثر ديمقراطية ، تبدأ **أي** دولة بالإضمحلال بسرعة اكبر .

فحين يتعلم **الجميع** الإدارة ، ويأخذون بالفعل في إدارة الانتاج الاجتماعي بصورة مستقلة ، ويحققون بصورة مستقلة الحساب والرقابة على الطفيليين والنصابين والأفندية ومن على شاكلتهم من « حفظة تقاليد الرأسمالية » ، يصبح التهرب من حساب الشعب ورقابته أمراً عسيراً جداً ، ونادراً جداً بكل تأكيد ، يصحبه ، على الأرجح ، عقاب سريع وصارم (لأن العمال المسلحين أناس عمليون وليسوا مثقفين عاطفيين ، ولا نحسبهم يسمحون لأحد أن يمزح معهم) ، بحيث تصبح **ضرورة** مراعاة القواعد الاساسية البسيطة للحياة الانسانية المشتركة بسرعة كبيرة **عادة** .

وعندئذ يفتح الباب على مصراعيه للانتقال من المرحلة الأولى من المجتمع الشيوعي إلى مرحلته العليا ، ولزوال الدولة زوالاً تاماً في الوقت نفسه .

كتب ما بين آب وايلول عام ١٩١٧

ج ٣٣ ص ٩١ — ١٠٢

من مقال

« كيف ننظم المباراة ؟ »

لقد حبّر الكتاب البرجوازيون ولا زالوا يحبرون جبالاً من الأوراق متغنين بالمنافسة والمبادرة الخاصة وغيرهما من شجاعة الرأسماليين والنظام البرجوازي ومفاتنه الرائعة . واتهموا الاشتراكيين بعدم رغبتهم في فهم هذه المزايا ، وبعدم اقامتهم أي اعتبار « لطبيعة الانسان » . أما في الواقع فقد استبدلت الرأسمالية منذ أمد بعيد الانتاج السلعي الصغير المستقل، الذي كانت المنافسة تستطيع في ظله، والى حد واسع ما ، أن تربي في الانسان الاقدام والنشاط والجرأة في المبادهة، بانتاج المصانع الضخم والضخم جداً ، وبالمؤسسات المساهمة والنقابات وبالاحتكارات الأخرى . والمنافسة في ظل رأسمالية كهذه تعني كبتاً وحشياً للغالبية لإقدام الجماهير ونشاطها ومبادرتها الجريئة ، وهي تشكل الأكثرية العظمى من السكان وتسعة وتسعين بالمائة من العمال ، وهي تعني أيضاً استبدال المباراة بالاحتيال والمحسوبية والتملق في أعلى درجات السلم الاجتماعي .

إن الاشتراكية لا تقضي على المباراة ، بل ، على العكس ، تخلق لأول مرة امكانية ممارستها بشكل واسع حقاً ، على مستوى جماهيري حقاً ، وجذب أكثرية العمال حقاً الى ساحة عمل كهذا ، يستطيعون معه ان يبرزوا ويظهروا امكاناتهم ومواهبهم ، وهي ، في أوساط الشعب ، نبع غزير كبتتها الرأسمالية وسحقتها وخنقتها بالآلاف والملايين .

ان مهمتنا الآن ، وقد استولت حكومة اشتراكية على السلطة ، أن ننظم المباراة .

لقد صور أذناب البرجوازية والعائشون على فتاتها الاشتراكية ثكنة حكومية رتيبة ، وحيدة اللون وباهتة . وحاول خدم كيس المال وعبيد المستغلين - وهم السادة المثقفون البرجوازيون - « اخافة » الشعب بالاشتراكية ، هـذا الشعب الذي حكم عليه في ظل الرأسمالية على وجه التحديد بالأشغال الشاقة وبالعمل الشاق الذي لا حد له ، وبحياة الجوع والفقر المدقع . والخطوة الأولى الى تحرير الكادحين من هذه الحياة التي لا تطاق هي الاستيلاء على أراضي الاقطاعيين وإدخال الاشراف العمالي وتأميم البنوك . وستكون الخطوات التالية تأميم المعامل والمصانع والتنظيم الاجباري للسكان في جمعيات استهلاكية تكون ، في الوقت نفسه ، جمعيات لتسويق المنتوجات ، واحتكار الدولة لتجارة الحبوب وغيرها من المواد الضرورية .

الآن ، الآن فقط ، تظهر امكانية واسعة وجماهيرية حقاً لخلق مباراة ، والقيام بمبادرة جريئة . فكل معمل يطرد منه الرأسمالي ، او على الأقل يوضع له حد بمراقبة عمالية حقيقية ، وكل ارض ، يطرد منها الاقطاعي المستغل وتنزع منه ارضه ، هي الآن مجال يستطيع فيه انسان العمل على ان يبرز ما عنده من مواهب ، وان يقوّم ظهره وينتصب بملء قامته ، ويستطيع فيه أن يشعر بأنه انسان حقيقي . ولأول مرة منذ قرون من العمل لحساب الآخرين ، من العمل الاكراهي لحساب المستغلين ، تظهر امكانية عمل الانسان لحسابه الخاص ، عمل يعتمد فيه على انجازات الثقافة والتقنية الحديثة .

ومن الطبيعي أن هـذا التبدل العظيم جداً في تاريخ الانسانية ، وهو استبدال عمل السخرة بعمل الانسان لنفسه ، لا يمكن أن يجري دون احتكاكات ،

دون صعوبات ، دون نزاعات ، ودون اكراه يمارس ضد الطفيليين العريقين وأذنابهم . وليس لدى أي عامل أي اوهام حول ذلك ، فالعمال والفلاحون المعدمون ، الذين صقلتهم سنوات طويلة جداً من العمل الشاق لصالح المستغلين ، واهانات وسخرية لا حصر لها كانت توجه اليهم ، هؤلاء الذين صقلهم الفقر المدقع يعرفون انه يلزمهم بعض الوقت حتى تحطم مقاومة المستغلين . فالعمال والفلاحون لم يصابوا ابداً بالأوهام العاطفية التي اصيب بها السادة المثقفون، هذه الاوحال من نوع جماعة « نوفاياجيزن »[٣٨] ، هؤلاء المثقفون الذين ظلوا « يصرخون » ضد الرأسماليين حتى بحت حناجرهم ، « ويهزون أيديهم » في وجوههم « ويندون » بهم ، ثم راحوا يذرفون الدموع ويتصرفون كجرو ضُرب ، حين وصلت الامور حيز **التطبيق العملي** ، حيز تحقيق التهديدات **وسحق** الرأسماليين عملياً .

ويتطلب هذا الانتقال العظيم من عمل السخرة الى العمل من اجل الذات، اي العمل المخطط المنظم على مستوى عال جداً على مستوى الدولة (وعلى المستوى الأممي ، الدولي الى حد ما) ، يتطلب ، بالاضافة الى الاجراءات **«العسكرية»** الموجهة الى سحق مقاومة المستغلين ، جهوداً تنظيمية ضخمة تبذلها البروليتاريا والفقراء المعدمون . وتنصهر هذه المهمة التنظيمية في كل واحد لا ينفصل معمهمة أخرى هي سحق مالكي العبيد السابقين (الرأسماليين) ، وزمرة خدمهم السادة المثقفين البرجوازين عسكرياً وبدون رحمة . لقد كنا على الدوام منظمين وقادة ، كنا نأمر دوماً - هكذا يقول ملاك العبيد السابقون وخدمهم من المثقفين ويفكرون - ونحن نريد ان نظل كما كنا ؛ لن نطيع « العوام » ، العمال والفلاحين ، ولن نخضع لهم ، وسنجعل من المعرفة اداة للدفاع عن امتيازات كيس المال وسيطرة رأس المال على الشعب .

هكذا يقول البرجوازيون والمثقفون البرجوازيون ويفكرون ويعملون.

وسلوكهم مفهوم من وجهة نظرهم الانانية . فمن الصعب على العاشين على فتات الاقطاعيين والمنتفعين منهم ، كهنـــة وشمامسة وموظفين من نوع نماذج غوغول « ومثقفين » يحقدون على بيلنسكي ، ان يودعوا عهد القنانة . لكن قضية المستغلين وخدمهم من المثقفين قضية ميؤوس منها . فالعمال والفلاحون يحطمون مقاومتهم ، ويحطمونها حتى الآن ، مع الأسف ، لا كما يجب ان يكون التحطيم قوة وحزماً ودون رحمة ، لكنهم سيحطمونها بالتأكيد تحطيماً نهائياً .

انهم يعتقدون ان « الشعب البسيط » ، انالعمال والفـــلاحين المعدمين « البسطاء » ، لا يقدرون على القيام بالمهمة التنظيمية العظيمة والبطولية حقاً بالمعنى التاريخي العالمي التي القتهـــا الثورة الاشتراكية على كاهل الكادحين . ويعزي المثقفون الذين اعتادوا خدمة الرأسماليين والدولة الرأسمالية انفسهم قائلين : « لن يستغنوا عنـا » . لكن توقعهم الوقح لا يتحقق ، اذ يبرز الآن اناس متعلمون ينتقلون الى جانب الكادحين ، ويساعدون على تحطيم مقاومة خدم رأس المال . أما اصحاب المواهب التنظيمية في طبقتي العمال والفلاحين فكثيرون ، وقد بدأوا الآن يعون ذاتهم ، يستيقظون وينضمون الى العمل الحي المبدع العظيم، ليباشروا بأنفسهم بناء المجتمع الاشتراكي .

ان احدى اعظم المهمات، ان لم يكن اعظمها ، هو تطوير المبادرة الذاتية للعمال ، والكادحين والمستغلين عامة ، في قضايا العمل التنظيمي الخلاق ، كأوسع ما يكون التطوير . وعلينا ان نحطم ، مهما كلفنا الأمر ، هـذا الوهم القديم ، الأخرق ، الوحشي ، الكريه والشنيع، وهو ان ما يسمى « بالطبقات العليا » او الذين تخرجوا من مدرسة الطبقات الغنية ، هم وحدهم الذين يستطيعون ادارة شؤون الدولة ، وقيادة البناء المنظم للمجتمع الاشتراكي .

هذا وهم يرسخه الروتين العفن والجمود وعادة الخنوع ، ويرسخه اكثر

من ذلك الجشع القذر لرأسماليين مصلحتهم أن يقودوا وهم ينهبون ، وينهبوا وهم يقودون . كلا ، لن ينسى العمّال ، ولو لدقيقة واحدة ، أن المعرفة ضرورية لهم. وهذه الحماسة غير العادية التي يبديها العمال في شؤون التعليم، ويظهرونها الآن بالضبط ، تبرهن على أنه لا توجد ، ولا يمكن أن توجد ، أي انواع من الضلال في أوساط البروليتاريا بهذا الخصوص . لكن العمل **التنظيمي** هو في طاقة العامل **العادي** والفلاح المتعلم الذي اكتسب معرفة بالناس وتجربة عملية . وأمثال هؤلاء في أوساط « الشعب البسيط » ، والذي يتحدث عنه المثقفون البرجوازيون بتعالٍ واحتقارٍ ، كثيرون . كما يوجد في اوساط طبقتي العمال والفلاحين نبع غزير وثرّ جداً من هذه المواهب .

لا زال العمال والفلاحون « وجلين » ولا زالوا مترددين ، فهم لمّا يألفوا كونهم اصبحوا الآن الطبقة **المسيطرة** . ولم تستطع **الثورة** أن تخلق **فوراً** هذه الصفات في ملايين وملايين من الناس اجبرهم الجوع والعوز على العمل مدى حياتهم تحت تهديد العصا . لكن قوّة ثورة اوكتوبر ١٩١٧ المظفرة وحيويتها يتجليان في أنها **تبعث** هذه الصفات ، وتجرف العوائق القديمة كلها، وتحطم القيود البالية، وتخرج الكادحين إلى طريق **الخلق المستقل** للحياة الجديدة ...

كتب بعد ٢٤ – ٢٧ كانون أول ١٩١٧
(٦ – ٩ كانون ثاني ١٩١٨)
ج ٣٥ ص ١٩٥ – ١٩٩

من تقرير

حول أعادة النظر في برنامج الحزب وتغيير تسميته
في المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)
٨ آذار ١٩١٨

... أيا كانت مصائر ثورتنا وفصيلتنا ، فصيلة الجيش البروليتاري الأممي، وأيا كانت التطورات اللاحقة للثورة ، فإن الوضع الموضوعي للدول الامبريالية التي انجرّت إلى هذه الحرب،ودفعت اكثر بلدان العالم تقدماً إلى الجوع والخراب والتوحش ، هو ، على أي حال وموضوعياً ، وضع لا مخرج منه . وعلينا أن نعيد هنا ما قاله فريدريك انغلز منذ ٣٠ سنة ، في عام ١٨٨٧ ، وهو يقدر احتمال نشوب حرب اوروبية . لقد قال إن التيجان ستتدحرج بالعشرات فوق تراب أوروبا ، ولن تجد من يريد أن يرفعها عن الأرض ، وإن خراباً رهيباً سيحل بالبلدان الأوروبية ، وإن النتيجة الأخيرة لويلات الحرب الأوروبية لن تكون إلا أمراً واحداً عبّر عنه بقوله : « إمّا انتصار الطبقة العاملة ، وإمّا توفر ظروف تجعل هذا الانتصار ممكناً وضروريّا » . وقد أعرب انغلز عن رأيه بهذا الخصوص بدقة وحذر بالغين . وبخلاف اولئك الذين يشوهون الماركسية ويقدمون تلفيقات فات أوانها ، تزعم أنه لايمكن للاشتراكية أن تقوم على الخراب، ادرك انغلز إدراكاً رائعاً أن الحرب ، أي حرب ، لن تقتصر ، حتى في أي مجتمع متقدم ، على نشر الخراب والتوحش والآلام والمصائب بين الجماهير التي تغصّ بدمائها ، وأنه

لا يمكن التأكيد أنها ستؤول إلى انتصار الاشتراكية حتماً . لقد قال إن نتيجتها ستكون « إمّا انتصار الطبقة العاملة وإما توفر ظروف تجعل هذا الانتصار ممكناً وضرورياً » ، أي أنه يمكن ، بالتالي،أن توجد عدّة مراحـــل انتقالية مضنية ، يصحبها تدمير واسع للثقافة ولوسائل الانتاج . لكنه لابـد للحرب من أن تؤدي إلى نهوض طليعة الجماهير الكادحة ، إلى نهوض الطبقة العاملة ، وانتقالها إلى وضع تأخذ فيه زمـــام السلطة لتبني المجتمع الاشتراكي . لأنه لا يمكن محو الثقافة من التاريخ مهما لحق بها من تدمير . سيكون من الصعب بعثهـا ، لكن أي تدمير ، مهما كان ، لن يزيلها إزالة تامة . فهذه الثقافة تظلّ راسخة ، في هذا الجزء من اجزائها أو ذاك ، في هذه البقايا المادية من بقاياها أو تلك . أمّا وجه الصعوبة ففي بعثها فقط ...

ج ٣٢ ، ص ٤٥ – ٤٦

★ ★ ★

من مؤلفه

« نجاحات السلطة السوفياتية ومصاعبها »

... كان الاشتراكيون الطوباويون القدامى يتصورون أنه يمكن بناء الاشتراكية بأناس من نوع آخر ، وأنهم سيربون في البدء أناساً طيبين ، نظيفين ، متعلمين بشكل رائع ثم يبنون الاشتراكية بهم . وكنا نضحك دائماً ونقول إن هذه لعبة دمى ،وانها تسلية آنسات متزمتات ، وليست سياسة جدية .

نحن نريد أن نبني الاشتراكية من أولئك الناس الذين ربتهم الرأسمالية وأفسدتهم وشوّهتهم ، لكنها ، بالمقابل ، صقلتهم للنضال . فهناك بروليتاريون تمرسوا بالنضال حتى صار في وسعهم أن يحتملوا من التضحيات أكثر مما يستطيع احتماله أي جيش بألف مرّة ؛ وهناك عشرات الملايين من الفلاحين المظلومين ، الجاهلين ، المشتتين ، في وسعهم أن يلتفوا حول البروليتاريا في نضالها ، إذا ما اتبعت هذه تكتيكاً ماهراً . ثم هناك اخصائيون في العلم والتقنية تشرّبوا المفهوم البرجوازي عن العالم حتى الثالة . وهناك اخصائيون عسكريون تربوا في ظل البرجوازية — وإنه لأمر حسن أن يكونوا قد تربوا في ظل البرجوازية فقط ، فبعضهم تربى في ظلّ الاقطاعية ، ظلّ العصا ، ظلّ القنانة . أمّا بخصوص الاقتصاد الوطني ، فالمهندسون الزراعيون والمهندسون والمعلمون ينحدرون جميعاً من الطبقة المالكة ، ولم يهبطوا من السماء! فلم يكن في وسع البروليتاري المعدم قرب آلته ، ولا الفلاح قرب محراثه ، أن يحصلا على التعليم الجامعي ، لا في عهد القيصر

تيقولاي ، ولا في عهد الرئيس الجمهوري ويلسون ، فالعلم والتقنية للاغنياء ، للمالكين ، إذ ان الرأسمالية لا تعطي الثقافة إلا للأقلية . فلا مادة أخرى عندنا إذاً . ونحن نريد أن نبني الاشتراكية فوراً من هذه المادة التي خلفتها لنا الرأسمالية ونريد أن نبنيها الآن ، ونبنيها لا من أولئك الناس الذين سيصنعون في المنابت المدفأة ، إذا أردنا أن نتسلى بهذه الخرافة . عندنا اخصائيون برجوازيون ولا شيء آخر غير ذلك . ليس عندنا آجرّ آخر ، وليس عندنا ما نبني به . من الواجب أن تنتصر الاشتراكية ، وعلينا ، نحن الاشتراكيين والشيوعيين ، أن نثبت فعلاً قدرتنا على بناء الاشتراكية من هذا الآجرّ ،من هذه المادة، وعلى بناء الاشتراكية من البروليتاريين الذين استفادوا من الثقافة بقدر ضئيل ، ومن الاخصائيين البرجوازيين .

وإذا لم تبنوا المجتمع الشيوعي من هذه المادة ، فأنتم منمقو جمل فارغة وثرثارون .

على هذا النحو يطرح الإرث التاريخي الذي خلفته لنا الرأسمالية المسألة ! وهذه هي الصعوبة التي جابهتنا بشكل مشخّص ، عندما استولينا على السلطة وانتقل الينا الجهاز السوفيتي ؟

هذه هي نصف المهمة ، لا بل نصفها الأكبر . فالجهاز السوفيتي يعني أن الكادحين متحدون الى درجة يستطيعون معها أن يسحقوا الرأسمالية تحت ثقل اتحادهم الجماهيري . ولقد سحقوها بالفعل . لكنك لن تشبع من رأسمالية مسحوقة ، بل ينبغي أخذ كل الثقافة التي خلفتها وبناء الاشتراكية منها . ينبغي أخذ علمها كله ، وتقنيتها كلها ، ومعارفها كلها ، وفنّها كله ، وإلا فلن نستطيع أن نبني حياة المجتمع الشيوعي . وهذا العلم وهذه التقنية وهذا الفن في أيدي الأخصائيين وفي رؤوسهم .

هذه هي المهمة المطروحة علينا في جميع الميادين . وإنها لمهمة متناقضة كتناقض الرأسمالية كلها ، وفي غاية الصعوبة، لكنها مهمة قابلة للتحقيق ، لا لأننا سنربي أخصائيين شيوعيين خالصين بعد عشرين سنة، أي الجيل الأول من الشيوعيين المنزّهين عن كل عيب ونقص . كلا ، أرجوكم المعذرة . علينا أن نبني الآن كل شيء ، لا بعد عشرين سنة ، بل بعد شهرين لكي نناضل ضد البرجوازية ، ضد العلم والتقنية البرجوازيين في العالم كله . وهنا يجب علينا أن ننتصر . إن إجبار الاخصائيين البرجوازيين على خدمتنا بتأثير ثقلنا الجماهيري أمر صعب ، لكنه ممكن . وإذا فعلنا هذا نكون قد انتصرنا .

... وعلى هذه الطريق وقع عدد لا بأس به من الأخطاء بالطبع ، لأنها طريق جديدة وصعبة . وعلى هذه الطريق صادفنا عدد لا بأس به من الهزائم ؛ ونعلم جميعاً أن عدداً معيناً من الاخصائيين كان يخوننا بانتظام : ففي وسط الاخصائيين ، في المصانع ، وفي الزراعة ، وفي الادارة ، اصطدمنا ولا نزال نصطدم في كل خطوة من خطواتنا بموقف حقود من العمل ، وبالتخريب الحقود له.

نحن نعرف أن هذه كلها صعوبات جسيمة ، ونعرف أننا لن نتغلب عليها بالعنف وحده .. لسنا ، بالطبع ، ضد العنف ؛ ونحن نسخر من الذين يقفون موقفاً سلبياً من ديكتاتورية البروليتاريا ، ونقول إنهم أناس أغبياء لا يستطيعون أن يفهموا أنهم أمام أحد احتمالين : فإما ديكتتورية البروليتاريا، وإما ديكتتورية البرجوازية . ومن يقول برأي آخر ، إما أن يكون أبله ، وإما أن يكون أمياً في السياسة ، حتى أنه من العار مجرد السماح له بحضور الاجتماع ، بله الارتقاء الى المنبر . فإما العنف ضد ليبكنخت ولوكسمبورغ والبطش بجبرة زعماء العمال ، وإما سحق المستغلّين بالعنف . ومن يحلم بحلّ وسط أضر وأخطر عدوّ لنا . هكذا تطرح المسألة الآن . فعندما نتحدث عن استخدام الاخصائيين، علينا ،إذاً،

أن نضع دروس السياسة السوفياتية خلال السنة الماضية في الحسبان . ففي هذه السنة حطمنا المستغلين وانتصرنا عليهم . وواجبنا الآن أن نحل مسألة استخدام الاخصائيين البرجوازيين . وأكرر القول هنا بأننا لن نفعل شيئاً بالعنف وحده . إذ لا بد هنا ، بالاضافة الى العنف ، وبعد العنف الظافر ، من التنظيم والانضباط والنفوذ الأدبي للبروليتاريا الظافرة التي تخضع لنفسها الاخصائيين البرجوازيين كلهم ، وتشركهم في عملها !

سيقال إن لينين يوصينا بالتأثير المعنوي دون العنف ! لكنه من الغباوة أن نتصور أنه يمكننا ، بالعنف وحده ، حل مسألة تنظيم العلم والتقنية الجديدين في مجال بناء المجتمع الشيوعي ! هراء هذا ! فنحن ، بوصفنا حزباً ، بوصفنا أناساً تعلموا شيئاً ما في هذه السنة من العمل السوفيتي ، لن نقترف هذه الغباوة وسنحذر الجماهير منها . ان استخدام جهاز المجتمع البرجوازي الرأسمالي كله مهمة لا تتطلب العنف الظافر وحده ، بل تتطلب ، الى ذلك ، التنظيم والانضباط ، الانضباط الرفاقي وسط الجماهير ، وتنظيم التأثير البروليتاري في السكان الآخرين كلهم ، وخلق وضع جديد بين الجماهير يرى فيه الاختصاصي البرجوازي أن لا مخرج له ، وأن العودة الى المجتمع القديم مستحيلة ، وليس بوسعه ان يقوم بعمله إلا مع الشيوعيين الذين يقفون بقربه ، ويقودون الجماهير ، ويتمتعون بثقتها المطلقة ، ويعملون على أن لا تعود ثمار العلم والتقنية البرجوازيين ، ثمار تطور المدنية خلال آلاف السنين ، على حفنة من الناس يستغلونها ليبرزوا ويثروا ، بل على الشغيلة كلهم بلا استثناء .

وإنها لمهمة في غاية الصعوبة ينبغي صرف عشرات السنين للقيام بها على الوجه الأكمل ! ويتطلب ذلك إنشاء قوة انضباط ، انضباط رفاقي ، انضباط سوفيتي ، انضباط بروليتاري ، من شأنها لا ان يسحقا أعداء الثورة من البرجوازيين جسدياً وحسب ، بل أن يشملاهم كذلك كلياً ، ويخضعاهم ، ويجبراهم على السير في طريقنا وخدمة قضيتنا .

وأكرر القول إننا كنا نصطدم بهذه المهمة يومياً في أمورالبناء العسكري، والبناء الاقتصادي ، وفي عمل كل مجلس من مجالس الاقتصاد الوطني ، وفي عمل كل لجنة مصنع وكل معمل مؤمم . ربما لم يمر أسبوع واحد خلال هذه السنة ، لم تطرح فيه هذه المسألة في مجالس مفوضي الشعب بنحو أو بآخر ، على هذا الشكل أو ذاك ، ولم نحاول حلها . إني واثق بأنه لم توجد لجنة مصنع واحدة في روسيا أو كومونة زراعية ، أو استئارة سوفيتية ، أو قسم زراعي في أي قضاء ، إلا واصطدم بهذه المسألة عشرات المرات خلال هذه السنة من العمل السوفيتي .

هنا صعوبة المهمة ، ولكن هنا ايضاً نبلها الحقيقي . وهذا ما يجب علينا ان نفعله الآن ، بعد أن سحقت قوة الانتفاضة البروليتارية المستغلين . لقد سحقنا مقاومتهم . وكان علينا ان نفعل ذلك ـ لكن ذلك لم يكن كافياً ، بل كان ينبغي إجبارهم بقوة التنظيم الجديد ، بقوة تنظيم الشغيلة الرفاقي على خدمتنا . كما يجب علينا استئصال عيوبهم القديمة ، والحؤول بينهم وبين العودة الى أعمالهم الاستغلالية . لقد ظلوا ، كما في السابق ، برجوازيين ، وهم ضباط يشغلون مناصب في هيئات أركان جيشنا . وانهم لبرجوازيون قدامى هؤلاء المهندسون والخبراء الزراعيون الذين يقولون عن أنفسهم انهم مناشفة واشتراكيون ثوريون . النعوت لا تغير من الأمر شيئاً ، وانهم لبرجوازيون تماماً من الرأس حتى أخمص القدم بمفهومهم عن العالم وبعاداتهم !

فما العمل يا ترى ؟ هل نطردهم ؟ انك لن تطرد مئات الألوف ! واذا طردناهم ، قصصنا أجنحتنا بأنفسنا . نحن لا نستطيع بناء الشيوعية الا بما أبدعته الرأسمالية . وواجبنا لا طردهم ، بل تحطيم مقاومتهم ، ومراقبة كل خطوة من خطواتهم دون أن نقوم بأي من التنازلات السياسية التي يقدم عليها الضعاف من الناس في كل لحظة . إن المثقفين من الناس يتأثرون بسياسة البرجوازية ونفوذها،

لأنهم أخذوا ثقافتهم كلها عن الوسط البرجوازي ومن خلاله . ولهذا تراهم يتعثرون في كل خطوة من خطواتهم ، ويقومون بتنازلات سياسية للبرجوازية المعادية للثورة .

والشيوعي الذي يقول إنه لا يجوز له أن يكون في وضع يسمح له بتوسيخ يديه، وان يديه يجب أن تكونا شيوعيتين نظيفتين ، وانه سيبني الشيوعية بيدين شيوعيتين نظيفتين دون أن يتعاون مع البرجوازيين الحقيرين المعادين للثورة ، ليس إلا منمق جمل فارغة ، إذ لا يمكن الاستغناء عن خدماتهم . ومهمتنا ، عملياً الآن ، هي أن نجذب إلى خدمتنا من ربتهم الرأسمالية ضدنا ، وأن نراقبهم يومياً ، ونضع فوق رؤوسهم مفوضين عمالاً في جو من التنظيم الشيوعي ، وأن نقطع كل يوم دابر التطاولات المعادية للثورة ، ونتعلم منهم في الوقت نفسه .

وعندنا ، في أفضل الأحوال ، علم المحرّض ، الداعية ، الانسان الذي صقله المصير الجهنمي الشاق ، مصير عامل المصنع أو الفلاح الجائع ، وهو علم يربي فينا القدرة على الصمود والعناد في النضال ، وهو الأمر الذي انقذنا حتى الآن. هذا كله ضروري ، لكنه قليل لا يكفي ، وبه وحده يستحيل النصر . فلكي يكون النصر كاملاً ونهائياً ، ينبغي علينا أن نأخذ كل ما هو قيّم في الرأسمالية ، ينبغي أن نأخذ لأنفسنا العلم كله والثقافة كلها .

ولكن من أين نأخذ هذا ؟ يجب أن نتعلم منهم ، من أعدائنا : على فلاحينا الطليعيين ، وعمالنا الواعين في مصانعهم ، أن يفعلوا ذلك . يجب التعلم في القسم الزراعي، في المناطق، من المهندس الزراعي والمهندس الخ . حتى نستوعب ثمار ثقافتهم .

وفي هذا المجال ، كان الصراع الذي نشب في حزبنا خلال السنة الماضية مثمراً إلى أقصى حدّ. وقد أثار هذا الصراع عدداً لا بأس به من الاصطدامات الحادة، لكن الصراع لا يمكن أن يجري بدون اصطدامات حادة . إلا اننا اكتسبنا

خبرة عملية في مسألة لم تطرح أمامنا يوماً ، ولا يمكن بدونها تحقيق الشيوعية . إن مهمّة ، كمهمة الجمع بين ثورة بروليتارية ظافرة وبين علم وتقنية برجوازيين وثقافة برجوازية ، كانت حتى الآن في متناول قلّة من الناس . هذه المهمة ، وأكرر ذلك ، صعبة . الأمر كله هنا يتعلق بتنظيم الفئة الطليعية من الجماهير الكادحة وفي انضباطها . ولو لم تكن في روسيا على رأس الملايين من الفلاحين المقهورين الجاهلين العاجزين إطلاقاً عن البناء المستقل، الذين ظلمهم الاقطاعيون طيلة قرون وقرون ، فئة طليعية من عمال المدن ، قريبة إليهم ، تفهمهم ويفهمونها تتمتع بثقة الفلاح ويؤمن بها لكونها من جماعته ، جماعة العمل ، لو لم يكن هذا التنظيم القادر على أن يرصّ صفوف الجماهير الكادحة ، ويوحي لها ، ويوضح لها أهمية اكتساب الثقافة البرجوازية كلها ، ويقنعها بذلك ، لكانت الشيوعية قضية لا أمل فيها . .

١٧ / ٤ / ١٩١٩

ج ٣٨ ص ٥٣ - ٥٩

★ ★ ★

المبادرة العظيمة

(عن بطولة العمال في المؤخرة بمناسبة السبوت الشيوعية)

. . . أوردت معلومات عن السبوت الشيوعية أكثر مما تكون تفصيلاً وكمالاً ، لأننا نلاحظ هنا دون شك جانباً من أهم جوانب البناء الشيوعي ، لا توليه صحافتنا الاهتمام الكافي ولم نوفه بعد حقّه من التقدير .

ثورة سياسية أقل ، واهتمام أكبر بأبسط وقائع البناء الشيوعي التي هي، إلى ذلك ، وقائع حية مستقاة من الحياة ، وأكدتها الحياة ـ هذا الشعار علينا أن نردده جميعاً دون ، نحن الكتاب والمحرضين والدعاة والمنظمين الخ . .

من الطبيعي والمحتم أن ما يهمنا في الدرجة الأولى، غداة الثورة البروليتارية، هو المهمة الرئيسية والأساسية التالية : التغلب على مقاومة البرجوازية والانتصار على المستغلّين ، وسحق مؤامرتهم (« كمؤامرة مالكي العبيد » لتسليم بتروغراد، وهي المؤامرة التي اشترك فيها الجميع ، من المئة السود والكاديت حتى المناشفة والاشتراكيين الثوريين)[٣٩] . إنما تطرح إلى جانب هذه المهمة ، وبالدرجة نفسها من الضرورة وبقوّة تتزايد مع الوقت ، مهمة أخرى جوهرية ، هي البناء الشيوعي الايجابي ، هي خلق علائق اقتصادية جديدة ، خلق مجتمع جديد .

إن ديكتتورية البروليتاريا ـ كما سبق لي وأشرت مرات عديدة ، ومنها مرة في خطابي بتاريخ ١٢ آذار في جلسة سوفييت نواب بتروغراد ـ لا تعني فقط العنف مع المستغلين ، بل لا تعني العنف بصورة أساسية . إن الأساس الاقتصادي

لهذا العنف ، وضمان حيويته ونجاحه ، هو أن البروليتاريا تمثل وتحقق ، بالمقارنة مع الرأسمالية ، نموذجاً أعلى من تنظيم العمل في المجتمع . هذا هو جوهر المسألة. ومن هنا تنبع قوّة الشيوعية ، وفي هذا ضمان انتصارها المحتوم .

كان التنظيم الاقطاعي للعمل الاجتماعي يرتكز على طاعة العصا مصحوبة بحالة قصوى من الجهل والارهاق ، يعاني منها الكادحون الذين كانت حفنة من الاقطاعيين تنهبهم وتحتقرهم . . وكان التنظيم الرأسمالي للعمل الاجتماعي يرتكز على طاعة الجوع ، فظلت أوسع جماهير الكادحين ، على الرغم من التقدم الواسع الذي احرزته الثقافة البرجوازية والديمقراطية البرجوازية حتى في اكثر الجمهوريات تمدناً وديمقراطية ، جماهير جاهلة ، مرهقة ، من عبيد مأجورين او فلاحين مسحوقين تنهبهم حفنة من الرأسماليين وتحتقرهم . أما التنظيم الشيوعي للعمل ، والاشتراكية أولى الخطوات إليه ، فإنه يرتكز ، وسيرتكز بصورة متزايدة ، على انضباط واعٍ وحر يرتضيه الكادحون أنفسهم ،بعد أن خلعوا نير الاقطاعيين والرأسماليين على حد سواء .

هذا الانضباط الجديد لا يهبط من السماء ولا يولد من تمنيات طيبة ، بل ينشأ من الاوضاع المادية للانتاج الرأسمالي الكبير ، ومنها وحدها ، كما أنه يستحيل نشوؤه بدونها . وحامل هذه الأوضاع المادية ، او محققها ، هو طبقة تاريخية معينة كونتها الرأسمالية الكبيرة ، ونظمتها، ونوّرتها ، وشدّت من عضدها . هذه الطبقة هي البروليتاريا .

فدكتتورية البروليتاريا تعني ، إذا نقلنا هذا التعبير اللاتيني العلمي التاريخي الفلسفي إلى لغة أبسط ، أن طبقة معينة ـ أي عمال المدن على وجه الدقة ، وعمال المصانع والمعامل بوجه عام ـ هي القادرة و عدها على قيادة جماهير الكادحين والمستغلين في النضال من أجل خلع نير رأس المال ، وخلال عملية الخلع هذه ،

وفي النضال من اجل الحفاظ على انتصارها وتوطيده ، ولأجل خلق نظـام اجتماعي جديد ، اشتراكي ، وفي مجمل النضال من أجل محو الطبقات محواً تاماً . و (لنلاحظ أن الفرق العلمي بين الاشتراكية والشيوعية هو ان الكلمة الأولى تعني الدرجـة الأولى من المجتمع الجديد المنبثق من الرأسمالية ، وأن الكلمة الثانية تعني الدرجة التالية ، العليا من هذا المجتمع) .

إن خطأ اميـــة « برن » الصفراء هو أن زعماءها يعترفون ، بالكلام فقط ، بالنضـال الطبقي وبدور البروليتاريا القيادي . إنهم يخشون التفكير حتى النهاية ، أي يخشون ،على وجه الدقة ،هذا الاستنتاج الحتمي الذي يرعب البرجوازية بنوع خاص ، والذي لا يمكنها التسليم به ، وهو الاعـــتراف بأن ديكتتورية البروليتاريا هي **ايضاً** فـترة صراع طبقي محتوم طالمـا أن الطبقات لم تمح ، صراع تتغير أشكاله ويصبح ضارياً جداً وأصيلاً جـــداً في الفترة الأولى التي تلي اسقاط الرأسمالية . فالبروليتاريا لا تكف عن الصراع الطبقي بعد ان تستولي على السلطة ، بل تواصل هذا الصراع حتى تمحو الطبقات ، لكنها تواصله ، بالطبع ، في احوال اخرى ، بشكل آخر ، وبوسائل أخرى .

ومادا يعني « محو الطبقات ؟ » إن كل من يقول عن نفسه إنه اشتراكي يقر هدف الاشتراكية النهـائي هذا . لكنهم لايتمعنون جميعهم في معناها بالطبـع . تطلق كلمة طبقات على جماعات واسعة من الناس تمتاز بالمكان الذي تشغله في نظام انتاج اجتماعي محدد تاريخياً ، وبعلاقتها (الـــتي يحددها القانون في معظم الاحيان ويكرسها) بوسائل الانتاج ، وبدورها في التنظيم الاجتماعي للعمل ، وبالتـالي ، بطرق الحصول على الثروة الاجتماعيـة وبمقدار حصتها منهـا . الطبقات جماعات من الناس تستطيـع احداها أن تمتلك عمـل جماعة أخرى بسبب الفرق في المكان الذي تشغله في نمط معين من الاقتصاد الاجتماعي .

من الواضح أنه لايكفي لمحو الطبقات تماماً اسقاط المستغلين والاقطاعيين والرأسماليين ، ولا يكفي الغاء ملكيتهم ، بل يجب ايضاً الغاء أي ملكية خاصة لوسائل الانتاج ، ويجب إزالة الفرق بين المدينـــة والقرية ، والفرق بين العمل اليدوي والعمل الفكري ، وإنها لمهمة طويلة الأمد يتطلب القيام بها تحقيق خطوة كبيرة جداً إلى الأمام في تطوير القوى المنتجة ، والتغلب على مقاومة العديد من بقايا الانتاج الصغير (هذه المقاومة السلبية في اغلب الأحيان ، العنيدة ، الـــتي يصعب التغلب عليها بنوع خاص) ، والتغلب على القوة الكبيرة للعادة والركود المرتبطة بهذه البقايا .

إن الافتراض بأن « الكادحين » كلهم على درجة واحدة من الكفاءة للقيام بهذا العمل لهراء ، أو وهم من أوهام اشتراكي من قبل الطوفان ، من قبل ماركس . لأن هذه الكفاءة لا تأتي تلقائياً ، بل تنشأ تاريخياً ، وتنشأ من ظروف الانتـــاج الرأسمالي الكبير المادية فقط . وفي بداية الطريق من الرأسماليـة إلى الاشتراكية ، لاتملك هذه الكفاءة الا البروليتاريا ، فهي القادرة على النهوض بهذه المهمة العملاقة الملقاة على كاهلهـا ، أولاً ، لأنها الطبقة الأقوى والاكثر تقدمـا في المجتمعات المتمدنة ، وثانيا ، لأنها تشكل اغلبية السكان في اكثر البلدان تطوراً ، وثالثاً ، لأن اغلبية السكان في البلدان الرأسمالية المتأخرة كروسيا هي من انصاف بروليتاريين ، أي من أناس يعيشون بشكل دائم قسماً من السنة كبروليتاريين يسعون دائماً وراء خبزهم ، ويشتغلون إلى حد ما اجراء في المؤسسات الراسمالية .

إن الذين يحاولون حل قضية الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكيـة ، منطلقين من كلمات عامـة عن الحرية والمساواة والديمقراطية بوجه عام ، ومساواة ديمقراطية العمل الخ ... (كما يفعل كاوتسكي ومارتوف وغيرهما من زعماء اممية برن الصفراء) ، إنما يكشفون عن طبيعتهم البرجوازية الصغيرة وتفاهتهم ، وضيق

افقهم ، وانسياقهم الفكري الأعمى وراء البرجوازية . والحل الصحيح لهذه القضية لا يمكن أن يأتي الا عن دراسة مشخصة للعلاقات الخاصة بين الطبقة التي استولت على السلطة السياسية ، وهي البروليتاريا بالذات ، وبين جماهير الكادحين كلها ، من بروليتارية وانصاف بروليتارية . وهذه العلاقات لا تتكون ضمن ظروف من الانسجام الاسطوري في روعته ، ضمن ظروف « مثالية » ، بل ضمن ظروف واقعية ، ظروف مقاومة ضارية ومتعددة الوجوه تبديها البرجوازية .

ان الأغلبية الساحقة من السكان ، وعلى الأخص من السكان الكادحين ، في أي بلد رأسمالي ، بما في ذلك روسيا ، قد عرفت الف مرة بتجربتها الخاصة وتجربة القريبين منها ظلم رأس المال ونهبه وشتى انواع الاهانات . وجاءت الحرب الامبريالية — اي موت عشرة ملايين انسان لحسم مسألة من تكون له الأولوية في نهب العالم بأسره ، الرأسمال الانكليزي ام الألماني — لتزيد من حدة هذه المحن وتوسعها وتعمقها الى درجة كبيرة جداً وتحمل الناس على ادراكها . ومن هنا كان هذا التعاطف الحتمي ، الذي تبديه الأغلبية الساحقة من السكان ، وبخاصة سواد الكادحين ، مع البروليتاريا وهي تخلع نير الرأسمالية بشجاعة بطولية وبعزيمة ثورية لا تلين ، وتسقط الراسماليين وتسحق مقاومتهم ، وتشق الطريق بدمها الى خلق مجتمع جديد لا مكان فيه للمستغلين .

ومهما كانت كبيرة وحتمية التردد والتراجعات البرجوازية الصغيرة نحو « النظام » البرجوازي ، التي تبديها الجماهير غير البروليتارية ونصف البروليتارية واضعة نفسها تحت « جناح » البرجوازية ، الا ان هذه الجماهير لا تستطيع الا ان تعترف بنفوذ البروليتاريا الأدبي والسياسي ، هذه البروليتاريا التي لا تسقط المستغلين وتسحق مقاومتهم وحسب ، بل تنشىء علاقة اجتماعية جديدة ارقى ، وانضباط عاملين واعين متحدين لا يعرفون اي نير ولا اي سلطة الا سلطة

طليعتهم الأكثر وعياً واقداماً وتجانساً وثورية وثباتاً. وينبغي على البروليتاريا، كي تنشىء الاشتراكية وتوطدها، ان تقوم بمهمة مزدوجة ليست، في الواقع، الا مهمة واحدة: اولاً، ان تجتذب ببطولتها المتفانية، التي تبديها في نضالها الثوري ضد راس المال، جماهير الكادحين والمستغلين كلها، ثم تنظمها وتقودها لاسقاط البرجوازية وسحق كل مقاومة من جانبها، ثانياً، ينبغي عليها ان تقود وراءها جمهور الكادحين والمستغلين كله، وكذلك فئات البرجوازية الصغيرة كلها، لخلق علاقات اجتماعية جديدة، وانضباط جديد في العمل، وتنظيم جديد للعمل من شأنه ان يجمع بين آخر منجزات العلم والتقنية الرأسماليين وبين الاتحاد الجماهيري لكادحين واعين يخلقون الانتاج الاشتراكي الكبير.

وهذه المهمة الاخيرة اصعب من الاولى، إذ لا يمكن لبطولة اندفاع منفرد ان يقوم بها، بل تتطلب بطولة من نوع آخر، بطولة عمل جماهيري يومي تبلغ اعلى درجات المثابرة والعناد ولفترة اطول بكثير. وهذه المهمة، الى ذلك، اهم من الاولى، لأن اعمق مصدر للقوة من اجل الانتصار على البرجوازية، والضمان الوحيد لمتانة هذه الانتصار ورسوخه لن يكونا، في آخر الامر، الا اسلوباً جديداً ارقى في الانتاج الاجتماعي، والاستعاضة عن الانتاج الرأسمالي والبرجوازي الصغير بالانتاج الاشتراكي الكبير.

« وللسبوت الشيوعية » اهمية تاريخية ضخمة لانها ترينا مبادرة العمال الواعية والطوعية الى تطوير انتاجية العمل، والانتقال الى انضباط جديد في العمل، وخلق ظروف اشتراكية في الاقتصاد وفي الحياة.

وقد قال إ. ياكوبي، وهو من الديمقراطيين البرجوازيين القلائل، وقد يكون من الاصح القول انه من النادرين جداً الذين انتقلوا بعد دروس ١٨٧٠ — ١٨٧١ لا الى الشوفينية، ولا الى القومية الليبرالية، بل الى الاشتراكية، قال

ان لتأسيس اتحاد عمالي من الاهمية التاريخية اكثر مما لمعركة سادوفا[٤٠] . وهذا صحيح . فمعركة سادوفا قد حسمت مسألة اي من الملكيتين البرجوازيتين – النمساوية ام البروسية ستتزعم انشاء الدولة الرأسمالية القومية الالمانية . اما تأسيس اتحاد عمالي فكان خطوة صغيرة في الطريق الى انتصار البروليتاريا على البرجوازية عالمياً . كما نستطيع القول ان لاول سبت شيوعي ، نظمه في موسكو عمال سكة حديد موسكو – كازان في ١٠ ايار ١٩١٩ ، اهمية تاريخية اكبر مما لاي انتصار احرزه هندنبرغ اوفوش والانكليز في الحرب الامبريالية ١٩١٤ – ١٩١٨ . فانتصارات الامبرياليين ليست الا ذبحاً للملايين من العمال في سبيل ارباح اصحاب المليارات من الانكليز والاميركيين والافرنسيين ، وليست الا وحشية الراسمالية المحتضرة المتخمة المتعفنة . اما السبت الشيوعي لعمال سكة حديد موسكو – كازان فخلية من خلايا المجتمع الاشتراكي الجديد ، الذي يحمل الى شعوب الارض الخلاص من نير راس المال ومن الحروب .

ان السادة البرجوازيين واذنابهم ، بمن فيهم المناشفة والاشتراكيون الثوريون ، الذين اعتادوا اعتبار انفسهم ممثلين « للراي العام » ، يسخرون ، بالطبع ، من آمال الشيوعيين ويسمونها « سنديانة في اناء للزهور » ، ويسخرون من ضآلة عدد السبوت الشيوعية بالنسبة لكثرة حوادث السرقة والبطالة وانخفاض انتاجية العمل وتلف المواد الخام والمنتوجات الخ ... ونرد على هؤلاء السادة فنقول : لو ان المثقفين البرجوازيين يقدمون عملهم لمساعدة الكادحين ، بدل ان يقدموه للرأسماليين الروس والاجانب بقصد اعادة سلطتهم ، لتم التحول بقدر اكبر من السرعة والهدوء . لكن هذا ضرب من الاوهام ، فالمسألة تحل بالصراع الطبقي ، ومعظم المثقفين يميلون الى البرجوازية . ان البروليتاريا لن تنتصر بمساعدة المثقفين ، بل على الرغم من معارضتهم (في معظم الحالات على اقل

تقدير) ، وستنتصر باقصائها المثقفين البرجوازيين الذين لا امل في اصلاحهم ، وباعادة تكوين المترددين منهم ، باعادة تربيتهم وباخضاعهم لها ، وباكتساب قسم متعاظم ابداً منهم الى جانبها. الشماتة بصاعب التحول ، واخفاقاته ، وزرع الذعر ، والمناداة بالتراجع – هذه كلها طرائق المثقفين البرجوازيين واساليبهم في صراعهم الطبقي لكن البروليتاريا لن تخدع بها .

واذا ما نظرنا الى جوهر المسألة ، هل حدث يوماً في التاريخ ان رسخ اسلوب جديد في الانتاج فوراً،دون ان يمر بسلسلة طويلة من الاخفاق والاخطاء والانتكاسات ؟ فبعد نصف قرن من سقوط القنانة ، كان الريف الروسي لا يزال يحتفظ بالعديد من بقاياها . وبعد نصف قرن من الغاء استعباد الزنوج في اميركا، لا زال وضعهم نصف عبودي في العديد من الاماكن. ان المثقفين البرجوازيين، بمن فيهم المناشفة والاشتراكيون الثوريون ، أمناء لأنفسهم وهم يخدمون راس المال ، ويتمسكون بحججهم المخادعة : قبل الثورة البروليتارية كانوا يتهموننا بالطوباوية ، وبعد الثورة اخذوا يطالبوننا بازالة بقايا الماضي بسرعة خيالية !

لكننا لسنا بطوباويين ،ونعرف القيمة الحقيقية « للحجج » البرجوازية، ونعرف أيضاً أن آثار الماضي في الأخلاق والسلوك ستتغلب بالضرورة على بذور الجديد لبعض الوقت . فعندما يكون الجديد في أيامه الأولى ، يظل القديم أقوى منه لفترة ما .تلك هي الحال أبداً ، في الطبيعة كما في الحياة الاجتماعية . والسخرية من ضعف بذور الجديد،والتشكك الرخيص عند المثقفين الخ . . ليسا إلا أساليب من الصراع الطبقي الذي تخوضه البرجوازية ضد البروليتاريا ، ليسا إلا دفاعاً عن الرأسمالية ضد الاشتراكية . أما نحن ، فمن واجبنا أن ندرس بذور الجديد بعناية وأن نمحضها أقصى انتباهنا ، ونساعد هذه النبتات الضعيفة على النمو « ونعنى »بها. سيهلك بعضها حتماً ، وليس بوسعنا أن نضمن أن « السبوت الشيوعية » ستلعب

هي بالذات دوراً هاماً بوجه خاص . فالمسألة ليست هنا ، بل في مساعدة بـــذور الجديد كلها أياً كانت ، والحياة هي التي ستختار أكثرها قابلية للحياة . فاذا كان أحد العلماء اليابانيين ، رغبة منه في مساعدة الناس على التغلب على مرض الزهري ، قد تحلى بالصبر ليجرب ٦٠٥ من المستحضرات الطبية قبل أن يجد المستحضر السادس بعد الستمئة الذي يستجيب للشروط المطلوبـــة ، فإن على الذين يريدون حل قضية أصعب ، هي التغلب على الرأسمالية ، أن يتحلوا بما يكفي من روح المثابرة ليجربوا المئات والآلاف من أساليب النضال وطرقه ووسائله الجديدة حتى يجدوا أفضلها .

« وللسبوت الشيوعية » هذه الدرجة من الأهمية ، لأن الذين بدأوا بهـا كانوا عمالاً ، لم تتوفر لهم شروط جيـدة بصورة غير عادية ، بل كانوا عمالاً من اختصاصات مختلفة ، بين فيهم عمال غير مختصين ، فعلة توفرت لهم شروط **عادية** أي **أقسى الشروط** . ونحن نعرف جيداً السبب الأساسي في تدهور الانتاج الذي يلاحظ ، لا في روسيا وحدها بل في العالم كله . هذا السبب هو ما نجم عن الحرب الامبريالية من دمار وافتقار ، من تعب وحقد ، من أمراض وقلة تغـذية . وقلة التغذية تشغل المرتبة الأولى بين الأسباب السابقة . الجوع هو السبب . ولأجل القضاء على الجوع ، ينبغي زيادة انتاجية العمل في الزراعة والمواصلات والصناعة . ولهذا نحن أمام نوع من الحلقة المفرغة : لأجل زيادة انتاجية العمل ينبغي الخلاص من الجوع ، ولأجل الخلاص من الجوع ينبغي زيادة انتاجية العمل .

ومعلوم أن مثل هذه التناقضات تحل عملياً بكسر هذه الحلقة المفرغة عن طريق إجراء انعطاف في مزاج الجماهير ، عن طريق مبادرة بطولية لبعض الجماعات ، مبادرة تلعب دوراً حاسماً للغاية على أرضية هذه الانعطاف . إن العمال الفعلة وعمال السكة الحديدية في موسكو (وأقصد بالطبـع الأغلبية ، لاحفنة من

من المضاربين والمديرين وغيرهم من الحرس الأبيض) كادحون يعيشون في ظروف صعبة للغاية . فقلة التغذية أمر دائم بالنسبة لهم . وهم يعانون الآن ، قبل الموسم الجديد وبسبب تفاقم أزمة المواد الغذائية على نطاق عام ، من الجوع بكل معنى الكلمة . وهؤلاء العمال الجياع ، الذين تحيط بهم الدعاية الحاقدة المعادية للثورة التي تشنها البورجوازية والمناشفة والاشتراكيون الثوريون ، هم الذين ينظمون « السبوت الشيوعية » ويعملون ساعات اضافية **دون أي مقابل** ، ويحققون **زيادة كبيرة جداً في انتاجية العمل** ، على الرغم من أنهم تعبون مرهقون قد هدتهم قلة التغذية . أليس هذا أعظم أنواع البطولة ؟ أليس هذا بداية انعطاف ذي أهمية تاريخية عالمية ؟

انتاجية العمل هي ، في آخر المطاف ، الشيء الجوهري ، الأهم لانتصار النظام الاجتماعي الجديد . وقد أوجدت الرأسمالية انتاجية عمل لم تعرفها القنانة . ويمكن هزم الرأسمالية نهائياً ، وستهزم ، بأن تخلق الاشتراكية انتاجية عمل جديدة أرقى بكثير . وإنها لمهمة صعبة جداً ، وطويلة جداً . إلا أنه **بوشر فيها** ، وهذا هو أهم مافي الأمر . وإذا كان عمال جائعون عانوا أربع سنوات من حرب امبريالية ثم سنة ونصف من حرب أهلية ، أشد وأدهى ، قد استطاعوا أن يبدأوا في صيف عام ١٩١٩ هذا العمل العظيم في موسكو الجائعة ، فأية خطوات سنخطوها إلى الأمام إذاً ، بعد أن نحرز النصر في الحرب الأهلية ونظفر بالسلام ؟

الشيوعية هي انتاجية عمل أعلى من انتاجية العمل الرأسمالي ، يحققها عمال أحرار واعون متحدون يستخدمون التقنية الحديثة . والسبوت الشيوعية قيّمة الى درجة غير عادية ، بوضعها البداية **الفعلية للشيوعية** . وهذا أمر نادر إلى أقصى حد ، إذ اننا في طور « نخطو فيه **خطواتنا الأولى** فقط في طريق الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية » (كما يقول برنامج حزبنا عن حق) .

تبدأ الشيوعية حيث يتجلى حرص **العمال البسطاء**، المفعم بالتفاني ونكران الذات والقادر على القيام بالعمل الشاق ، على زيادة انتاجية العمل والحفاظ **على كل بود من القمح والفحم والحديد** وغير ذلك من المنتوجات التي لن تعود إلى العاملين شخصياً ، ولا إلى « أقربائهم » ، بل إلى « الأبعدين » ، أي الى المجتمع كله ، إلى العشرات والمئات من ملايين الناس المتحدين أولاً في دولة اشتراكية واحدة ، ثم في اتحاد الجمهوريات السوفيتية .

يسخر كارل ماركس في كتابه « رأس المال » من فخفخة وابهة الوثيقة البرجوازية الديمقراطية العظيمة عن حريات الانسان وحقوقه ، ومن هذه الجمل الطنانة الفارغة عن الحرية والمساواة والاخاء **بوجه عام**، التي تعمي بصائر البرجوازيين الصغار والتافهين الضيقي الأفق من جميع البلدان ، بمن فيهم الابطال الحاليون الحسيسون لأممية برن الحسيسة . ومقابل هذه الاعلانات الفخمة عن الحقوق يعرض ماركس الطريقة البسيطة المتواضعة اليومية التي تطرح بها البروليتاريا المسألة : تخفيض الدولة ليوم العمل . ذلكم هو نموذج عن هذه الطريقة في طرح المسألة . وتبدو لنا ملاحظة ماركس بكل صحتها وعمقها بوضوح وجلاء ، يتزايدان بقدر مايتكشف محتوى الثورة البروليتارية . ان ما يميز « صيغ » الشيوعية الحقيقية عن التعابير الطنانة الفخمة المهبة والمخادعة ، التي يستعملها أمثال كاوتسكي والمناشفة والاشتراكيون الثوريون « واخوتهم » الاعزاء في برن ، هو أنها ترجع كل شيء إلى **شروط العمل** . **ليكن قدر** أقل من الثرثرة حول « ديمقراطية العمل » ، « والحرية والمساواة والاخاء » ، وحول « سيادة الشعب » وما أشبه ذلك : فالعامل الواعي والفلاح الواعي يستشفان من خلال هذه الجمل الطنانة تدجيل المثقف البرجوازي، بالسهولة نفسها التي يحدد بها امرؤ محنك عركه الدهر « صفات ابن ذوات » دون خطأ ، من النظر الى مظهره وسيمائه « الجلية » التي لاغبار عليها فيقول : « بكل تأكيد ، هذا نصاب » .

ليكن قدر أقل من الجمل الفخمة ، وقدر اكبر من العمل **اليومي** البسيط ومن الحرص على كل بود من القمح والفحم !وقدر اكبر من الحرص على أن يصل هذا البود من القمح ، وهذا البود من الفحم الضروريّان للعامل الجائع وللفلاح الرث الثياب والعريان ، لا عن طريق **الصفقات** التجارية ، ولا على الطريقة الرأسمالية ، بل عن طريق عمل الشغيلة البسطاء، العمل الواعي الطوعي البطولي الزاخر بالتفاني ونكران الذات ، كعمل الفعلة والعمال على خطّ حديد موسكو ـ كازان .

علينا أن نقرّ جميعاً بأن بقايا طريقة المثقفين البرجوازيين في معالجة قضايا الثورة بالكلام فقط تتجلى في **كل** خطوة وفي كل مـــكان حتى في صفوفنا . فصحافتنا ، مثلاً ،لا تشن حرباً كافية على هذه البقايا العفنة من الماضي البرجوازي الديمقراطي العفن ، ولا تساند إلا قليلاً بذور الشيوعية الحقيقية ، هـــذه البذور البسيطة المتواضعة اليومية لكنها الحية ...

٢٨ حزيران ١٩١٩
ج ٣٩ ، ص ١٢ ـ ٢٣

* * *

في ثورتنا

« بصدد مذكرات ن. سوخانوف »[٤١]

- ١ -

تصحفت هذه الأيام مذكرات سوخانوف عن الثورة . وأبرز ما يلفت النظر فيها هو حذلقة ديمقراطيينا البرجوازيين الصغار كلهم ، مثلهم في ذلك مثل ابطال الأممية الثانية كلهم . كما يبرز للعيان تقليدهم الأعمى للماضي، فضلاً عن جبنهم غير العادي ، حتى ان خيرتهم تناور وتتهرب ما أن يتعلق الأمر بأي ابتعاد عن النموذج الألماني . وهذه صفة من صفات الديمقراطيين البرجوازيين الصغار كلهم ، تجلّت بما فيه الكفاية طوال فترة الثورة .

فجميعهم يدعون بأنهم ماركسيون ؛ لكنهم يفهمون الماركسية بأكبر قدر ممكن من الحذلقة . فهم لم يفهموا قط ما في الماركسية من أساسي وهو ديالكتيكها الثوري،ولم يفهموا اطلاقاً حتى اشارات ماركس الصريحة إلى ضرورة توفرّ حدّ أقصى من المرونة في أيام الثورة ، بل لم يلاحظوا ، مثلاً ، إشارات ماركس في رسائله التي تعود ، كما أذكر ، إلى عام ١٨٥٦ ، حيث اعرب عن الأمل في أن يتحقق في المانيا توحيد حرب الفلاحين القادرة على خلق وضع ثوري مع الحركة العمالية . حتى هذه الإشارة الصريحة يتجاهلونها ويلفون حولها ويدورون كما يفعل القطّ حول مرق ساخن .

إنهم يبدون بسلوكهم كله إصلاحيين رعاديد ، يخافون الابتعاد عن

البرجوازية ، بل قطع أي صلة بها. وهم ، في الوقت نفسه، يغطون جبنهم بالايغال في التبجح ، وفي استعمال الجمل الطنانة . لكن ما يبرز للعيان عندهم جميعاً ، حتى من الناحية النظرية الخالصة ، هـــو عجزهم الكلي عن فهم فكرتين من أفكار الماركسية . ذلك أنهم رأوا أن تطور الرأسمالية والديمقراطية البرجوازية قد اتخذ حتى الآن طريقاً معينة في أوروبا الغربية . وهم لا يستطيعون أن يتصوروا أن هذا الطريق يمكن اعتباره نموذجاً Mutatis mutandis (*)، شرط إجراءبعض التغييرات (التافهة تماماً من وجهة نظر حركة التاريخ العالمي العامة) .

أولاً ، الثورة المرتبطة بالحرب الامبريالية العالمية الأولى . كان لابدّ أن تبرز في ثورة كهذه سمات جديدة أو سمات معدّلة بسبب هـذه الحرب بالذات ، لأنه لم تقع من قبل في العالم قط حرب كهذه وفي ظروف كهذه . ولا زلنا نرى حتى اليوم أن برجوازية اغنى البلدان لا تستطيع أن تقيم علاقـــات برجوازية « طبيعية » بعد هذه الحرب ، في حين أن اصلاحيينا ، هؤلاء البرجوازيين الصغار الذين يظهرون انفسهم بمظهر الثوريين، كانوا ولا زالوا يعتبرون أن هذه العلاقات البرجوازية الطبيعية تشكل حدّاً (لا يمكن تجاوزه) ، وهم يتصورون هـــذا « المعيار » بأقصى ما يكون من الابتذال وضيق الأفق .

ثانياً ــ الفكرة الغريبة عنهم تماماً هي أن سنة التطور العامة في التاريخ العالمي كله لا تنفي ، بل على العكس تفترض مراحل أصيلة من التطور إمّا من حيث شكلها أو من حيث تسلسلها. حتى انه لا يخطر ببالهم أن روسيا الواقعة بين بلدان متمدنة وبلدان ادخلتها هذه الحرب للمرّة الأولى وبصورة نهائية إلى أجواء المدنية ، هي بلدان الشرق كله ، البلدان الخارجة عن حدود أوروبا ، ان روسيا هذه كانت ، لهذا السبب ، تستطيع ، وكان يجب عليها ، أن تظهر بعض الميزات

(*) مع تغييرات مناسبة (هيئة التحرير) .

الخاصة التي تقـــع في الخط العام للتطور العالمي بالطبع ، لكنها تميّز ثورتها عن الثورات السابقة كلها في بلدان أوروبا الغربية ، وتحمل بعض التجديدات الجزئية في انتقالها إلى البلدان الشرقية .

وعلى سبيل المثال نرى أن حجتهم التي حفظوها عن ظهر قلب خلال تطور الاشتراكية الديمقراطية في أوربا الغربية ، والتي تقول بأننا لم ننضج بعد الاشتراكية ، واننا لا نملك المقدمات الاقتصادية الموضوعية للاشتراكية حسب تعبير بعض السادة « العلماء » منهم ، حجة مبتذلة حتى أقصى حدود الابتذال . إذ لا يخطر على بال أي منهم أن يسأل نفسه : ألا يستطيع شعب جابه وضعاً ثورياً ، كالوضع الذي نشأ اثناء الحرب الامبريالية الأولى ، أن يندفع ، تحت وطأة وضع لا مخرج منه ، إلى خوض نضال يوفر ولو بعض الأمل في شروط غير مألوفة بعض الشيء من أجل تطوير حضارته ؟

« لم تبلغ روسيا ، من حيث تطور قوى الانتاج ، درجة تجعـــل من الاشتراكية أمراً ممكناً » . هذه الموضوعة يحملها ابطال الأممية الثانية كلهم ، بمن فيهم سوخانوف طبعاً ، ويدورون بها كالأغبياء . وهذه الموضوعة التي لا يرقى إليها الشك يجترونها بألف شكل وشكل ، وتبدو لهم حاسمة في تقييم ثورتنا .

ولكن ماذا لو قادت ظروف خاصة روسيا في أول الأمر إلى الحرب الأمبريالية العالمية ،التي شاركت فيها بعد ذلك كافة بلدان أوروبا الغربية التي تتمتع ولو ببعض النفوذ ، ماذا لو قادت هذه الظروف نفسها تطور روسيا الى حـــدود الثورات التي بدأت ، أو التي بدأت جزئياً في الشرق ، قادته الى وضـع نستطيع معه أن نحقق بالضبط ذلك الاتحاد بين « حرب الفلاحين » والحركة العمالية ، وهو الاتحاد الذي كتب عنه « ماركسي » كماركس ، بوصفه احتمالاً من الاحتمالات الممكنة بالنسبة لبروسيا في عام ١٨٥٦ ؟

وماذا في الأمر ، إذا كان الوضع الذي لامخرج منه قد ضاعف قوى العمال والفلاحين عشرات المرات ، فأتاح لهم إمكانية الشروع في توفير المقدمات الأساسية للحضارة على نحو غير الذي سلكته الدول الأوروبية الغربية كلها ؟ هل تغيّر الخط العام لتطور التاريخ العالمي من جراء ذلك ؟ هل تغيرت العلائق الأساسية بين الطبقات الأساسية داخل كل دولة دخلت مسار الحركة العامة للتاريخ العالمي أوهي في طريقها الى دخوله ؟

وإذا كانت إقامة الاشتراكية تتطلب مستوى معيناً من الثقافة (مع العلم أن احداً لا يستطيع ان يقول ما هو بالضبط هذا « المستوى » المعين «من الثقافة» ، لأنه يختلف من دولة الى اخرى في اوروبا الغربية) ، فلماذا لا يجوز لنا ان نبدأ أولاً بالحصول على مقدمات هذا المستوى المعين عن طريق الثورة ، ثم نتحرك بعد ذلك للحاق بالشعوب الاخرى مستندين الى سلطة العمال والفلاحين ، والى النظام السوفيتي ؟

١٦ كانون ثاني ١٩٢٣

- ٢ -

تقولون : المدنية ضرورية لإقامة الاشتراكية . حسن جداً . ولكن لماذا لا نستطيع ان نبدأ بايجاد مقدمات للمدنية عندنا كطرد الملاكين العقاريين والرأسماليين الروس ، ثم نبدأ بعد ذلك تحركنا نحو الاشتراكية ؟ في أي كتب قرأتم أن مثل هذه التبدلات في التسلسل التاريخي العادي أمر غير مقبول أو غير ممكن ؟

أذكر أن نابليون قال : « On s'engage et Puis ... on voit » وهذا يعني ، إذا ترجمت كلمة نابوليون بتصرف : يدخل المرء معركة جدية أولاً ثم ... يرى » . ولقد دخلنا نحن معركة جدية في تشرين الاول عام ١٩١٧ ، ثم

رأينا تفاصيل في التطور (ليست بلا ريب إلا تفاصيل من وجهـــة نظر التاريخ العالمي) كصلح بريست أو « النيب » (السياسة الاقتصادية الجديدة) الخ ... وليس لدينا شك الآن في أننا احرزنا النصر مبدئياً .

إلا ان أمثال سوخانوف في بلدنا ، بله الاشتراكيين الديمقراطيين الواقفين الى يمينهم ، لا يستطيعون حتى أن يحلموا بأن الثورات يمكن ان تصنع على نحو آخر . وبرجوازيونا الصغار الاوروبيون لا يستطيعون حتى أن يحلموا بأن الثورات اللاحقة في بلدان الشرق ـ حيث عدد السكان اكبر بما لا حد له وحيث الظروف الاجتماعية الخاصة اكثر تنوعاً بما لا حد له ـ ستحمل اليهم بكل تأكيد قدراً من التميّز اكبر بكثير مما أظهرته الثورة الروسية .

كان الكتاب المدرسي الذي وضعه كاوتسكي كتاباً مفيداً جداً في حينه . وهذا شيء أكيد . ولكن آن الأوان ، مع هـذا ، لنتخلى عن الفكرة التي تزعم أن هذا الكتاب قد توقع أشكال التطور اللاحق في التاريخ العالمي كلها . وقد آن الأوان لننعت كل من يعتقد بذلك بأنه غبي .

١٧ كانون ثاني ١٩٢٣

ج ٤٥ ص ٣٧٨ - ٣٨٢

* * *

في الثقافة البروليتارية

وجماعة الثقافة البروليتارية[٤٢]

رسالة موجهة

الى رئاسة مؤتمر المنظمات الثقافية والتعليمية البروليتارية

١٧ - ٩ - ١٩١٨

أيها الرفاق الأعزاء ! أشكركم من صميم قلبي على تمنياتكم الطيبة ، وأتمنى لكم بدوري أفضل النجاحات في اعمالكم .

إن أحد الشروط الرئيسية لانتصار الثورة الاشتراكية هو وعي الطبقة العاملة **لسيطرتها** ، وممارسة هذه السيطرة في فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . **وسيطرة** طليعة الكادحين والمستغلين كلهم ، أي البروليتاريا ، ضرورية في هذه الفترة الانتقالية للقضاء على الطبقات ، وسحق مقاومة المستغلين ، ولرص صفوف جماهير الكادحين والمستغلين ، التي قهرتها وسحقتها وشتتتها الرأسمالية ، حول عمال المدن وبالاتحاد الوثيق معهم .

والسبب في نجاحاتنا كلها هو أن العمال فهموا هذا وأخذوا **بادارة** الدولة من خلال السوفييتات .

لكن العمال لم يفهموا هذا حتى الآن **الفهم الكافي** . ولذا تراهم مترددين جداً في احيان كثيرة في تقديم **عمال من وسطهم لادارة الدولة** .

فناضلوا من أجل هذا أيها الرفاق ! ولتساعد المنظمات الثقافية التعليمية البروليتارية على هذا ، ففيه ضمانة نجاحاتنا التالية وانتصار الثورة الاشتراكية النهائي .

مع التحية .

ف. اوليانوف (لينين)

ج ٣٧ ص ٨٧

كلمة تحية في المؤتمر الأول

المكرس لمسائل التعليم غير المدرسي لعموم روسيا[٤٣]

٦ أيار ١٩١٩

يسرني جداً ، ايها الرفاق ، ان احيي مؤتمر التعليم غير المدرسي . انكم لا تنتظرون مني ، بالطبع ، خطاباً يتناول جوهر القضية كما فعل قبلي الخطيب السابق المطلع على هذه المسألة والمختص بها ، الرفيق لوناتشارسكي . فاسمحوا لي ان أكتفي ببعض كلمات التحية وببعض الملاحظات والأفكار التي سبق لي ان عبرت عنها عندما كنا نتطرق في مجلس مفوضي الشعب الى عملكم المباشر ، ولو من بعض القرب . اني واثق بأنه ربما لم يوجد ميدان من ميادين النشاط السوفييتي تم فيه مثل هذه النجاحات الضخمة خلال عام ونصف ، كما تم في ميدان التثقيف والتعليم غير المدرسي . لا ريب ان العمل في هذا الميدان كان اسهل علينا وعليكم منه في الميادين الأخرى . اذ كان علينا هنا ان نزيل الحواجز القديمة والعقبات القديمة . وكان من الأسهل علينا ، هنا ، أن نستجيب لتلك الحاجة الهائلة الى المعرفة ، الى التعليم الحر ، الى التطور الحر ، التي برزت ،أكثر ما برزت ، بين جماهير العمال والفلاحين . فإذا كان من اليسير علينا أن نقضي على العقبات الخارجية ، التي كانت تعترض سبيل الجماهير ، بفضل ضغط هذه الجماهير الجبار ، وأن نحطم المؤسسات البرجوازية التاريخية التي كانت تشدنا الى الحرب الامبريالية ، وتفرض على روسيا الأعباء الكبرى الناجمة عن هذه الحرب ، إذا كان من السهل علينا ان

نحطم العقبات الخارجية ، فقد كان علينا ، بالمقابل ، أن نشعر شعوراً متزايد الحدة بكل ثقل العمل في مضمار إعادة تربية الجماهير وتنظيمها وتعليمها،وفي نشر المعرفة والنضال ضد ذلك الإرث من الجهل والأمية والوحشية والهمجية الذي كان من نصيبنا . وكان علينا أن نناضل ، هنا ، بطرق مختلفة تماماً . كما كان علينا ، هنا ، أن نعتمد على نجاح بعيد الأمد،وعلى تأثير منتظم ودؤوب ، تمارسه الفئات التقدمية من السكان ، وهو تأثير يلقى من الجماهير أجمل الترحيب وأبهجه . ويتبين لنا في كثير من الأحيان أننا مذنبون ، لأننا نعطي أقلّ مما في وسعنا . ويبدو لي أنه ترتب علينا أن نناضل في الفترة الأولى ، في خطواتنا الأولى نحو نشر التعليم غير المدرسي ، التعليم الحر غير المكبّل بالأطر والقيود السابقة ، أكثر ما يكون النضال ضدنوعين من العقبات ورثناهما من المجتمع القديم ،الرأسمالي، الذي لايزال يمسك بنا حتى الآن،ويشدنا إلى الأسفل بآلاف وملايين الخيوط والحبال والسلاسل.

النقص الأول هو وفرة المتحدرين الينا من المثقفين البرجوازيين،الذين كانوا يعتبرون دوماً وأبداً مؤسسات العمال والفلاحين التعليمية القائمة على أسس جديدة أنسب ميدان لاختلاقاتهم الشخصية في الفلسفة والثقافة ، حين كان اسخف تصنع يعتبر شيئاً جديدا ، وكل ما هو فائق الطبيعة وغير معقول يمرر تحت ستار الفن البروليتاري الخالص والثقافة البروليتارية الخالصة (تصفيق). وكان هـذا أمراً طبيعياً في الفترة الأولى يمكن غفرانه ولا يمكن القاءتبعته على عاتق الحركة الواسعة، وإني آمل أن نخرج من هذا الوضع في نهاية المطاف وسنخرج منه حتماً .

والنقص الثاني هو ايضاً من تركة الرأسمالية. فالجماهير الواسعة من الكادحين البرجوازيين الصغار لم تستطع ، وهي تسعى الى المعرفة وتحطيم القديم ، أن تأتي بأي شيء منظّم ، بأي شيء منظّم . وقد سنحت لي الفرصة ان أراقب مسألة تعبئة المتعلمين ، ومسألة قسم المكتبات عندما طرحتا على بساط البحث في مجلس

مفوضي الشعب . ومن هذه الملاحظات الصغيرة استخلصت ما أمكنني استخلاصه عن سوء الوضع في هذا المجال . ليس من المستحب جداً التحدث في كلمات التحية عن الامور السيئة ، وهذا طبيعي، لكني آمل أنكم ستتحررون من هذه الشكليات، ولن تلوموني إذا ما افضيت اليكم بملاحظاتي المحزنة إلى حد ما . فعند طرحنا مسألة تعبئة المعلمين، كان أبرز ما لفت نظرنا هو أن الثورة احرزت نجاحاً باهراً دون أن تخرج على الفور من إطار الثورة البرجوازية . لقد اعطت الثورة القوى القائمة حرية التطور . وهذه القوى القائمة هي قوى برجوازية صغيرة بشعارها القديم ذاته : «كل لنفسه، والله للجميع»، هذا الشعار اللعين، الرأسمالي المحض ذاته الذي لا يؤدي إلى شيء ، اللهم إلا إلى كولتشاك ، وإلى عودة النظام البرجوازي القديم . وعندما أنظر إلى ما يجري عندنا في مضمار تعليم الامين ، أرى ان ما تحقق عندنا قليل جداً، وان مهمتنا المشتركة هي أن نفهم ضرورة تنظيم العناصر البروليتارية . فالقضية ليست قضية جمل مضحكة تبقى على الورق، بل قضية إجراءات ملحة يجب تقديمها للشعب في الحال ، إجراءات من شأنها أن تجبر كل انسان متعلم على أن يرى ضرورة تعليم بعض الامين واجباً عليه . وهذا ما اعلناه في المرسوم . لكن شيئاً من هذا لم يتحقق تقريباً .

وعندما تطرقت في مجلس مفوضي الشعب إلى المسألة الأخرى، وهي مسألة المكتبات ، قلت : هذه الشكاوى التي كنا نسمعها على الدوام ، الذنب فيها ذنب تأخرنا في الانتاج . فعندنا قلة في الكتب ، ونحن لا نستطيع أن ننتج منها اعداداً كافية . وكنت أقول في نفسي : هذه الشكاوى صحيحة . بالطبع ، لا يوجد عندنا وقود ، والمصانع واقفة عن العمل ، والورق قليل ، ولا نستطيع الحصول على الكتب . هذا كله صحيح . لكنه من الصحيح كذلك أننا لا نستطيع أن نأخذ الكتاب الموجود عندنا . فنحن لا نزال نعاني ، في هذا المجال ، من سذاجة

الفلاح وعجز الفلاح، وقد ظهرا عندما نهب الفلاح مكتبة سيده وهرب بها إلى بيته خوفاً من أن ينتزعها منه آخر . لأن فكرة التوزيع العادل ، أو الفكرة القائلة بأن اموال الدولة ليست شيئاً ممقوتاً ، وبان اموال الدولة هي ملك مشترك للعمال والكادحين ، لما توجد عند الفلاح . كما لم يوجد هذا الوعي عنده بعد ، ولم يكن بإمكانه أن يوجد آنذاك . وليس الذنب في ذلك ذنب جمهور الفلاحين غير المتطور، فهذه مرحلة لا بد منها ، وهي مشروعة تماماً من وجهة نظر تطور الثورة . فعندما أخذ الفلاح المكتبة لنفسه وابقاها عنده وأخفاها عن الآخرين ، لم يكن في امكانه أن يتصرف تصرفاً آخر ، لأنه لم يكن يستطيع أن يفهم أن بالامكان جمع مكتبات روسيا في مكتبة واحدة ، وأنه سيوجد من الكتب ما يكفي لإشباع المتعلم وتعليم الامي . فينبغي علينا الآن ان نناضل ضدبقايا التخبط،وضد الفوضى والمجادلات المضحكة بين الدوائر الحكومية . وهذه الأمور يجب أن تشكل مهمتنا الرئيسية . يجب علينا أن نباشر قضية بسيطة وملحة هي تعبئة المتعلمين ومكافحة الامية . يجب علينا أن نستغل الكتب الموجودة عندنا ونأخذ بإنشاء شبكة منظمةمن المكتبات،يكون في وسعها ان تساعد الشعب على الاستفادةمن كل كتاب نملكه . وعلينا ألا ننشىء منظمات متوازية ، بل منظمة واحدة منهاجية . وفي هذه القضية الصغيرة تنعكس المهمة الأساسية لثورتنا . فإذا لم تنفذ الثورة هذه المهمة ، ولم تتجه إلى انشاء منظمة منهاجية واحدة فعلاً ، عوضاً عن الفوضى والغباء الروسيين ، فإنها ستبقى آنذاك ثورة برجوازية . إذ ان الخاصة الأساسية للثورة البروليتارية السائرة نحو الشيوعية تقوم في هذا بالذات ، بينما كان يكفي البرجوازية أن تحطم القديم وتمنح الحرية للاقتصاد الفلاحي الذي أدى إلى ولادة الرأسمالية ذاتها ، كما في جميع ثورات الماضي .

وإذا كنا نسمي انفسنا حزب الشيوعيين ، فمن واجبنا أن نفهم أنه الآن

فقط ، وقد قضينا على العقبات الخارجيـة ، وحطمنا المؤسسات القـديمة ، تنتصب أمامنـا للمرة الأولى بصورة حقيقية وبملء قامتهـا المهمة الأولى للثورة البروليتارية الحقيقية ، ألا وهي تنظيم عشرات الملايين ومئات الملايين من الناس . وعلينا بعد خبرة عام ونصف العام في هذا المضمار مررنا بها جميعنا ، أن نسلك أخـيراً الطريق الصحيحة التي تؤدي بنا إلى التغلب على انعدام الثقافة ، وعلى الجهل والوحشية التي عانينا منها دائماً . (تصنيف عاصف) .

ج ٣٨ ص ٣٢٩ — ٣٣٢

* * *

من خطابه

« حول خداع الشعب بشعاري الحرية والمساواة »

١٩ أيار ١٩١٩

... كنت ابرهن لكم أن دكتتورية البروليتاريا حتمية وضرورة لاغنى عنها للخروج من الرأسمالية . ولا تعني الدكتتورية العنف فقط ، وإن كانت غير ممكنة بدونه ، بل تعني أيضاً تنظيماً للعمل أرقى من السابق. ولهذا السبب اكدت في كلمة التحية القصيرة التي القيتها في بداية المؤتمر على هذه المهمة الأساسية ، الأولية التي هي ابسط المهمات ، الا وهي التنظيم .ولهذا السبب ترونني اقف هذا الموقف العدائي الذي لا يلـــين من أي اختلاقات يبتدعها المثقفون ، ومن « أي ثقافات بروليتـارية » . إني اطرح الفناء التنظيم بديلاً لهـذه الاختلاقات . وزّعوا القمح والفحم بشكل نشعر فيه جميعاً بالحرص على كل بود من الفحم أو القمح — هذه هي مهمة الانضباط البروليتاري ، وهو انضباط لا يقوم على العصا ، كالانضباط الذي كان قائماً عند الاقطاعيين ، أو كان قائمـاً على الجوع كما عند الرأسماليين ، بـل هو انضباط رفاقي ، انضباط الاتحادات العمالية . حلّـوا هـذه المسألة الأولية ، التي هي ابسط المهمات ، ننتصر . عندئذ سيـير الفلاح معنا بكل قلبه ، وهـو الذي يتردد الآن بين العامل والرأسمالي ، ولا يعرف هل ينضم إلى أناس لا يثق فيهم حتى الآن ، لكنه لا يستطيـع أن ينكر عليهم أنهم يحققون نظام عمل اعدل ينتفي منه الاستغلال، نظاماً سيكون فيه الاتجار « الحرّ » بالحبوب جريمة بحق الدولة ، أو ينضم إلى أولئـك الذين يعدون ، كما في السابق ، بحرية الاتجـار بالحبوب التي

تؤمن ، حسب ادعائهم ، حرية العمل . فـــإذا رأى الفلاح أن البروليتاريا تقيم سلطتها الحكومية بشكل تستطيع معه أن ترسي النظام ، - والفلاح يطالب بهذا النظام ويريده وهو محقّ في ذلك، وإن كانت اشياء كثيرة غـامّة ورجعية ووهمية ترتبط بهذا النزوع الفلاحيّ إلى النظام ، - فإن الفلاح سيسير في آخر المطاف ، وبعد كثير من الترددات مع العامل . فهو لا يستطيع أن ينتقل فوراً من المجتمع القديم إلى الجديد ببساطة ويسر . إنه يعرف أن المجتمع القديم قد أعطاه «النظام»، وكان ممن ذلك إفلاس الكادحين وتحويلهم إلى عبيد . لكنه لا يعرف ما إذا كان بإمكان البروليتاريا أن تعطيه النظام . ولا يجوز لنا أن نطلب منه اكثر من ذلك وهو المسحوق الجاهل المشتت . إنه لن يؤمن بأي كلمات ولا أي برامج . وحسناً يفعل ، حين لا يؤمن بالكلمات ، لأنه لن يكون ، بغير ذلك ، مخرج من كافة أنواع الخداع . إنه سيؤمن بالعمل وبالتجربة العملية وحدهما . اثبتوا له أنـــكم بروليتاريا متحدة ، انـكم سلطـة دولة بروليتارية ، وأنـكم دكتتورية بروليتارية ، واعرفوا كيف توزعون القمح والفحم بشكل تحافظون معه على كل بودٍ من القمح وكل بودٍ من الفحم ، واعرفوا كيف تحولون دون بيـع الفائض عن كل بودٍ من القمح وكل بودٍ من الفحم عن طريق التهريب ، ودون خدمة ابطال سوخاروفـكي ، اعرفوا كيف توزعون هـذا الفائض توزيعاً عادلاً ، وتمونون به العـمال الجياع ، وتساندونهم به حتى في فترات كفترات البطالة ، حين تتوقف المعامل والمصانع . اثبتوا هذا . فهذه هي المهمة الرئيسية للثقافـة البروليتارية وللتنظيم البروليتاري . العنف يمكن استخدامه دون أن تكون له جذور اقتصادية ، لكنـه يكون محكوماً عليه تاريخياً بالزوال . إلا أنه يمكن استخدام العنف بالاستناد إلى طبقة تقدمية ، وإلى مبادىء اسمى هي مبادىء النظام الاشتراكي والتنظيم الاشتراكي . **وآنئذ قد يفشل العنف مؤقتاً ، لكن الغلبة له في آخر الأمر .**

فإذا استطاع التنظيم البروليتاري أن يري الفلاح أن النظام صحيح ، وأن

توزيع العمل والخبز صحيح ، وأن الحرص على كل بودٍ من القمع والفحم قد تحقق ، وأننا ، بوصفنا عمالاً ، نستطيع أن نحقق هذه الأمور بانضباطنا الرفاقي الجماعي ، وأننا نناضل مستخدمين العنف دفاعاً عن مصالح العمل فقط ، فنستولي على القمح المهرّب ، لا قمح الشغيّل ، وأننا على استعداد للاتفاق مع الفلاح المتوسط ، الفلاح الشغيّل ، وأننا على استعداد لأن نعطيه مافي وسعنا الآن أن نعطيه ، — إذا رأى الفلاح هذا ، فإن اتحاده مع الطبقة العاملة ، اتحاده مع البروليتاريا ، سيكون اتحاداً لن تنفصم عراه . وإننا في الطريق إلى تحقيق هذا الأمر .

ج ٣٨ ص ٣٦٨ — ٣٧٠

* * *

من خطاب في الاجتماع الثالث لعموم روسيا

الذي عقده رؤساء الأقسام غير المدرسية

التابعة لمصالح التعليم الشعبي في المحافظات

٢٥ شباط ١٩٢٠

... لقد طرأ تحسن وتقدم ضخم بالفعل على وضعنا الدولي ، فقد زال الخطر الذي كان يتهدد الجمهورية السوفيتية بنسبة ٩/١٠ .

وبقدر ما يزول الخطر ، نستطيع ان نهتم بالبناء السلمي . وإننا لنعتمد على نشاطكم ، عليكم، أنتم المهتمون بالتعليم غير المدرسي. ولإرساء التعليم غير المدرسي على قواعد أصلب نحتاج الى مجموعة كاملة من التغييرات المادية ، من بناء مدارس وانتقاء معلمين ،واصلاحات داخلية في حقلي التنظيم وانتقاء الجهاز التعليمي، وهي أمور تتطلب فترة طويلة من الإعداد . إنكم لاتشعرون بضيق كبير من هذا الإعداد الطويل في مجال التعليم غير المدرسي . فمطلب السكان في الحصول على العلم خارج النظام المدرسي المقرر ، والحاجة الى عاملين في هذا المضمار ، ينموان بقوة كبيرة غير عادية . ونحن على ثقة بأننا سنحقق بتعاوننا المشترك وجهودنا المشتركة اكثر مما حققنا حتى الآن .

وسأتعرض في نهاية كلمتي هذه الى طابع التعليم غير المدرسي وارتباطه بالدعاية والتحريض . إن أحد العيوب الرئيسية في تنظيم التعليم في المجتمع الرأسمالي هو عزله عن المهمة الرئيسية لتنظيم العمل . إذ ان ما يحتاج اليه الرأسمالي كان

ترويض عمال طيعين خانعين وسرقتهم . ولهذا انعدم الارتباط في المجتمع الرأسمالي بين المهمات الفعلية لتنظيم العمل الشعبي وبين التعليم . فكان للتعليم هذا الطابع الميت ، السكولاستيكي ، الرسمي الذي دنسته التأثيرات الكهنوتية ، والذي كان يؤدي في كل مكان ، حتى في اكثر الجمهوريات ديمقراطية ، الى خنق كل ماهو غضّ وسليم . فتعذّر العمل المباشر الحي ، إذ لا يمكن تنظيم التعليم بشكل واسع بدون جهاز السلطة الحكومية ، وبدون مساعدة مادية ومالية . وبقدر ما هو من واجبنا ، وفي مقدورنا ، أن نستعد للانتقال بحياتنا السوفييتية كلها من الاعداد الحربي والمجابهة العسكرية الى البناء السلمي ، يصبح من الضروري والواجب عليكم ، أنتم العاملون في التعليم غير المدرسي ، أن تأخذوا هذا التبدل في الحسبان ، وأن تتكيفوا في نشاطكم الدعائي وفي مهامكم وبرنامجكم مع هذا التبدل .

ولكي أبين لكم كيف أفهم مهام التعليم والتدريس والتربية والتثقيف وطابعه ، وفقاً للمهام المتغيرة التي تواجه الجمهورية السوفيتية ، أذكركم بقرار الكهربة الذي اتخذته اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا في دورتها الاخيرة ، وأغلب الظن أنكم تعرفونه جميعاً . ومنذ أيام ظهر في الصحف بيان يقول إنه ستوضع خلال شهرين (قيل في البيان الرسمي المطبوع : خلال اسبوعين ، وهذا خطأ) خطة لكهربة البلد في سنتين أو ثلاث ، بموجب برنامج الحد الأدنى ، وفي عشر سنوات بموجب برنامج الحد الأقصى . ومن الضروري ان يتغير طابع دعايتنا ، حتى الدعاية الحزبية الصرف منها ، وطابع التعليم المدرسي والتثقيف وطابع التعليم غير المدرسي ، لا بمعنى ان تتغير أسس التعليم نفسها وطابعه نفسه ، بل بمعنى تكييف طابع نشاطنا للانتقال الى البناء السلمي حسب خطة واسعة لتحويل البلد صناعياً واقتصادياً ، لأن الصعوبة الاقتصادية العامة والمهمة العامة ، هما مهمة بعث قوى البلد الاقتصادية على نحو تستطيع الثورة البروليتارية معه أن تنشىء أسساً

جديدة للحياة الاقتصادية ، الى جانب الاقتصاد الفلاحي الصغير . لقد كان على الفلاح ، حتى الآن ، أن يقدم حبوبه للدولة العمالية على سبيل القرض : إلا أن الأوراق الملونة ، النقود ، لا يمكنها أن ترضي الفلاح بوصفها تعويضاً عن الحبوب. وبما أن الأوراق الملونة هذه لا ترضي الفلاح، فهو يطالب بحق مشروع، هو إعطاؤه مقابل الحبوب التي يقدمها منتوجات صناعية لا نستطيع أن نعطيه إياها ما لم نبعث الاقتصاد . ان بعث الاقتصاد هو المهمة الأساسية ، لكننا لا نستطيع أن نبعثه على الأساس الاقتصادي والتقني القديم . هذا أمر مستحيل حتى من وجهة نظر تقنية ، ولو كان ممكناً لكان أمراً وحشياً . ينبغي إيجاد أساس جديد . وخطة الكهربة هي هذا الأساس الجديد .

إننا نتقدم من الفلاحين ، وهي الجماهير الاقل تطوراً ، مبيّنين لهم ضرورة الانتقال الجديد الى درجة أعلى من الثقافة والتعليم التقني لنجاح البناء السوفيتي كله . لا بد من بعث الاقتصاد اذاً . ويفهم أشد الفلاحين جهلاً أن الحرب هي التي ألحقت الخراب بالاقتصاد ، وانه بدون بعث هذا الاقتصاد لا يستطيع التخلص من الفاقة، أي الحصول على المنتوجات الضرورية له مقابل الحبوب. ومن واجب عملنا الدعائي والتعليمي والتنويري والتعليمي غير المدرسي أن ينفذ الى حاجة الفلاحين المباشرة والماسة هذه ، وأن يمسك بها كي لا ينفصل هذا العمل عن اكثر الحاجات اليومية إلحاحاً ، بل ينطلق بالضبط من تطويرها وتوضيحها للفلاح ، مع التأكيد على أن المخرج الوحيد من هذا الوضع هو بعث الصناعة . لكن بعثها لا يمكن أن يتم على أرضية قديمة ، بل يجب بعثها على أساس من التقنية العصرية . وهذا يعني كهربة الصناعة والنهوض بالثقافة . ان المحطات الكهربائية تتطلب عملاً في حدود ١٠ سنوات ، لكنه عمل يتطلب مستوى أكبر من الثقافة والوعي .

إننا نضع خطة واسعة للعمل ، يجب ان ترتبط في تصوّر الجماهير الواسعة

من الفلاحين بهدف واضح مطروح عملياً . وهذا أمر لا يمكن عمله في بضعة أشهر. فبرنامج الحد الادنى يمكن اعطاؤه لفترة لا تقل عن ثلاث سنوات . ويمكننا القول ، دون ان نستسلم للأوهام ، انه بوسعنا ان نغطي روسيا كلها بشبكة من المحطات الكهربائية خلال عشر سنوات ، وأن ننتقل الى وضع في الصناعة الكهربائية يلبي متطلبات التقنية الحديثة ويقضي على الاسلوب الفلاحي القديم في الزراعة . وهذا الوضع يتطلب قدراً اكبر من الثقافة والعلم .

ودون أن تخفوا على انفسكم أن المهمة العملية المباشرة هي، الآن ، اعادة وسائط النقل ونقل المواد التموينية ، وأنه يتعذّر في وضع الانتاجية الحالي الانصراف إلى مهام واسعة ، فإن واجبكم ، في ميدان الدعاية والتنوير ، هو ،مع ذلك ، أن تأخذوا بالحسبان هذه المهمة ، وهي اعادة تامة للبناء على أرضية تتناسب والمقتضيات الثقافية والتقنية وأن تنفذوها . وسنتخلّص بسرعة كبيرة من اساليب الدعاية القديمة التي عفا عليها الزمن، والتي كانت تعالج الأمور مع الفلاح بجمل عامة عن الصراع الطبقي ، والتي لُفقت على اساسها شتى أنواع الحماقة بصدد الثقافة البروليتارية الخ.. سنتخلّص من هذه الأسمال التي تشبه كثيراً الأمراض الطفولية التي يصاب بها الأطفال في صغرهم. وفي مجال الدعاية والتحريض والنشاط التعليمي والتنويري سننتقل إلى طرح المسألة طرحاً اسلم وذا روح عملية اكثر ، طرحاً اليق برجال السلطة السوفيتية الذين تعلّموا شيئا ما خلال سنتين ، والذين يمضون إلى الفلاح حاملين خطّة عملية واقعية واضحة لإعادة بناء الصناعة كلها، واعين أن الفلاح والعامل لن ينفذا المهمة الآن ، ولن يتخلصا من القذارة والعوز والتيفوس، نظراً لوضع التعليم في الوقت الراهن . إن هذه المهمة العملية المرتبطة ارتباطاً واضحاً برفع مستوى التعليم والثقافة يجب أن تكون بمثابة عقدة عليها أن تستقطب طابع دعايتنا الحزبية ونشاطنا الحزبي وتعليمنا وتدريسنا كله . وآنذاك ترتبط

هذه العقدة بالمصالح اليومية لجماهير الفلاحين بدرجة من العمق ، وتربط النهوض العام بمستوى الثقافة والمعرفة بالحـــاجات الاقتصادية الملحة بشكل نستطيـع معه أن نضاعف مائة مرّة من مطالبة العمال بتحصيل العلم . ونحن واثقون ثقة مطلقة بأننا إذا كنا قـد نفذنا في سنتين مهمة حربية بالغة الصعوبة ، فإننا سننفذ في ٥ — ١٠ سنوات ، مهمة اصعب هي المهمة الثقافية والتعليمية والتنويرية .

هذه هي الامنية التي أردت أن اعرضها عليـكم . (تصفيق) .

ج ٤٠ ص ١٦٠ — ١٦٥

* * *

مقدمة الطبعة الثانية لكتاب

« المادية والتجريبية الانتقادية »

لاتختلف الطبعة الحالية عن السابقة إلا في بعض تنقيحات متفرقة. وآمل أن يكون لهـــذه الطبعة بعض النفع بوصفها وسيلة للتعريف بفلسفة الماركسية والمادية الديالكتيكية وكذلك بالنتائج الفلسفية المستخلصة من أحدث الاكتشافات في العلوم الطبيعية ، بغض النظر عن المناقشات الدائرة مع « الماخيين » الروس . أما فيما يخص مؤلفات أ . أ . بوغدانوف الأخيرة التي لم أتمكن من الإطلاع عليها، فإن مقالة الرفيق ف . إ . نيفسكي المنشورة فيما يلي ، تقدم التوجيهات الضرورية. فقد توفرت للرفيق ف . إ . نيفسكي ، الذي عمل لا داعية فقط بل كان ، على الأخص، واحداً من رجال المدرسة الحزبية ، الامكانية ليقتنع بأن أ.أ. بوغدانوف يعرض افكاراً برجوازية ورجعية تحت ستار « الثقافة البروليتارية » .

٢ / ٩ / ١٩٢٠ ن . لينين

ج ١٨ ص ٢٢

مهام اتحادات الشباب

خطاب القي في المؤتمر الثالث لاتحاد الشبيبة الشيوعي لعامة روسيا في ٢ تشرين الأول عام ١٩٢٠

(المؤتمرون يستقبلون لينين بعاصفة من التصفيق)

أيها الرفاق ، أود اليوم ان اتحدث اليكم عن المهمات الأساسية المطروحة أمام اتحاد الشبيبة الشيوعية ، وبالتالي عما يجب أن تكون عليه ، بوجه عام ، منظمات الشباب في الجمهورية الاشتراكية .

يجدر بنا أن نتوقف عند هذه المسألة بخاصة ،لأنه يمكن القول ، بمعنى ما ، إن المهمة الحقيقية ، مهمة بناء المجتمع الشيوعي ، تقع على عاتق الشباب بالذات . إذ من الواضح أن جيل العمال الذي تربى في المجتمع الرأسمالي قادر ، في احسن الحالات ، على الغاء اسس النظام الرأسمالي القديم القائم على الاستغلال، وانا اكثر ما يمكن لهذا الجيل ان يقوم به هو أن يحل مسألة خلق نظام اجتماعي من شأنه أن يساعد البروليتاريا والطبقات الكادحة على الاحتفاظ بالسلطة في ايديها، وعلى إرساء قاعدة صلبة لايستطيع أن يبني عليها إلا الجيل الذي يباشر العمل في ظروف جديدة في وضع انتفت منه علاقات الاستغلال بين الناس .

ومن واجبي ان أقول ، وأنا اتناول مسألة مهمات الشباب من وجهة النظر هذه ، إن المهمات المطروحة أمام الشباب بوجه عام ، وأمام اتحادات الشبيبة الشيوعية والمنظمات الأخرى بوجه خاص، يمكن تلخيصها بكلمة واحدة : تعلموا .

من المفهوم أن هذه ليست إلا « كلمة » ، وأنها لا تكفي وحدها للإجابة عن سؤالين رئيسيين من اهم الاسئلة هما : ماذا يجب علينا ان نتعلم ، و كيف نتعلم؟ والنقطة الجوهرية ، هنا ، هي أنه لا يمكن لتعليم الأجيال الجديدة التي ستنشىء المجتمع الشيوعي ولتثقيفها وتربيتها أن يظل على ما كان عليه ، في وقت يتحول فيه المجتمع الرأسمالي القديم . يجب ان ينطلق تعليم الشباب وتثقيفه وتربيته من تلك المواد التي تركها لنا المجتمع القديم . فليس بوسعنا ان نبني الشيوعية إلا من مجمل المعارف والمنظمات والمؤسسات ، وإلا بالاحتياطي من القوى البشرية التي بقيت لنا من المجتمع القديم . ولن نتمكن من بلوغ ما نرمي إليه ، وهو ان تؤدي جهود الجيل الجديد إلى خلق مجتمع لا يشبه المجتمع القديم ، اي إلى خلق المجتمع الشيوعي ، إلا بتحويل تعليم الشباب وتنظيمه وتربيته تحويلاً جذرياً. ولهذا ينبغي علينا ان نبحث بالتفصيل ما ينبغي ان نعلم الشباب ، و كيف يتوجب عليهم ان يتعلموا إذا شاؤوا ، فعلاً ، ان يكونون جديرين باسم الشباب الشيوعي، و كيف ينبغي اعدادهم ليكونوا قادرين على انجاز ما بدأنا به .

علي ان اقول إن الجواب الذي قد يتبادر إلى الذهن ، للوهلة الأولى ، والذي يبدو طبيعياً اكثر من سواه ، هو ان على اتحاد الشبيبة ، وعلى جميع الشباب الذين يريدون الانتقال إلى الشيوعية بوجه عام ، ان يتعلموا الشيوعية .

لكن هذا الجواب « تعلم الشيوعية » ذو طابع عام جداً . فما يلزمنا إذاً لنتعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغي لنا ان نختار من مجمل المعارف العامة لنكتسب معرفة الشيوعية ؟ إن جملة من الاخطار تتهددنا في هذا المضمار . وهي تظهر اكثر ما يكون عندما تطرح مهمة تعلم الشيوعية طرحاً غير صحيح ، اوعندما تفهم هذه المهمة فهما وحيد الجانب إلى حد كبير .

إنه لأمر طبيعي ان الفكرة التي تتبادر إلى الذهن للوهلة الأولى هي ان

تعلم الشيوعية يعني اكتساب مجمـــل المعارف الواردة في الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية . لكن مثل هذا التعريف لدراسة الشيوعية سمج وغير كاف ابداً . فلو كانت دراسة الشيوعية تقتصر على استيعاب مايرد في الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية ، لأنتجنا بيسر بالغ شراحاً سطحيين شيوعيين ، ومغرورين شيوعيين ، مما يسيء إلينا ويلحق بنا الأذى . لأن هؤلاء الذين درسوا مـــا في الكتب والكراريس الشيوعية، وقرأوا حتى التخمة ما جاء فيها ، يعجزون عن تنسيق هذه المعارف جميعها ، ولا يستطيعون العمل كما تقتضيه الشيوعية فعلاً .

من اسوأ الشرور وافدح المصائب ، التي خلفها لنا المجتمع الرأسمالي القديم ، القطيعة التامة بين الكتاب وبين الحياة العملية ، إذ كانت عندنا كتب تعرض كل شيء على خير ما يرام ولم تكن هذه الكتب في معظم الاحيان إلا رياء وكذباً كريهين يعطيان صورة كاذبة عن المجتمع الرأسمالي .

ولهذا فالاستيعاب الحرفي لما يقال في الكتب عن الشيوعية أمر غير سليم إلى درجة كبيرة . فليست خطبنا ومقالاتنا اليوم مجرد تكرار لما كان يقال في السابق عن الشيوعية، لأن خطبنا ومقالاتنا اصبحت مرتبطة بعملنا اليومي في مختلف الميادين . فبدون عمل ، بدون نضال ، لا قيمة إطلاقاً لمعرفة الشيوعية المأخوذة عن الكتب والمؤلفات الشيوعية ، إذ لن تكون سوى استمرار للقطيعة السابقة بين النظرية والممارسة ، تلك القطيعة الـــتي كانت ابشع سمة من سمات المجتمع البرجوازي القديم .

وقد يكون اخطر من ذلك كله ان نأخذ بحفظ الشعارات الشيوعية فقط. فإذا لم ندرك هذا الخطر في حينه ، وإذا لم نوجه جهودنا كلها إلى اجتنابه ، فإن وجود نصف مليون أو مليون من الشبان والشابات، الذين سيسمون انفسهم شيوعيين بعد دراسة للشيوعية كهذه ،لن يؤدي إلا إلى الحاق ضرر جسيم بقضية الشيوعية.

وهنا يثور أمامنا السؤال التالي : كيف ينبغي علينا أن نوفق بين هذه الأمور كلها لكي نتعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغي علينا أخذه من المدرسة القديمة ومن العلم القديم ؟ كانت المدرسة القديمة تعلن أنها تريد أن تنشىء انساناً ذا ثقافة شاملة، وأنها تدرّس العلوم بوجه عام . إلا اننا نعرف أن هذا الكلام كان كذباً كله ، إذ ان المجتمع كان مبنياً وقائماً كله على تقسيم الناس إلى طبقتين ، إلى مستغلّين ومضطهدين. وطبيعيّ أن المدرسة القديمة لم تكن ، وقد تشبّعت بروح الطبقية، تمنح المعرفة إلا لأبناء البرجوازية . فكل كلمة من كلماتها كانت تكيّف لمصلحة البرجوازية. ولم يكن الاهتمام في هذه المدارس ينصب على تربية الجيل الجديد من العمال والفلاحين ، بقدر ما كان ينصب على اعدادهم وفق مصلحة البرجوازية نفسها. كان ابناء العمال والفلاحين يربّون ليكونوا للبرجوازية خدماً نافعين قادرين على جني الأرباح لها ، وفي الوقت نفسه ، لا يزعجون راحتها ولا بطالتها . لكننا ، ونحن ننبذ المدرسة القديمة ، أخذنا على أنفسنا مهمّة هي أن لا نقتبس منها إلا ما هو ضروري لنا لنتوصل إلى تربية شيوعية حقيقية .

وهنا أصل إلى تلك الأنواع من اللوم والاتهام التي نسمعها دوماً بصدد المدرسة القديمة ، والتي تؤدي بنا في اكثر الأحيان إلى تأويلات خاطئة تماما . يقال إن المدرسة القديمة لم تكن تعرف غير الدراسة ، والدراسة الماضية والحفظ الآلي. هذا صحيح . إلا انه علينا أن نعرف كيف نميّز بين ما هو سيء في المدرسة القديمة وبين ما هو صالح لنا ، وعلينا أن نعرف كيف نختار منها ما هو ضروريّ للشيوعية .

كانت المدرسة القديمة لا تعرف إلا الدراسة ، وكانت تجبر الناس على استيعاب طائفة كبيرة من معلومات غير ضرورية ، ميتة لا فائدة منها تُحشى الرؤوس بها ، وتجعل من أبناء الجيل الشاب موظفين مصبوبين في قالب واحد .

إلا أنكم تقترفون خطأً جسيماً إذا حاولتم أن تستنتجوا من ذلك أن بإمكان المرء أن يصبح شيوعياً دون أن يستوعب ما تذخر به المعرفة الانسانية . ومن الخطأ التفكير بأنه يكفي المرء أن يستوعب الشعارات الشيوعية واستنتاجات العلم الشيوعي دون غيرها من مجمل المعلومات التي تمثل الشيوعية محصّلتها . وخير نموذج يبيّن كيف نشأت الشيوعية من مجمل المعارف الانسانية هو الماركسية .

لقد قرأتم وسمعتم أن النظرية الشيوعية ، أن العلم الشيوعي الذي أنشأه ماركس بصورة رئيسية ، أن تعاليم الماركسية هذه لم تبق من صنع اشتراكي واحد من القرن التاسع عشر ، على الرغم من عبقرية هذا الاشتراكي ، بل أصبحت تعاليم يأخذ بها الملايين وعشرات الملايين من البروليتاريين في العالم كله ، ويطبقونها في نضالهم ضد الرأسمالية . وإذا طرحتم السؤال التالي : لماذا استطاعت تعاليم ماركس أن تستحوذ على ملايين وعشرات الملايين من القلوب في أوساط الطبقة الأكثر ثورية ، لن تسمعوا إلا جواباً واحداً : حدث هذا لأن ماركس استند إلى أساس صلب من المعارف الانسانية المكتسبة في ظلّ الرأسمالية . فقد أدرك ماركس ، بعد أن درس قوانين تطوّر المجتمع الانساني ، ضرورة تطوّر الرأسمالية التي تفضي بدورها إلى الشيوعية . والأمر الأساسي هنا ، هو أنه اثبت هذه الحقيقة باستناده فقط إلى دراسة المجتمع الرأسمالي دراسة أكثر ما تكون دقّة وتفصيلاً وعمقاً ، مع استيعاب كامل لما اعطاه العلم السابق . فقد عالج ماركس كل ما أبدعه المجتمع الانساني بروح انتقادية ، دون أن يهمل منه نقطة واحدة . كما عالج كل ما ابدعه الفكر الانساني منتقداً ومحصاً إياه على محك الحركة العمالية ، واستخلص منه استنتاجات لم يستطع أن يستخلصها أناس تقيدهم الأطر البرجوازية ، أو تكبلهم الأوهام البرجوازية .

علينا أن نضع ذلك في اعتبارنا حين نتكلم عن الثقافة البروليتارية مثلاً .

فنحن لن نتوصل إلى حلّ لمسألة الثقافة البروليتارية ، ما لم نفهم بوضوح أنه يمكننا أن ننشىء مثل هذه الثقافة ، فقط حين نكون على معرفة تامة بالثقافة التي ابدعها تطور الانسانية كله ، وحين ندرسها دراسة انتقادية . الثقافة البروليتارية لم تظهر فجأة من مكان مجهول ، وليست من اختلاق أناس يدعون أنهم اخصائيون في الثقافة البروليتارية . فهذا كله هراء . على الثقافة البروليتارية أن تكون التطوّر الطبيعي لمجمل ما توصلت إليه الانسانية من معارف تحت نير المجتمع الرأسمالي ومجتمع الاقطاعية ومجتمع الموظفين . هذه الطرق والشعاب قادت وتقود وستظل تقود كلّها إلى الثقافة البروليتارية ، تماماً كما بيّن لنا الاقتصاد السياسي ، الذي اعاد ماركس صياغته ، النقطة التي لابدّ للمجتمع الانساني أن يبلغها، ودلنا على طرق الانتقال إلى الصراع الطبقي وإلى بداية الثورة البروليتارية .

عندما نسمع في أحيان كثيرة ، حتى بين ممثلي الشباب وبعض المدافعين عن التعليم الجديد ، من يتهجّم على المدرسة القديمةقائلًا إنها مدرسة حفظ آلي، فإننا نقول له انّ علينا أن نأخذ ما هو جيّد في المدرسة القديمة .من واجبنا أنلا نأخذ عن المدرسة القديمةاسلوباً في إرهاق ذاكرة الطلاّب بكمية من المعارف لاحدّ لها، تسعة اعشارها لا نفع فيها وعشرها الآخر مشوّه . إلا أن ذلك لا يعني أننا نستطيع الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية والشعارات الشيوعية المحفوظة غيباً . فبهذا وحده لن تكون شيوعية . ولن يستطيع إنسان أن يصبح شيوعياً إلا بعد أن يغني ذاكرته بمعرفة كافة الثروات الفكرية التي ابدعتها الانسانية .

لسنا بحاجة إلى الحفظ الآلي ، بل بحاجة إلى أن ننمّي ذاكرة التلميذ ونطوّرها بمعرفة الوقائع الأساسية ، لأن الشيوعية تصبح لا شيء ، تصبح شعاراً أجوف ، ويصبح الشيوعي مجردّ دعي ان لم يتمثـــل في وجدانه المعارف التي اكتسبها . وهذه المعارف عليكم ألا تكتفوا بمجرّد استيعابها، بل أن تستوعبوها

بفكرٍ ناقد كي لا تثقلوا على دماغكم بخليط لافائدة منه ، بل لتغنوا عقلكم بمعرفة جميع الوقائع التي لا يمكن للانسان المعاصر بدونها أن يكون انساناً مثقفاً . إن الشيوعي الذي يتباهى بشيوعيته على أساس الاستنتاجات الجاهزة التي تعلمها ، دون أن يقوم بعمل كبير جديّ جدّاً ، وصعب جدّاً ، ودون أن يحلل الوقائع التي يترتب عليه أن يقف منها موقفاً انتقادياً ، مثل هذا الشيوعي يدعو للرثاء . ليس ما هو أضرّ من هذه السطحية . فإذا كنت أدرك أني اعرف قليلاً ، فسأحاول معرفة المزيد . ولكن إذا زعم امرؤ أنه شيوعي ، وليس بحاجة إلى معرفة أي شيء ثابت ، فلن يكون فيه ظلٌ من شيوعية .

كانت المدرسة القديمة تنشىء الخدم الضروريين الرأسماليين ، وكانت تجعل من رجال العلم أناساً ملزمين بأن يكتبوا ويتكلموا كما يروق الرأسماليين . وهذا يعني أن علينا أن نتخلص من المدرسة القديمة . ولكن، إذا كان علينا أن نتخلص منها ، إذاً كان علينا أن نهدمها ، فهل يعني هذا أنه ليس من واجبنا أن نأخذ منها كل ما كدسته البشرية من أشياء ضرورية للناس ؟هل معنى ذلك أنه لا يجب علينا أن نميّز بين ما كان ضرورياً للرأسمالية ، وبين ما هو ضروري للشيوعية ؟

فبدلاً من النظام القامي الذي كان يطبق فيما مضى في المجتمع البرجوازي ، خلافاً لإرادة الأغلبية ، سندخل الانضباط الواعي لدى العمال والفلاحين ، الذين يجمعون ، إلى حقدهم على المجتمع القديم، العزم والقدرة واستعدادهم لتوحيد قواهم وتنظيمها في سبيل هذا النضال ، ليخلقوا من إرادة الملايين ومئات الملايين من المشتتين ، المجزئين المبعثرين في اصقاع البلاد الشاسعة ، إرادة واحدة. فبدون هذه الإرادة الواحدة سنمنى بالهزيمة حتماً . وبدون هذا التلاحم بين العمال والفلاحين ، وبدون انضباطهم الواعي ستفشل قضيتنا ، وبدون ذلك لن نتمكن من الانتصار على الرأسماليين والاقطاعيين في العالم كله ، لا بل لن نتمكن من توطيد أسس

المجتمع الشيوعي الجديد ، بله بناء هذا المجتمع . وبالمقابل ،علينا ، مع نبذنا للمدرسة القديمة ، ومع حقدنا الضروري والمشروع تماماً عليها ، ومع تقديرنا هـذا الاستعداد لهدمها ، أن ندرك ان علينـا ، بدلاً من الدراسة القديمـة ، بدلاً من الحفظ الآلي والقسوة في التربية ، أن نتعلم كيف نتمثل حصيلة المعارف الانسانية كلها ،و كيف نفعل ذلك بصورة لا تكون الشيوعية معها ، عندكم ، شيئاً محفوظاً عن ظهرقلب ، بل شيئاً فكرتم فيه بانفسكم ملياً ، شيئاً يمثـل الاستنتاجات التي تفرض نفسها من وجهة نظر التعليم الحديث .

هكذا ينبغي أن تطرح المهمات الاساسية عندما نتحدث عن مهمة تعـلم الشيوعية .

ولـكي أوضح لـكم هذه النقطة واتنـاول في الوقت نفسه مسألة الكيفية التي يجب علينا أن نتعلم بها، سأورد مثالاً عملياً . تعلمون جميعكم ان القضية المطروحة أمامنا الآن ، بعد القضايا العسكرية مباشرة ، بعـــد القضايا المتعلقة بالدفاع عن الجمهورية ، هي القضية الاقتصادية . نحن نعرف أنه يستحيل بناء المجتمع الشيوعي دون بعث الصناعة والزراعـة ، وبعثها بشكل جديد . ينبغي بعثها على أسـاس عصري قائم على أحدث ما توصل اليه العلم . وتعلمون أن هذا الأساس هوالكهرباء. ويوم تتم كهربة البلاد كلها ، وفروع الصناعة والزراعة كلها ، يوم تنجزون هـذه المهمة ، يومذاك فقط تستطيعون أن تبنوا لانفسكم المجتمـع الشيوعي الذي لن يستطيـع الجيل القديم ان يبنيه . امامكم الآن مهمة بعث اقتصاد البلاد كلهـــا ، واعادة تنظيم الزراعة والصناعة والنهوض بهما على اساس تقني حديث يرتكز على العلم والتقنية الحديثين وعلى الكهرباء . وتدركون كل الإدراك أن الكهربة لن يحققها الاميون ، وأنها تتطلب اكثر من المعرفة البدائية . ولايكفينا هنا أن نفهم ماهي الكهرباء ، بل ينبغي أن نعرف كيف نطبقها بشكل فني على الصناعة والزراعـة

وفروعها المتعددة . علينا أن نتعلم هذا كله بأنفسنا ، وان نعلمه للجيل الصاعد الكادح كله . هذه هي المهمة المطروحة أمام كل شيوعي واع ، امام كل شاب يعتبر نفسه شيوعياً ويدرك بوضوح أنه ، بانضمامه إلى اتحاد الشبيبة الشيوعي، يقطع على نفسه عهداً بمساعدة الحزب في بناء الشيوعية ، وبمساعدة الجيل الشاب كله على خلق المجتمع الشيوعي . عليه ان يفهم أنه لن يتمكن من خلق هذا المجتمع إلا على اساس الثقافة الحديثة ، وان الشيوعية لن تعدو كونها مجرد رغبة ، ما لم يأخذ بناصية هذه الثقافة .

كانت مهمة الجيل السابق اسقاط البرجوازية ، وكانت المهمة الرئيسية انذاك نقد البرجوازية وإنماء شعور الحقد عليها بين الجماهير ، ومعرفة حشد قواها وتطوير وعيها الطبقي . أما الجيل الجديد فيواجه مهمة اعقد . إن واجبكم لايقتصر على حشد قواكم كلها لدعم سلطة العمال والفلاحين ضد غزو الرأسماليين . فهذا واجبكم وقد ادركتموه كل الإدراك ، وكل شيوعي يفهمه بوضوح . لكن ذلك لايكفي. عليكم ان تبنوا المجتمع الشيوعي ، وقد تم النصف الأول من العمل في نواح كثيرة . فقد هدم النظام القديم كما كان ينبغي له ان يهدم ، وتحول ، كما كان ينبغي تحويله ، إلى ركام من الخراب . التربة مهدت ، وعلى هذه التربة يجب على الجيل الشاب ان يبني المجتمع الشيوعي . أمامكم مهمة البناء . ولن تتمكنوا من القيام بها إلا إذا استوعبتم المعارف الحديثة كلها ، إلا إذا عرفتم كيف تحولون الشيوعية من صيغ ونصائح ووصفات وتعليمات وبرامج جاهزة ومحفوظة غيباً ، إلى شيء حي يوحد عملكم المباشر ، إلا إذا جعلتم من الشيوعية مرشداً لكم في نشاطكم العملي .

هذه هي مهمتكم التي يتوجب عليكم أن تسترشدوا بها في تعليم الجيل الشاب كله ،وتربيته والنهوض بمستواه. عليكم أن تكونوا أوائل البناة من بين هذه الملايين

من بناة المجتمع الشيوعي . على كل شاب ، وعلى كل فتاة ، ان يكون هذا الباني . فإذا لم تشركوا الشباب كلهم ، عمالاً وفلاحين ، في بناء الشيوعية ، لن تبنوا المجتمع الشيوعي .

وأصل هنا بطبيعة الحال إلى المسألة التالية : كيف يجب علينا أن نعلم الشيوعية ، وأي طابع يجب ان تتخذه أساليبنا ؟

سأتوقف هنا قبل أي شيء آخر عند مسألة الأخلاق الشيوعية .

ينبغي عليكم ان تربوا من انفسكم شيوعيين . والمهمة المطروحة امام اتحاد الشبيبة هي ان يمارس نشاطه العملي ، بحيث تربي هذه الشبيبة نفسها ، وهي تتعلم وتنظم نفسها وتتلاحم وتناضل ، وتربي كل من يعترف بها قائداً ، بحيث تربي شيوعيين . ينبغي ان تكون عملية تربية الشبيبة الحالية وتعليمها وتثقيفها منصبة كلها على انماء الأخلاق الشيوعية فيها .

ولكن هل توجد أخلاق شيوعية ؟ هل توجد أخلاقية شيوعية ؟ أجل بكل تأكيد . غالباً ما يقال انه لا توجد عندنا اخلاقية خاصة بنا ، وتتهمنا البرجوازية في احيان كثيرة جداً بأننا ننكر ، نحن الشيوعيين ، اي اخلاق . وهذه طريقة لتشويه الافكار ، وذر الرماد في عيون العمال والفلاحين .

بأي معنى ننكر الأخلاق وننكر الأخلاقية ؟

بالمعنى الذي تبشر به البرجوازية ، التي كانت تستخلص هذه الأخلاق من وصايا الله . فنحن نعرف تماماً ان رجال الدين والاقطاعيين والبرجوازيين كانوا يتكلمون باسم الله ليؤمنوا مصالحهم الاستغلالية . كذلك ، لم يكونوا يستخلصون هذه الأخلاق من ضوابط الأخلاق ومن وصايا الله ، بل يستخلصونها من تعابير مثالية أو نصف مثالية ، تنتهي دائماً إلى امور تشبه إلى حد كبير وصايا الله .

إننا لا نعترف بأخلاق من هذا النوع ، مستقاة من مفاهيم غير انسانية

وغير طبقية ، ونقول إنها تخدع العمال والفلاحين ، وتحشو ادمغتهم حشواً لصالح الاقطاعيين والرأسماليين .

ونقول ، بالمقابل ، إن اخلاقنا تخضع خضوعاً تاماً لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي ، وإنها مستقاة من مصالح نضال البروليتاريا الطبقي .

كان المجتمع القديم قائماً على ظلم الاقطاعيين والرأسماليين للفلاحين والعمال كلهم . وكان علينا ان نهدم هذا كلـــه ، وان نسقطهم . كان يتوجب علينا ان ننشىء اتحاداً لتحقيق هذا الغرض ، ولم يكن الله هو الذي سيحقق هذا الاتحاد .

لم يكن من الممكن لهذا الاتحاد ان يأتي إلا من المعامل والمصانع ، إلا على يد بروليتاريا متعلمة استيقظت من سباتها الطويل . وعندما تكونت هذه الطبقة ، عندما تكونت فقط ، بدأت الحركة الجماهيرية التي أدت إلى ما نراه اليوم ، إلى انتصار الثورة البروليتارية في بلد من اضعف البلدان ، يدافع عن نفسه منذ ثلاث سنوات ضد هجوم برجوازية العالم كله . وها نحن اولاء نرى الثـــورة البروليتارية تنمو في العـــالم كله . ونقول اليوم ، بالاستناد إلى تجربتنا ، ان البروليتاريا وحدها استطاعت ان تخلق قـــوة متلاحمة تجتذب الفلاحين المبعثرين المشتتين ، قوة صمدت في وجه هجمات المستغلين كلهـا ، وإن هذه الطبقة وحدهـا تستطيع ان تساعد الجماهير الكادحة على توحيد صفوفهـــا وزيادة تلاحمها ، وعلى الدفاع عن المجتمع الشيوعي وتوطيده نهائياً ، وبنائه نهائياً .

لهذا السبب نقول إن الأخلاق ، مأخوذة خارج المجتمع الانساني ، غير موجودة بالنسبة لنا ، إنها خداع . الأخلاق ، في نظرنا ، تخضع لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي .

ولكن فيم يقوم هذا النضال الطبقي ؟ يقوم في اسقاط القيصر ، في اسقاط الرأسماليين وفي محو طبقة الرأسماليين . وما هي الطبقات بوجه عام ؟ هي ما يمكن

قسماً من المجتمع من ان يستأثر بعمل القسم الآخر . فإذا استأثر قسم من المجتمع بالأرض كلها ، كانت طبقتا الاقطاعيين والفلاحين . وإذا كانت المصانع والمعامل والأسهم والرساميل لقسم من المجتمع ، بينما يعمل القسم الآخر في هذه المصانع ، كانت طبقة الرأسماليين وطبقة البروليتاريين .

لم يكن من الصعب طرد القيصر ، فلم يتطلب الأمر إلا بضعة أيام . ولم يكن من الصعب جداً طرد الاقطاعيين ، فقد تمكنا من تحقيق ذلك في بضعة أشهر ، وطرد الرأسماليين ليس امراً بالغ الصعوبة . لكن محو الطبقات أمر لا يقارن في صعوبته بما سبق ؛ فما زال الانقسام الى عمال وفلاحين قائماً . فإذا أقام الفلاح على قطعة من الأرض واستأثر بالفائض من الحبوب ، أي الحبوب التي لا يحتاج اليها لا هو ولا ماشيته ، بينما يبقى الآخرون دون حبوب ، فإن هذا الفلاح يتحول إذ ذاك الى مستغِل . وبقدر ما يحتفظ لنفسه من الحبوب ، يكون هذا أربح له ، وليجع الآخرون : « كلما جاعوا بعت حبوبي بسعر أغلى » . على الجميع أن يعملوا حسب برنامج مشترك على ارض مشتركة ، وفي مصانع ومعامل مشتركة ، ووفقاً لنظام مشترك . فهل من السهل تحقيق ذلك ؟ ترون اننا لا نستطيع أن نتوصل الى ذلك بمثل السهولة التي توصلنا بها الى طرد القيصر والاقطاعيين والرأسماليين . فعلى البروليتاريا هذه المرة ان تعيد تربية قسم من الفلاحين وتعليمه ، وأن تجذب اليها الفلاحين الكادحين لتسحق مقاومة الفلاحين الأغنياء الذين يثرون على حساب بؤس الآخرين . وهذا معناه أن هدف البروليتاريا من نضالها لما يتحقق باسقاط القيصر وطرد الاقطاعيين والرأسماليين ، بل ان تحقيق هذا الهدف هو ، بالضبط ، مهمة النظام الذي نطلق عليه اسم دكتتورية البروليتاريا .

الصراع الطبقي مستمر ، ولم تتغير إلا أشكاله فقط . وهو صراع طبقي تخوضه البروليتاريا لكي تحول دون عودة المستغلين السابقين ، ولكي تعبىء جماهير

الفلاحين المبعثرين الجاهلين في اتحاد واحد . الصراع الطبقي مستمر ، وواجبنا ان نخضع كافة المصالح لهذا الصراع . ولهذه المهمة نخضع اخلاقنا الشيوعية كلها ، ونقول : الأخلاق هي ما يمكن من هدم مجتمع المستغلين القديم ، وتوحيد الكادحين كلهم حول البروليتاريا التي تنشىء مجتمع الشيوعيين الجديد .

الأخلاق الشيوعية هي الأخلاق التي تخدم هذا النضال ، هي التي توحد الكادحين ضد كل استغلال ، وضد كل ملكية صغيرة ، لأن الملكية الصغيرة تضع في يد فرد واحد ما ابدعه عمل المجتمع كله . فالارض ، عندنا ، ملكية مشتركة .

ولكن إذا اخذت قطعة من هذه الملكية المشتركة وانتجت منها كمية من الحبوب تزيد ضعفين عما احتاج اليه ، ثم أخذت أضارب بهذا الفائض؟ وإذا قلت في نفسي إنه كلما زاد عدد الجياع ارتفعت الاسعار التي تدفع لي ؟ هل يكون تصرفي هذا تصرف شيوعي ؟ كلا ، فتصرفي هذا تصرف مستثمر ، مالك . علينا أن نناضل ضد هذا . فإذا تركنا الأمور تجري على حالها ، سيسير كل شيء الى الوراء ، نحو حكم الرأسماليين ، نحو حكم البرجوازية ، كما حدث اكثر من مرة في الثورات السابقة . وعلينا ، كي نحول دون عودة حكم الرأسماليين والبرجوازية ، ألا نسمح بالاتجار ، علينا ان نحول دون إثراء بعض الناس على حساب بعضهم الآخر . ولهذا ينبغي على الكادحين كلهم أن يلتحموا بالبروليتاريا ، ويكونوا المجتمع الشيوعي . تلك هي الخاصة الرئيسية للمهمة الرئيسية المطروحة أمام اتحاد الشباب الشيوعي ومنظمته .

كان المجتمع القديم قائماً على المبدأ التالي : إما ان تنهب قريبك أو ينهبك قريبك ؛ إما ان تشتغل لصالح انسان آخر ، وإما ان يشتغل هو لصالحك ؛ إما ان تكون مالك عبيد ، أو ان تكون عبداً . من المفهوم أن الذين تربوا في هذا المجتمع يرضعون مع حليب امهاتهم ، إذا جاز القول ، هذه النفسية ، وهذه العادات ،

وهذه المفاهيم - إما مالك عبيد أو عبد ، إما مالك صغير او مستخدم صغير ، موظف صغير ، مثقف ، وبكلمة موجزة، إنسان لا يهتم الا بامتلاك ماهو ضروري له دون مبالاة بالآخرين .

إذا كنت أستثمر قطعة ارض فليس لي ان أهتم بالآخرين ؛ وإذا جاع الآخرون كان ذلك افضل : فسأبيع حبوبي بسعر أغلى ، وإذا كان لي منصب صغير ، طبيباً او مهندساً ، او معلماً او مستخدماً فما همني بالآخرين . وربما تملقت أصحاب السلطة وسعيت الى إرضائهم حفاظاًعلى منصبي، ولقد أنجح في شقّ طريقي فأصبح أنا نفسي برجوازياً . لا يمكن لشيوعي ان تكون له هذه النفسية وهذا المزاج . فعندما أثبت العمال والفلاحون أننا قادرون على ان ندافع عن انفسنا بقوانا الخاصة ، وأن ننشىء مجتمعاً جديداً ، بدأت آنذاك تربية شيوعية جديدة ، تربية تمت في غمرة النضال ضد المستغلين ، وبالتحالف مع البروليتاريا ضد الأنانيين وصغار الملاّك ، ضد النفسية والعادات القائلة : إني أسعى الى فائدتي ولا يهمني أي شيء آخر .

هذا هو الجواب على السؤال : كيف يتوجب على الجيل الفتيّ الصاعد أن يتعلم الشيوعية .

ولا يستطيع الجيل الصاعد أن يتعلم الشيوعية إلا اذا ربط كل خطوة يخطوها في دراسته ، وتربيته ، وتعليمه ، بالنضال المستمر الذي يخوضه البروليتاريون والكادحون ضد مجتمع المستغلين القديم . وعندما يتحدثون الينا عن الاخلاق نقول لهم : الأخلاق ، كل الأخلاق في انضباط الجماهير وتضامنها وتراصها ونضالها الواعي ضد المستغلين . نحن لا نؤمن بقيم أخلاقية أبدية ، ونفضح خداع القصص الملفقة حول الاخلاق . الاخلاق الحقيقية هي التي تتيح للمجتمع الانساني أن يرتفع الى أعلى ، أن يتحرر من استغلال العمل .

ولأجل تحقيق هذا الهدف نحتاج إلى هذا الجيل من الشباب الذي بدأ يتحول إلى أناس واعين في جو من النضال النظامي الضاري ضد البرجوازية . وسيربي هذا الجيل ، في غمرة هذا النضال ، شيوعيين حقيقيين ، وعليه أن يخضع لهذا النضال ويربط به كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه . وتربيته الشيوعية لا تقوم بإغراقها بالخطب المعسولة وبقواعد الأخلاق . فليس هذا من التربية في شيء . إن الذين رأوا آباءهم وامهاتهم يقضون حياتهم تحت نير الاقطاعيين والرأسماليين وتحملوا ، هم أيضاً ، قسطهم من الآلام التي عاناها اولئك الذين بدأوا النضال ضد المستغلين ، ورأوا أية تضحيات تتطلبها مواصلة النضال دفاعاً عن مكتسباتهم ، وأي اعداء مسعورين هم الملاكون العقاريون والرأسماليون ـ إن الذين رأوا ذلك يتربون تربية شيوعية . إن أساس الأخلاق الشيوعية هو النضال في سبيل توطيد الشيوعية وإنجاز بنائها وهذا هو أيضاً أساس التربية الشيوعية والتثقيف الشيوعي والتعليم الشيوعي . ذلكم هو الجواب على السؤال : كيف يتوجب علينا أن نتعلم الشيوعية .

إننا لا نؤمن بالتعليم والتثقيف والتربية إذا انزوت في المدارس وانقطعت عن الحياة المتدفقة . وما دام الاقطاعيون والرأسماليون يضطهدون العمال والفلاحين ، وما دامت المدارس في أيدي هؤلاء الاقطاعيين والرأسماليين ، سيبقى الجيل الشاب اعمى وجاهلاً . أما مدرستنا فمن واجبها أن تمنح الشباب اسس المعرفة ، والقدرة على أن يكونوا بأنفسهم نظرتهم الشيوعية ، وأن تجعل منهم أناساً متعلمين . عليها أن تجعل الشباب يشاركون ، خلال مدة دراستهم ، في النضال من أجل التحرر من المستغلين . ولن يكون اتحاد الشبيبة الشيوعي جديراً بالاسم الذي يحمله ، لن يكون حقاً اتحاد الجيل الشيوعي الفتي ، إلا إذا ربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه بالنضال المشترك الذي يخوضه الكادحون كلهم ضد المستغلين . فأنتم تعرفون تمام المعرفة أنه ما دامت روسيا الجمهورية العمالية الوحيدة ، وما دام النظام

البرجوازي القديم قائماً في بقية البلدان، سنظل اضعف منهم، وسنظل مهددين في كل لحظة بهجوم جديد ، ولن ننتصر في نضالنا العتيد ، ولن يصلب عودنا فيستحيل قهرنا فعلاً ، إلا إذا تعلمنا كيف نتحد ، وكيف نعمل بقلب واحد . فأن يكون المرء شيوعياً معناه تنظيم الجيل الصاعد كله وتوحيده ، ومعناه اعطاء المثل الصالح على التربية والانضباط في هذا النضال . إذ ذاك تستطيعون أن تباشروا بناء صرح المجتمع الشيوعي ، وأن تكملوا هذا البناء .

وسأورد مثالاً زيادة في الايضاح . إننا نسمي انفسنا شيوعيين . فماذا تعني كلمة شيوعي . إن كلمة شيوعي آتية من اللاتينية Communis (كومونس) ، وكلمة كومونس تعني مشترك . والمجتمع الشيوعي يعني : كل شيء مشترك ـ الارض مشتركة ، والمعامل مشتركة ، والعمل مشترك . هذا هو معنى الشيوعية .

فهل يمكن للعمل أن يكون مشتركاً إذا كان كل انسان يستثمر قطعة أرض لحسابه الخاص ؟ العمل المشترك لا يأتي دفعة واحدة . هذا أمر غير ممكن وهو لا يهبط من السماء ، بل ينبغي اكتسابه ، خلقه . إنه ثمرة معاناة طويلة . وهو ينشأ في غمرة الصراع . فالمسألة ليست مسألة كتب قديمة ، فما من شخص يصدقها . المسألة تجربة شخصية في الحياة . فعندما كان كولتشاك ودينيكين يتقدمان من سيبيريا ومن الجنوب ، كان الفلاحون إلى جانبها . لم تكن البلشفية لتعجبهم لأن البلاشفة كانوا يأخذون الحبوب بأسعار ثابتة . ولكن عندما جرب الفلاحون في سيبيريا وأوكرانيا كولتشاك ودينيكين أدركوا أن لاخيار لهم : فإما السير وراء الرأسمالي الذي سيسلمهم إلى عبودية الاقطاعي ، وإما السير وراء العامل الذي لا يعدهم ، في الحقيقـــة ، بالمن والسلوى ، والذي يطالبهم بالثبات والانضباط الحديدي في هذه المعركة القاسية ، لكنه يحررهم من عبودية الرأسماليين والاقطاعيين. وحين أدرك حتى الفلاحون الجهلة ، ورأوا بتجربتهم الخاصة ، هذه الحقيقة ، اصبحوا

من انصار الشيوعيـة الواعين الذين اجتـازوا مدرسة قاسية . وعلى اتحاد الشبيبة الشيوعي أن يضع هذه التجربة في أساس نشاطه كله .

لقد أجيب على السؤال : ما يجب علينـــا أن نتعلمه ، وما يجب علينا أن نأخذه من المدرسة القديمة ومن العلم القديم. وسأحاول الاجابة على سؤال آخر: كيف يجب علينا أن نتعلم هذه الأمور. لن نتعلمها إلا إذا ربطنا ربطاً لا تنفصم عراه كل خطوة من نشاطنا في المدرسة، وكل خطوة نخطوها في التربية والتعليم والتثقيف بنضال الكادحين كلهم ضد المستغلين

وسأبين لكم بوضوح ، وببعض الامثلة المستقاة من تجربة عمل هذه المنظمة أو تلك من منظمات الشباب ، كيف يجب أن تكون التربية الشيوعية التي نتحدث عنها . تعلمون أنه من المستحيل بناء مجتمع شيوعي في بلدٍ من الاميين . فلا يكفي أن تأمر السلطة السوفيتية ، أو أن يطرح الحزب شعاراً معيناً ، أو أن نعبىء قسماً من خيرة مناضلينا لهذه المهمة ، بل ينبغي على الجيل نفسه أن يشرع في تنفيذ هذه المهمة . الشيوعية تقوم في أن يعلن الشباب والفتيات المنتسبون إلى اتحاد الشبيبة أن هذه القضية قضيتنا، سنوحد صفوفنا وسنمضي إلى القرى لنصفي الامية، لكي لا يبقى في صفوف جيلنا الصاعد اميون . ونحن نسعى لأن يكرس الجيل الناشىء نشاطه لهذه المهمة. تعلمون أنه يستحيل تحويل روسيا الجاهلة الامية بسرعة إلى بلد متعلم . لكن إذا أخذ اتحاد الشبيبة هذه المهمة على عاتقه ، وإذا عملت الشبيبة كلها لصالح الجميع، فإن هذا الاتحاد الذي يضم ٤٠٠٠٠٠٠ من الشباب والفتيات سيحق له أن يدعى اتحاد الشبيبة الشيوعي . وفوق ذلك ، فإن على الاتحاد ، مع استيعابه لهذه المعارف أو تلك ، العمل على مساعدة الشبان الذين لا يستطيعون أن يتحرروا بأنفسهم من ظلمات الامية . إن العضوية في اتحاد الشبيبة تعني أن على حاملها أن يرتب اموره بحيث يهب القضية العامة نشاطه كله وقواه كلها . في

هذا فقط قوام التربية الشيوعية. وبالعمل على هذا النحو فقط يصبح الشاب أوالفتاة شيوعياً حقيقياً . ولن يصبحا شيوعيين ، إلا إذ حصلا بعملهما على نتائج عملية .

خذوا مثلاً على ذلك العمل في بساتين الخضراوات قرب المدن . أوليست هذه مهمة ؟ إنهـــا إحدى مهام اتحاد الشبيبة الشيوعي . الشعب جائع ، والمجاعة منتشرة في المعامل والمصانع . إذاً ، ينبغي تطوير زراعة الخضراوات لنتخلص من المجاعة . لكن الزراعة لا زالت تتبع الأساليب القديمة . إذاً ، يجب على العناصر الأكثر وعياً أن تبدأ في العمل، وسترون أن بساتين الخضراوات سوف تتكاثر ، ومساحتها تزداد ، والنتائج تتحسن . على اتحاد الشبيبة الشيوعي أن يشارك مشاركة نشيطة في هـذا العمل . وعلى كل منظمة أو خلية في الاتحاد أن تعتبر هـذه المهمة مهمتها الخاصة .

على اتحاد الشبيبة الشيوعية أن يكون فصيلة صدام تقدم مساعدتها في كل عمل ، وتظهر ما عندها من روح مبادهة . وعلى الاتحاد أن يسلك سلوكاً يستطيع معه كل عامل أن يرى في أعضائه أناساً قـد لا يفهم تعاليمهم ، وقد لا يؤمن فوراً بها ، لكنه يرى في عملهم الحيّ ، وفي نشاطهم ، مـــا يقنعه بأنهم هم فعلاً الذين يدلونه على الطريق الصحيح .

فإذا لم يتوصل اتحاد الشبيبة الشيوعي إلى تنظيم عمله في جميع الميادين على هذا النحو ، معناه أنه يرتدّ إلى الطريق القديم ، الطريق البرجوازي . علينا أن نقرن تربيتنا بنضال الكادحين ضد المستغلين حتى نكون الأوائل في مساعدة الكادحين على انجاز المهام المنبثقة من التعاليم الشيوعية

على أعضاء الاتحـــاد أن يكرسوا كل ساعة من ساعات فراغهم لتحسين الزراعة في بساتين الخضراوات ، أو لتنظيم تعليم الشبان في مصنع مـا أو معمـل ما الخ ... نريد أن نجعل من روسيا الفقيرة البائسة بلاداً غنية . ولهـذا يجب على

اتحاد الشبيبة الشيوعي أن يقرن تعلمه وتثقيفه وتربيته بعمل العمال والفلاحين ، وألا ينزوي في مدارسه ويكتفي بقراءة الكتب والكراريس الشيوعية. فبالعمل المشترك مع العمال والفلاحين ، وبه وحده ، يستطيع الانسان أن يصبح شيوعياً حقيقياً . ويجب أن يرى الناس جميعهم أن المنتسبين إلى اتحاد الشبيبة متعلمون كلهم ، وأنهم يعرفون في الوقت نفسه كيف يعملون . وعندما يرى الناس جميعاً أننا نبذنا من المدرسة القديمة أساليبها القاسية القديمة ، واستعضنا عنها بالانضباط الواعي، وأن شبابنا يشاركون كلهم في السبوت الشيوعية، ويستخدمون كل مزرعة قرب المدن ليساعدوا السكان ، سينظر الناس إلى العمل نظرة تختلف عن نظرتهم السابقة إليه .

على اتحاد الشبيبة الشيوعي أن ينظم القرية أو الحيّ في اعمال ـ وأنا أضرب مثلاً بسيطاً ـ كتأمين النظافة وتوزيع المأكولات. كيف كان يتم هذا في المجتمع الرأسمالي القديم؟ كان كل امرىء يعمل لنفسه فقط . ولم يكن أحدليهتم بما إذا كان هناك شيوخ أو مرضى ، أو بما إذا كانت الشؤون المنزلية تقع كلها على كاهل المرأة التي كانت مرهقة ومستعبدة بسبب ذلك . فمن يترتب عليه أن يناضل ضد هذا ؟ إنه اتحاد الشبيبة . ومن واجبه أن يقول : سنغير هذا كله ، وسننظم فصائل من الشباب تساعد على تأمين النظافة ، وتوزيع المأكولات ، تزور البيوت بانتظام ، وتعمل بصورة منظمة لخير المجتمع كله ، موزعة قواها توزيعاً صحيحاً ، ومبينة أن العمل يجب أن يكون عملاً منظماً .

إن الجيل ، الذي بلغ نمثلوه اليوم ما يقرب من الخمسين عاماً من العمر ، لا يستطيع أن يتوقع رؤية المجتمع الشيوعي . فهذا الجيل سينقرض قبل أن يأتي هذا المجتمع . أمّا الجيل الذي يبلغ الآن الخامسة عشرة من عمره ، فسيرى هذا المجتمع ويشارك هو نفسه في بنائه . فعليه إذاً أن يعرف أن هدف حياته كلّه هو

بناء هذا المجتمع . ففي المجتمع القديم كانت كل عائلة تقوم بالعمل بمفردها ، ولم يكن هناك من ينسق هذا العمل ويوحده إلا الاقطاعيون والرأسماليون الذين كانوا يضطهدون جماهير الشعب . أمّا نحن فمن واجبنا أن ننظم أي عمل مهما كان قذراً وصعباً بصورة يستطيع معها كل عامل وكل فلاّح أن يقول في نفسه : إني عضو في هذا الجيش العظيم ، جيش العمل الحر ، وسأعرف كيف انظم بنفسي حياتي بعيداً عن الاقطاعيين والرأسماليين ، سأعرف كيف اقيم النظام الشيوعي . وعلى اتحاد الشبيبة الشيوعي أن يربي الجميع منذ صباهم (*) على العمل الواعي النظامي. وهكذا نستطيع أن نأمل بأن المهمات المطروحة الآن أمامنا سوف تنجز . علينا أن نقدّر أنه يلزمنا عشر سنوات على الأقل حتى تتم كهربة البلاد ، وحتى تتمكن أرضنا التي افتقرت إلى الإفادة من احدث منجزات التقنية . فعلى الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من عمره ، والذي سيعيش في المجتمع الشيوعي بعد عشر سنوات أو عشرين سنة ، أن ينظم دراسته بصورة تستطيع معها الشبيبة في كل يوم وكل مدينة وكل قرية ، أن تقوم بهذه المهمة أو تلك من العمل المشترك ، مهما كانت هذه المهمة بسيطة ومتواضعة . وبقدر ما يجري ذلك في كافة القرى ، وبقدر ما تتطور المباراة الشيوعية وتبرهن الشبيبة على أنها تعرف كيف توحّد عملها ، بضمن نجاح البناء الشيوعي . ولن يستطيع اتحاد الشبيبة الشيوعي أن يحشد نصف المليون من اعضائه في جيش واحد للعمل ، ويثير لحترام الجميع له ، إلا إذا نظرنا إلى كل خطوة من خطواتنا من وجهة نظر نجاح هذا البناء ، إلا إذا تساءلنا إن كنّا بذلنا كل ما في وسعنا لنكون كادحين متحدين واعين . (عاصفة من التصفيق) .

ج ٤١ ، ص ٢٩٨ - ٣١٨

(*) وردت في عدد البرافدا رقم ٢٢٣ بتاريخ (٧) تشرين أول ١٩٢٠ كلمات « منذ الثانية عشرة » بدل كلمتي « منذ صباهم » . (هيئة التحرير) .

في الثقافة البروليتارية

يتبين من عدد « ازفستيا » تاريخ ٨ / ١٠ ، أن الرفيق لوناتشارسكي قال في مؤتمر « جماعة الثقافة البروليتارية » تماماً عكس ما اتفقنا عليه معاً البارحة[٤٤].

من الضروري اعداد مشروع قرار (لمؤتمر الثقافة البروليتارية) بسرعة خارقة ، وعرضه على اللجنة المركزية وعدم التأخر في عرضه على دورة « الثقافة البروليتارية » **الحالية بالذات** . ينبغي عرضه اليوم بالذات ، وباسم اللجنة المركزية على هيئة مفوضية الشعب للتعليم ، وعلى مؤتمر « الثقافة البروليتارية » ، اذ ان المؤتمر ينهي اعماله اليوم .

مشروع القرار : [٤٥]

١ — في جمهورية العمال والفلاحين السوفيتية ، يجب ان يكون تنظيم امور التعليم كله ، سواء كان ذلك في المجال السياسي التنويري بعامة ، أو في مجال الفن بخاصة ، مفعماً بروح النضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا من اجل تحقيق اهداف دكتتوريتها بنجاح ، أي من اجل اسقاط البرجوازية ، والقضاء على الطبقات وعلى أي استغلال للانسان من قبل أخيه الانسان .

٢ — ولهذا فعلى البروليتاريا أن تشارك ، سواء في شخص طليعتها الحزب الشيوعي أو في شخص مختلف المنظمات البروليتارية بوجه عام ، انشط مشاركة وأهمها في تثقيف الشعب كله .

٣ — لقد اثبتت تجربة التاريخ المعاصر كله ، ولا سيما نضال البروليتاريا الثوري في بلدان العالم كلها ، خلال اكثر من نصف قرن ، منذ ظهور « البيان

الشيوعي » ، اثباتاً لا يقبل الجدل أن النظرة الماركسية إلى العالم تعبّر وحدها تعبيراً صحيحاً عن مصالح البروليتاريا الثورية وثقافتها ووجهة نظرها.

٤ – لقد اكتسبت الماركسية اهميتها التاريخية العالمية بوصفها ايديولوجيا البروليتاريا الثورية ، لكونها لم تتخلّ أبداً عن المنجازات العهد البرجوازي ، بل على العكس ، استوعبت وتمثلت كل ما له قيمة في تطور الفكر والثقافة الانسانيين ، خلال اكثر من ألفي عام. وإن مواصلة العمل على هذا الأساس وفي هذا الاتجاه بالذات ، العمل الذي يستلهم التجربة العملية لدكتتورية البروليتاريا ، بوصفها آخر نضال تخوضه ضد الاستغلال ، هي وحدها التي يمكن اعتبارها تطويراً للثقافة البروليتارية الحقة .

٥ – إن مؤتمر الثقافة البروليتارية لعموم روسيا ، وهو يتمسك بثبات بوجهة النظر المبدئية هذه ، يرفض ، كأشد ما يكون الرفض ، مختلف المحاولات الرامية إلى تلفيق ثقافة خاصة متميزة ، والانطواء في منظمات خاصة منعزلة ، وإقامة فاصل بين ميدان عمل مفوضية الشعب للتعليم وميدان عمل جماعة الثقافة البروليتارية ، أو الاقرار بالاستقلال الذاتي « لجماعة الثقافة البروليتارية داخل مؤسسات مفوضية الشعب للتعليم الخ . بوصفها محاولات خاطئة نظرياً وضارة عملياً . وبالمقابل ، يلزم المؤتمر قطعاً مختلف منظمات الثقافة البروليتارية بأن تعتبر نفسها هيئات معاونة في شبكة مؤسسات مفوضية الشعب للتعليم ، وأن تنفذمهامها بوصفها جزءاً من مهام دكتتورية البروليتاريا تحت القيادة العامة للسلطة السوفيتية (وخصوصاً مفوضية الشعب للتعليم) وللحزب الشيوعي الروسي .

يقول الرفيق لونا تشارسكي إن افكارها قد شوهت . فالأحرى ، اذن ، أن يكون إصدار القرار ضرورياً وفي منتهى الضرورة .

كتب في ٨/ ٩٠ / ١٩٢٠

ج ٤١ ص ، ٣٣٦-٣٣٧

مسودة قرار حول الثقافة البروليتارية (٤٦)

١ – لا افكار خاصة ، بل الماركسية .

٢ – لا اختلاق ثقافة بروليتارية جديدة، بل تطوير خيرة نماذج الثقافة الموجودة وتقاليدها ونتائجها من وجهة نظر الماركسية إلى العالم ، وظروف حياة البروليتاريا ، ونضالها في عهد دكتتوريتها .

٣ – لا بمعزل عن مفوضية الشعب للتعليم ، بل بوصفها جزءاً منها ، لأن الحزب الشيوعي الروسي + مفوضية الشعب للتعليم = حاصل الثقافة البروليتارية .

٤ – ارتباط وثيق لجماعة الثقافة البروليتارية بمفوضية الشعب للتعليم وخضوع لها.

٥ – لا يجوز قطعاً ...(*) .

كتب في ١٩٢٠/١٠/٩
ج ٤١ ص ، ٤٦٢

(*) عند هذا الحد تنتهي المخطوطة « هيئة التحرير » .

الى ن . ا بوخارين

لماذا نتطرق **الآن** إلى خلافاتنا (التي قد تكون ممكنة) إذا كان يكفينا أن نعلن **باسم اللجنة المركزية كلها** ما يلي (ونبرهن عليه) :

١ – الثقافة البروليتارية = الشيوعية

٢ – يطبقها الحزب الشيوعي الروسي

٣ – طبقة البروليتاريا=والحزب الشيوعي الروسي» =**السلطة السوفيتية**

هل نوافق جميعاً على هذا ؟

كتب في ١١ / ١٠ / ١٩٢٠

ج ٥١ ص ٢٩٨ - ٢٩٩

مشروع قرار لعرضه على الاجتماع الموسع
للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)
حول الثقافة البروليتارية

إن اللجنة المركزية ، إذ تؤكد قرار المكتب السياسي ، توافق من حيث الأساس على المشروع الذي وضعته اللجنة السياسية التنويرية الرئيسية ، تنفيذاً لتعليماتها ، وتعهد إلى المكتب السياسي بمراجعته مراجعة نهائية ، للتعبير بشكل أدق عن الفكرة الرئيسية وهي أنه على عمل منظمة الثقافة البروليتارية في ميدان التنوير السياسي والعلمي أن يندمج في عمل مفوضية الشعب للتعليم ومديرياتها في المحافظات ، أما في المجال الفني (من موسيقى ، ومسرح ، وفنون تشكيلية ،

وأدب) فيظل محتفظاً باستقلاله الذاتي . وتحتفظ هيئات مفوضية الشعب للتعليم ، التي يرشحها الحزب الشيوعي الروسي حصراً ، بدورها القيادي لمكافحة الانحرافات التي لا مجال للشك في برجوازيتها . فقط .

كتب في ١٠ / ١١ / ١٩٢٠
ج ٤٢ ص ١٢

الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)

أوافق على كافة تعديلات ن . ك (كروبسكايا) تقريباً ، واقترح إضافة أخرى تتعلق بدمج العمل التنويري السياسي والتنويري العلمي. وسيكون بالإمكان القبول بمشروع زينوفييف بعد إجراء هذه التعديلات والاضافات .

لينين

كتب في ١٤ / ١١ / ١٩٢٠
ج ٥٢ ص ٩ – ١٠

الى ف . م . مولوتوف

الرفيق مولوتوف ! من أين لك برنامج « التعاونيين » هذا الذي بعثت به إلي ؟ إني لم أقرأه بعد ، لكن فيه اشياء كثيرة غريبة . من هؤلاء ؟ اسماؤهم ؟ أين نُشر ؟ وأين يوزع ؟ ومن يوزعه ؟ من وراءهم ؟ الأسماء؟قسم من الساماريين . ومن أيضاً ؟ أم ليس الساماريون وحدهم ؟ (٤٧)

لينين

كتب بين ١٨ و ٢٢ / ١١ / ١٩٢١

ج ٥٤ ص ٢٣

الى اعضاء المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)

الى اعضاء المكتب السياسي

بعد أن انتهيت من قراءة البرنامج كله « نحن تعاونيون » (جماعة فيبريود وبوغدانوف والثقافة البروليتارية الخ . .) ،أصل إلى نتيجة نهائية وهي أنه من المفيد لنا ، ومن الضروري بشكل لا جدال فيه ، طبع البرنامج بشكل كراس ، من الفين إلى ثلاثة آلاف نسخة ، مع نقد يكون في غاية الدقة والرصانة ، بالإضافة إلى مقال عن كتابات بوغدانوف السياسية في عام ١٩١٧ الخ . .

اقترح عرض أمر هذا الكراس على مجموعة من المؤلفين بإشراف بوخارين ، وأن يعهد اليه بتوزيع المقالات على مؤلفين مختلفين ، وأن يستلم منهم مخطوطاتهم

خلال اسبوعين ، ثم يعرضها على **المكتب الساسي** عندما**تكون قد نضدت للطبع** (هذا ضروري **أيضاً للخارج** .)

١ ــ منشورات اللجنة المركزية الـــتي صدرت حول جماعة الثقافة البروليتارية .

٢ ــ « نحن تعاونيون .

٣ ــ مقالة بوخارين المنشورة في البرافدا .

٤ ــ مجموعة من المقالات الأخرى في تحليل البرنامج .

لينين

كتب في ٢ / ١٢ / ١٩٢١

ج ٤٤ ص ٢٦٦

ملاحظات حول مقالة بليتنيف (٤٨)

١٩٢٢/٩/٢٧

في الجبهة الايديولوجية

للحفظ

« أشمل »

تحتل مسائل **الثقافة** ـ وبتعبير **أشمل مسائل الايديولوجيا** ـ مركز الصدارة من اهتمامتنـــا في العام الخامس للثورة.

فوجود جبهة ايديولوجية برجوازية رأسمالية أمر يعترف به الجميع . وينتظرنا في هذه الجبهة نضال جاد وطويل الأمد . ان حساب قوانا هنا مهمة ضرورية لاتؤجل، إذيجب زج قوانا الموجودة كلها في المعركة .

وهدف هذا المقال هو تقييم اهداف ومهام وأشكال وطرق عمل جماعة الثقافة البروليتارية ، بوصفها **احدى فصائل** الايديولوجيا البروليتارية المتقدمة **التي لم تفهم كما يجب حتى الآن** .

اهداف جماعة الثقافة البروليتارية ومهامها

ها ـ ها انظر كلمة « اشمل » الواردة سابقا.

المهمة **الأساسية** لجماعة الثقافة البروليتـارية هي خلق ثقافة بروليتاريةطبقية **جديدة**،و **ابراز** القوىالمبدعة عندالبروليتاريافي مجالي **العلم** والفن **وتوحيدها هما المهمة العملية الرئيسية لها** . وبهـــذه القوى يجب بلوغ الهـدف الذي حددته جماعة الثقافة البروليتـارية

لنفسها وليس خلق ثقافة بروليتارية طبقية جديدة بالمهمة الثقافية السطحية الفارغة ، بل انه عمليـــة صراع بين ايديولوجيتين عدوتين لا يمكن التوفيق بينهما : هما ايديولوجيا البرجوازية وايديولوجيا البروليتاريا . ان أعداءنا من المعسكر البرجوازي (**كما ينضم اليهم بعض من رفاقنا الماركسيين الذين لم يتمعنوا الا قليلاً في مسائل الثقافة**) يردون علينا بقولهم : لاحظ ذلك

لا يمكن ان توجد أي ثقافة بروليتارية طبقية متميزة : لا يمكن أن توجد رياضيـــات طبقية ، ولا عـــلم فلك طبقي ، ولا فن طبقي . اثنـــان + اثنان يساوي أربعة من وجهتي النظر البروليتارية والبرجوازية على حد سواء . ان شكسبير وغوركي ممتعان يستسيغهما البرجوازي والبروليتاري بقدر واحد . ان العلماء والفنانين لا يحلون بإبداعهم مسائل طبقية ، بل مسائل أوسع ذات طابع انساني عام وشامل .

هذا هو فحوى اعتراضات الايديولوجيين البرجوازيين كلها. أمانحن،الشيوعيين الماركسيين،فنفكر على نحو آخر فنقول : ان حالة قوى الانتاج ، التي تحكم العلاقات الاقتصادية وعلاقات الانتاج بين الناس في مجتمع ما ، هي أساس التطور التاريخي لأشكال المجتمع الانساني . وعلى هذه العلاقات تنشأ بنية اجتماعية سياسية ما . وهذا كله يحدد نفسية الانسان الاجتماعي ، ومختلف الايديولوجيات التي تنعكس فيها هذه النفسية (*) .

(*) راجع الموضوع مفصلاً في كتاب غ.ف.بليخانوف«المسائل الأساسية للماركسية»

الوجود الاجتماعي يحدد الوعي الاجتماعي .

تطور أشكال المجتمع الانساني التاريخيـــة يتم **بصورة ديالكتيكية** .

« تقع قوى الانتاج المادية في المجتمع ، عندما تبلغ درجة معينة من تطورها ، في تناقض مع علائق الانتـاج الموجودة . . . فتتحول هـذه العلائق من اشكال لتطور القوى المنتجة ، الى قيود تكبل هذه القوى. عندئذ يبدأ عهد الثورة الاجتماعية. فبتغير الأساس الاقتصادي تتغير، **بهذه الدرجة من السرعة أو تلك، البنية الفوقية الضخمة كلها** « * » .

وتجري هذه العملية كلها خلال صراع دائم بين القوى الطبقية الموجودة في مجتمع ما . فقد كنست طبقة البرجوازية ، التي نشأت في صلب الاقطاعية ، العلائق الاقطاعية ، كما حمل النظام البرجوازي الرأسمالي حفار قبره في احشائه ، ألا وهو طبقة البروليتاريا .

ونحن نعيش الآن **في عهد ثورة اشتراكية** ، تكوّن الأشكال البرجوازية الرأسمالية لعلائق الانتـــاج فيها آخر شكل تناحري للانتاج الاجتماعي ، **ويترتب** على هذه الأشكال ان **تُستبدل خلال عملية الصراع** الضـــاري ، الناشب على **مستوى عالمي** ، بشكل أرقى من العلائق الاجتماعية ، يقوم على جعل الانتاج والتوزيع اجتماعياً ، أي استبدالها بالاشتراكية .

هذه هي أبجدية الماركسية . ونعتقد أنه من المناسب أن نتذكرها الآن بالضبط ، حيث عادت المثالية والصوفية وكافة أشواك الأيديولوجيا البرجوازية الى النمو والازدهار .

(*) ك. ماركس « اسهام في نقد الاقتصاد السياسي » .

وبالمناسبة فان ماهية التطور الدياليكتيكي الأشكال الاجتماعية تتلخص فيما يلي :

لا تنشأ الأشكال الجديدة للعلاقات الاجتماعية من لا شيء أبداً : « كل شيء يحمل في داخله بذرة نقيضه »، وكذلك كل مفهوم.

ولهذا، فان اي شكل جديد يصبح، إذ ينفي الشكل القديم ، نقيضه (نفياً له) متضمناً في ذاته قطعاً أجزاء من الشكل القديم ، ويتحول ، اذ يتحد بها ، من نفي الى شيء كامل هو التأليف .

ولدياليكتيك التطور المفعول نفسه بالنسبة للصراع الايديولوجي **فالقضية هي الثقافة البرجوازية الطبقية ،ونقيضها هو الثقافة الطبقية للبروليتاريا** ، أما التأليف بينهما ، وهو الثقافة ذات الطابع الانساني العام ، فيتم **بعد القضاء على المجتمع الطبقي** فقط ، في عهد الاشتراكية . وهذا يدحض ما نتهم به من أننا نهدف، بسعينا الى انشاء ثقافة طبقية ، الى هدم القوى المادية للثقافة البرجوازية .

« باسم غدنا سنحرق رافاييل
وسندوس على أزهار الفن ... »

لقد استغل كثير من البله كلمات الشاعر البروليتاري هذه . ان مهمتنا ليست هدم ما في الثقافة القديمة من قيم مادية ، بل هدم الايديولوجيا ، الأساس الذي قامت عليه هذه القيم . نحن نعرف أن الكثير مما في الثقافة القديمة سيدخل الثقافة الجديدة بوصفه معطيات . الا ان الثقافة البروليتارية الطبقية هي التي ستكون أساساً للثقافة الجديدة .

لا ينبغي علينا أن نفهم من ذلك ابداً أننا سنكون في غنى عن النضال في هذا المجال . فالبرجوازية تدرك حق الإدراك قوة ايديولوجيتها ، وتدرك حق الادراك أن ايديولوجيتها محافظة وأن « أصنام الماضي تثقل طويلاً على عقول الأحياء » . فهي لن تتخلى للبروليتاريا بدون صراع عن مركز الصدارة في الثقافة .

لا يمكن للايديولوجيا الطبقية ان تنتصر إلا في صراع طبقي ظافر . وأي حديث هنا عن السلام الطبقي غير وارد .

ما هي الأشكال **المشخصة** لهذا الصراع في مجال الفن ؟ ● لاحظ ذلك

إن بناء ثقافة بروليتارية مهمة لا تستطيع إلا البروليتاريا ذاتها أن تنهض بها، وبقواها الخاصة. فمهما كان عدد من **ينضم الينا من المعسكر البرجوازي** ، ومهما كان مدى « تمسكهم » بوجهة النظر الطبقية ، و سيظلون **أفراداً قلائل**(*) ، قد تكون لهم قيمة كبرى، لكنهم لن أمّا الفلاحون يكونوا ذوي تأثير حاسم .

تصبح الفكرة قوّة حين تستوعبها [الجماهير]* .

> إن المهمة المطروحة أمامنا الآن لن تُنفذ ، إلا حين يصبح للبروليتاريا علماؤها في [كافة] فروع المعرفة وفنانوها في كافة انواع الفنّ .

ولماذا تكون الأمور على هذا النحو وليس على نحو آخر ؟

لأن وعي البروليتاريا الطبقي يتكون أثناء عملية الانتاج الرأسمالي ، ومن هنا يبدأ التركيب النفسي الطبقي الجماعي .

وينشأ الشعور بالتضامن الطبقي ، شعور « النحن » ، لأننا

« نحن » سنبني قاطرة بخارية وسفينة وطائرة (وبدون هـذه الجهود الجماعية لن تتحقق هـــذه المهمة) ، ولأن البروليتاريين يوحدّهم في صراعهم مع البرجوازية ما يشعرون به من تفاوت طبقي بين طبقتهم هم ، وبين غيرها من الطبقـات ، ووعيهم الدقيق أن قوى « النحن » ، قوى الوحدة الطبقية ، هي وحدها القادرة على بناء قاطرة الثورة . هـذا الوجود هو الذي يحدّد وعي البروليتاريا الطبقي. **وهذا الوعي غريب عن الفلاح** ** **والبرجوازي والمثقف** (طبيباً أو حقوقياً أو مهندساً) ** والذين هم هؤلاء الذين نشأوا على مبادىء المنافسة الرأسمالية ، حيث « الأنا » هـــي الأساس ، وحيث « فرّق تسد » هي وصيّة المسيطرين .

لمن يعملون في بناء القاطرات ؟

إن الفلاح المرتبط بالتبعية لقوى الطبيعة (إذا هطل المطر سيكون قمح) يشعر خلال عمله الفردي بقوّة رهيبة فوقه ومستقلّة عنه ، هي أساس اوهامه الدينية. أما البروليتاري فعلاقاته مع الطبيعة الخارجية في غاية الوضوح . فهو يعـــلم أن ضربة المطرقة في المنجم ستعطي كمية معينة من المعدن الخام أو من الفحم ، وأن هذا وذاك سيعطيان معاً في الفرن الحديد الصب ، وأنه لن يسيل من الفرن حليب أو ماء ، بـل سيخرج منه حديـد أو فولاذ يتحولان إلى آلة توفرّ امكانيةً للتغلب على مقاومة المواد بسهولة أكبر ، وأن السبت سيكون اليوم الذى ينال فيه العامل أجره . **كل شيء هنا واضح ودقيق دقّة الرياضيّات** * . أمّا الفلاح فيعتبر نفسه « صاحب مُلك » . ليس لدى البروليتاري ما يملكه إلا قوّة عمله ، أما الفلاح فيأمل دوماً : « إذا منّ الله علينا بمحصول .. ». البروليتاري يعرف

. ودين العمال والفلاحين ؟؟

أن « إلهه » ، وهو الرأسمالي ، لن يعطيه شيئاً، ما لم يُؤخذ منه عنوة وبالصراع المباشر معه .

إن نفسية البروليتاري هي، **من حيث أساسها نفسه ، نفسية تضامن طبقي وابداع واع** . ولهذا نعتبر أن بروليتاري الصناعة هو قوّة الابداع الرئيسية في بناء الثقافة البروليتارية . وفي هذا الخاصة المميّزة لجماعة الثقافة البروليتارية .

ومن هنا يتضح تماماً **أن عملية الانتاج** ككل، أو في أحدى مراحلها ، **كالجهد المتوتر لانسان يعمل بالمطرقة**، لا يمكن أن ينقلها من خلال العملية الفنية إلا من يشارك فيها مشاركة مباشرة ، إلا البروليتاري (*) نفسه وليس ذاك الذي يراقب عن بعد. البروليتاري ينطلق في **الابداع العلمي**، وسيظل ينطلق دائماً ، **من عملية الانتاج** . فما يحتاج إليه ليس **علماً من أجل العلم**(**) ، بل علماً يخدم جهده المبدع ، ويجعله يفهم ، إنطلاقاً من آلته ، العلاقة بين ظواهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية . إن العمل المبدع للبروليتاري مرتبط ، في تركيبه العقلي، بما يوجد أمامه على الطاولة عندما يتناول غذاءه . وفي هذا يقوم الجنين الذي لا شكل له لما بدأ يصل إليه **الفكر العلمي** الآن : لا يمكن للمرء أن يكون تقنياً دون أن يفهم ارتباط الظواهر الاقتصادية في حياة المجتمع ، ولا يمكن للمرء أن يكون اقتصادياً دون أن يكون لديه فهم دقيق بأمور التقنية وبكل ماله علاقة بقدرة القوى الانتاجية بوجه عام وعملية الانتاج بوجه خاص . سيسخر « **العلماء** »(**) من هذا . لكننا نعرف من تجربتنا أن المقدمات التي نشأت عضوياً في وعي البروليتاريا الطبقي لفهم وحدانية

(**) ؟؟؟

(**) ؟؟؟

وعلى طاولة العالم ؟

* وليس العلماء وحدهم !

الحياة الاجتماعية اكثر بمالا يحدّ من المعطيات الموجودة لدى أي عضو في أي طبقة أو مجموعة أخرى . في هذا الترياق الأساسي الواقي من النظرة المثالية البرجوازية إلى العالم ، وفي هذا أساس خاصية الثقافة البروليتارية .

إننا لم نكن أبداً ، ولن نكون ، عَبَدَة خاشعين وعاطلين يؤلهون الظواهر الاجتماعية .

لقد انهار الأساس الذي مكن البرجوازية من بسط سيطرتها ، وهو سلطتها الاقتصادية والسياسية ، بعد أن اسقطتها قوى البروليتاريا . **لكن الايديولوجيا البرجوازية لازالت حيّة** وذات تأثير. وعلينا ، دون أن ننتظر انهيارها المحتوم **حسب قانون الديالكتيك** ، أن نهيء عناصر الثقافة البروليتارية ، **وأن نخلق بنى فوقية ايديولوجية طبقية**: «*» ونحن نشكل قوانا في هذه المرحلة الأخيرة من صراعنا الطبقي القاسي مع ايديولوجيا عدوّنا الطبقي التي فات زمانها ، لكنها لازالت قوية. ومن هنا كان إبراز قوى الابداع في البروليتاريا وتجميعها للنضال في سبيل ثقافة طبقية خاصة بها مهمة ضروريّة تاريخيّاً .

* يا له من خليط!

ولهذا ، ليست فكرة الثقافة البروليتارية من اختلاق رفاق عاطلين ، وليست فكرة عقيمة صاغتها حفنة من المتعصبين ، بل تكويناً ضرورياً من الناحية التاريخية للفكر والقوى من أجل تحقيق هذه المهمة .

والحالة الراهنة لنضالنا تؤكد بجلاء الأسس المبدئية التي أرسيناها . ففي حين يعلن الفكر البرجوازي بلسان شبينغلر غروب

الثقافة الأوروبية (أي البرجوازية بتعبير آخر)، تنشر المادية المكافحة اعلامها وترسي اسساً راسخة لثقافة طبقية جديدة، معلنة دنو أجل الايديولوجيا البرجوازية.

وليس ما يجري الآن، وليس ما يدور الآن من نقاش حول صفة الكتاب والعلماء «السوفييتية» أو «غير السوفييتية» مجرّد مشادات بسيطة بين ذوي الأقلام والمفكرين. فهنا تبدأ معركة حاسمة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً بين ايديولوجيتين. وكثيرون هم الذين لم يعوا عظمة هذا الصراع، الذي ينبغي له أن يجري تحت علم خلق ثقافة بروليتارية طبقية، وليس تحت أي علم آخر. هذا هو التبرير لفكرة جماعة الثقافة البروليتارية ولوجودها.

أووف!

إن مسألة بناء ثقافة بروليتارية لا يمكن حلها الا بقوى البروليتاريا ذاتها من عمال وفنانين ومهندسين الخ يخرجون من وسطها هي.

زيف وأي زيف!

وسيكونون علماء وفنانين ومهندسين ذوي طبيعة مختلفة تماماً عن طبيعة امثالهم من العالم البرجوازي.

ولن يكونوا كذلك لأنهم سيخرجون من طبقة البروليتاريين فحسب، بل لأن المهام الملقاة عليهم في مضمار العلم والتقنية والفن مختلفة عما هي عليه في المجتمع البرجوازي.

إن برامج الأحزاب الاشتراكية تأخذ على كاهلها مهمة جعل العلم ديمقراطياً. وأمامنا مهمة جعله اشتراكياً، جعله اجتماعياً، فما معنى ذلك؟.

إن جعل العلم ديمقراطياً يوسع أمام الجماهير الآفاق لاستيعاب العلم البورجوازي امتداداً وعمقاً ؛ فالعلم بما هو علم يبقى كما هو لم يمس .

أما جعل العلم اشتراكياً فيشمل ماهيته وطريقته وشكله وآفاقه على حد سواء .
ومهمتنا هي تكييف محتوى العلم وطرائقه وفق متطلبات الانتاج الاشتراكي .

وتكييف العلم هذا لن يكون وفق الحالة الراهنة لقوى الانتاج فحسب ، بل وفق آفاق تطورها اللاحق والبعيد أيضاً .

ولن يلبث كثيرون أن يعلنوا:

— وهذا في بلد متوحش ، بعيد عن الثقافة ، فقير ، نصف سكانه اميون ؟

أجل. فيه ، وفيه بالذات ، ومع وجود سلطة العمال والفلاحين بالضبط . إذ لا يوجد مكان يمكن فيه لهذه المسألة أن تطرح طرحاً مشخصاً إلا هنا ، فالرأسمالية لا زالت حية في أوروبا .

وأضرب لكم مثالاً صغيراً .

لقد استطاع فلاديمير ايليتش بنظرته العبقرية الثاقبة أن يرى ما للكهربة من قدرة لا تحد على احداث حالة ثورية .

ومع هذا ، وجد بين ظهرانينا من أطلق عليها اسم « وهم الكهرباء » ، ولغباء فيه سخر منها . وسنسمح لانفسنا أن نقول فيها كلمتين أو ثلاثاً لا تتعدى حدود موضوعنا .

هل من علاقة بين الطب الاجتماعي مثلا وبين دولاب ضخم ناظم لآلة بخارية ، وشبكة قدرة من اجهزة نقل الحركة في الانتاج، يستبدلان بمحرك لا يزيد حجمه عن الكلب العادي لكل آلة ؟ إننا لا نلبث أن نسمع أن الكهربة عدو جبار للسل وعقابيل الإصابة ، وأن الكهربة تلغي ، بالنسبة للطاقة ، مفهومي الفراغ والطول . إن العلاقة بين الكهربة وبين كلفة . الانتاج مترابطة ، لكنها لم تدرك بعد كما يجب . الكهربة توحد طاقة الانتاج ،وهي أول ضربة قاصمة توجه لنظام المنافسة الرأسمالية .الكهربة تسرع في عملية الانتاج، بوصفها عملية انتاج ،سرعة متناهية.الكهربة مدعوة لأن تلغي الغاء تاماً الحدود المرسومة بين الدول » الخ الخ . وسنسأل :وبأي مناسبة هذا المديح يكال للكهربة ؟ وما علاقة هذا بالعلم ؟

للحفظ

للحفظ

إن لهذا « مناسبته » العظيمة ، وعلاقته الكبيرة جداً .

لقد قال الرفيق لينين في المؤتمر السابع للسوفييات : « نحتاج إلى الكهربة بوصفها أول رسم تقريبي يعرض أمام روسيا كلها ، بوصفها **برنامجاً اقتصادياً عظيماً** . . . يرينا كيف ننتقل بروسيا لنضعها على قاعدة اقتصادية حقيقية ضرورية لبناء الشيوعية » .

ثم قرر المؤتمر السابع ما يلي : يعهد المؤتمر إلى مجلس مفوضي الشعب من اعداد قرار يقضي بإجراء تعبئة عامة لكل من يملك قدراً كافياً من الاعداد العلمي أو العملي للدعوة إلى مشروع الكهربة ، ونشر ما هو ضروري من المعارف لتفهمه » .

ولكن،هل وجد بيننا أناس كثيرون اكفاء في تدريس الكهربة ، حسب البرنامج الموجود في كتاب إ . . ستيبانوف الشهير على الأقل ؟ . ونلاحظ من جهة أخرى أن اقتصادينا

بالضبط ! هذا ضد ف. بليتنيف .

الماركسيين يتحدثون اكثر فأكثر عن أن العمل في الاقتصاد دون معرفة جيد بالتقنية أمر لم يعد ممكنا .

نستخلص من هنا نتيجة على قدر كبير من الأهمية ، وهي أن ما نحتاج إليه الآن ليس فقط اخصائيين في فروع التقنية والاقتصاد المختلفة ، لأن العصر يطرح أمامنا مهمة اعداد نوع جديد من العلماء ؟؟ **هم المهندسون الاجتماعيون**، العلمـــاء المنظمون والمؤهلون لأن يتعاملوا مع ظواهر ، ويقوموا بواجبات ذات نطاق واسع جداً .. ويتوجب على عالم كهذا أن يكون **على قدر واحد من المعرفة بالتقنية والاقتصاد** .

هل يدخل هذا جديداً في العلم ؟

لا يمكن انتظار جواب سلبي على هذا السؤال . إن تطور قوى الانتاج في العالم الثوري تتجاوز تجزوء المعرفة العلمية التي هي ثمرة نظام المنافسة الرأسمالية . والعلم يسير الآن، هو أيضاً، باتجاه وحدته (Monisme) .

إن عصر الراديوم والكهرباء ينتظر عاملاً ذا تكوين جديد، عاملاً لن يكون ذا قدرة عضلية وحسب ، بل ذا قدرة عقلية متطورة إلى درجة كبيرة أيضاً ، عليه أن يفهم العلاقة بين ظواهر الحياة الاجتماعية ،وبخاصة الانتاج الاجتماعي . العلم ينفض عنه الآن كثيراً من نوافل اللغات الميتة المحترمة والمعرفة المترفة وتأليه القيم العلمية الكاذبة . وإنسان الاشتراكية لا يمكنه إلا أن يكون موسوعياً بأفضل ما لهذه الكلمة من معنى .

الربط بين المـواد العلمية، وتبسيطها للحفظ ،وخلق منهجية جديدة في الابداع العلمي هذه هي آفاق تطور العلم .

هل يجب علينا أن نعتبر الخطوات التجريبية الأولى في هذه الطريق طوباوية" ، ترفاً لا حاجة إليه الخ ؟ .

من يفكر جيداً في هذه المواضيع لن يجدها كذلك . ومن يجدها كذلك ، ليذكر الكلمة البلهاء « وهم الكهربة »، وليهتم اهتماماً أعمق بكتاب إ. إ. ستيبانوف الذي لم يفهم كما يجب ،ولم يعطَ حقه من التقدير .

إننا نعتبر العمل في هـذا الاتجاه ضرورياً بشكل قاطع وفي هذا الوقت بالذات . **وعلى البروليتاريا نفسها أن تخطو الخطوات الأولى في هذه الطريق**(*). فلم يعد البروليتاري مجرد مسمار صغير في عملية الانتاج ... (*) هـراء

إن عملية الثورة ذاتها هي التي تدفع بالبروليتاريا ، كما نرى ، الى الهجوم على العلم البرجوازي . وهذا قانون تاريخي حتمي .

وهذا هو المبرر التاريخي لمهمتنا التي رسمناها لأنفسنا ، وهي جعل **العلم** ثورياً ، **اشتراكياً**،وهذا هو مبرر خطواتنا العملية الاولى في هذه الطريق ، وهو وحده مبرر وجود جماعة الثقافة البروليتارية. ؟

لا يمكن ان تقوم اشتراكية بدون علم ، كما لا يمكنها ان تقوم على علم برجوازي .

إن مهمتنا هي وحدانية العلم ، والفهم الواضح للعلاقة بين الأشياء ووحدتها والسعي الى ذلك .

« عندما تفهم العلاقة بين الأشياء ينهار الإيمان النظري بضرورة استمرار النظم الموجودة في الرأسمالية ، **ينهار حتى قبل ان تنهار (هذه النظم) عملياً** .

« ابدأ (لا يوجد اي شيء مشخّص »

إن كلمات ماركس هذه هي التي تبرّر **طرح مسائل العلم** في هذا الوقت بالذات ، لا عندما ...الخ . كما يعترض علينا اعداؤنا، ومن لا يثق في قدرته من أصدقائنا .

وختاماً بضع كلمات حول الفنّ .

لاحظ « النتيجة » « بشكل خاص ! » .

لقد بينت تجربة ثورتنا بجملها، **وفي فترة السياسة الاقتصادية الجديدة(*) بشكل خاص** ، أن فنان العالم القديم لا يستطيع ان يكون ، ولن يكون ، فنان الثورة. فكثير من الفنانين المعاصرين « يعترفون » بالسلطة السوفيتية، ويعترفون بالبلاشفة . لكن المسألة في الصراع من أجل الايديولوجيا ليست مسألة اعتراف بالسلطة فقط، بل اعتراف بالايديولوجيا الشيوعية . ونؤكد بجرأة ان الاكثرية الساحقة من الفنانين تظل ، من حيث ايديولوجيتها الفنية ، جماعة من المثاليين والميتافيزيكيين ، حتى ولو انتمت شكلياً الى الحزب .

لقد أصبح الفن في المجتمع البرجوازي سلعة ، حلياً يشرى ليزين حياة البرجوازي. الفن المعاصر يزين الحياة ، أما فن البروليتاريا فمدعوّ لأن يغيّر الحياة . وعلى وجهة النظر الاستهلاكية أن تترك مكانها لوجهة النظر الانتاجية . وليس معنى هذا أننا نلغي الجمال . نحن نؤكد شيئاً واحداً فقط هو أن « الجمال » ليس مفهوماً مطلقاً. فالجمال ، كما يفهمه البرجوازي، ليس هو الجمال كما يفهمه البروليتاري. ذلك أن فنان العالم البرجوازي يصور عمليـــة الابداع في الانتاج

كما يراها ، أما الفنان البروليتاري فيصورها **كما يعانيها** لكونه مبدعاً مباشراً في عملية الانتاج .

هـراء

وسيكون الفنـان البروليتاري **فناناً وعاملاً في آن واحد وعلى حد سواء** ؛ وستزول الهوّة الموجودة بين الاثنين في المجتمع البرجوازي ، عندما يدفع العامل بفنانه من بين صفوف الجماهير .

ولن يكون الفن بالنسبة لهذا الفنان **تزييناً خارجيا** للحياة فحسب ، بل **إبداعاً** لها .

الملاك الصغير المرسوم في مخدع سيدة غير مقبول على واجهة محطة كهربائية ضخمة ، وضفائر الزهور الصغيرة تبـدو مضحكة على جسر قائم فوق نهر . جمال المحطـة والجسر هو من جمال العظمة ، القوة ، من جمال بنـــاء هذه الكتل الضخمـة من الفولاذ والحديد والاسمنت والحجر (*).

* صحيح ، ولكن ماذا يريد ان يقول بشكل مشخص

ايرينبورغ

وجمال الطائرة لم يولد من الرغبة في جعلها جميلة، بل في بنائها الذي يسهّل تحليقها. وجمالها أمر لا شك فيه ،على الأرض كانت أو في الأجواء . إنه جمال الغائية الانتاجية ، التقنية . **ان الفن التشكيلي في العالم الجديد سيكون فنّ انتاج أو لن يكون أبداً** . سيصـرخ بعضهم هنا محدثـــاً عن حدس « الأنا » عنـــد الفنـّان ، وعن الإلهام ، وعن الفنّ المقدس الخ ... لكن هذه كلها ليست إلا دمى أطفال من مهد المثالية والميتافيزيكا لا أكثر .

هذا هو الوضع في الفن التشكيلي . فماذا عن الأدب ؟

بدأ اندفاع الثورة المحموم منذ الآن يدخل إلى لغتنا مضموناً

جديداً ، محطماً بذلك الصيغ الكلاسيكية « الراقية » ، فمفرداتنا تصبح ، بخضوعها لوتيرة الحياة ذاتها ، مفردات لغة كلغة الرسائل البرقية ، دقيقة ، مقتضبة تكثف معنى الكلمة تكثيفاً ذا ابعاد كبيرة. حاولوا أن تنقلوا إلى لغة أبلوموف الروسية القديمة «الراقية» كلمتي « الكهربة » و « الفاعلية الإشعاعية » ، هاتين الكلمتين اللتين ترتبطان في ذهننا بمجموعة هائلة من الظواهر الاقتصادية والتقنية والعلمية. وهذا كله يدخل تغييرات ضخمة على مضمون الابداع الأدبي وشكله ورسالته ، فيحل تصوير حركة الجماهير محل تصوير المعاناة الفردية ، وتتسع خلفية المؤلف الأدبي إلى حدود لاحصر لها وتصبح قدرة التفكير بشكل كلي ، جامع ، ضرورة حياتية للفنان ، أووف ! ضرورة الماء والهواء والطعام .

وفي هذا الصراع الضاري مع الأدب البرجوازي يولد الفنان البروليتاري الجديد . إنه لم يزل أسير الأدب البرجوازي في أمور كثيرة . لكن مهمتنا هي ان نربيه وفق خطنا ، وأن نعطيه سلاحاً جباراً هو الفهم الكلي للعالم والحياة ، ونطوّر قوى الابداع فيه . وسيكون هذا الفنّان الحجر الأول في صرح الثقافة البروليتارية الطبقية الجديدة . هل يترتب علينا أن نوفّر للفنّان امكانية إبراز مواهبه؟ وهل تستطيع البروليتاريا، وهي الطبقة الممسكة بزمام السلطة ،أن تنتظر حتى يبرز الفنّان نفسه من بين الجماهير؟ لايمكن ان يكون إلا جواب واحد على هذا السؤال . وفيما انجزته جماعة الثقافة البروليتارية ، في هذا المجال ، يكمن حلّ هذه المسألة . فقد ربت جماعة الثقافة البروليتارية من خلال « البرافدا » بين عامي

١٩١٢ - ١٩١٣ مجموعـــة من الشعراء البروليتاريين لازالت قواهم تنمو ، كما و كيفاً ، مع كل يوم جديد . إن للثقافة البروليتارية تاريخها الحافل على قصره .

هذا هو مبرر فكرة جماعة الثقافة البروليتارية ومبرر وجودها .

المسرح :

وهنا يبقى لجماعة الثقافة البروليتارية شرف نجاحها لأول مرة في التاريخ في تقديم أولى تباشير المسرح البروليتاري . **فقد قدمت مسرحية « لينا »** وقد ألفها كاتب بروليتاري ، وهي ترسم مراحل نضالنـا **على المسرح العمالي الاول بقوى فنانين من العمال** . لقـد كانت مسرحية ضعيفة . حسناً . لكنها أرست اساس هذا النوع من المسرح . لقد طرح لأول مرة بين جماعة الثقافة البروليتارية شعار : «يجب أن يكون تاريخ الحركة العمالية مادة للابداع الفني» . علينا أن نودع الأرشيف « بطـل » المسرح البرجوازي . وعلى الجماهـير ، في حياتها ونضالها ، أن تدخل المسرح . ونحن نرى في الوقت الراهن أننا لم نعد وحدنا .

لقد كتب رفيق من برلين يقول : « لقد شاهدت اليـــوم مسرحية أرنست تولير « محطمو الآلات » ، فتـذكرت شعاركم . وهذه المسرحية تجسيد تام وحي له » « * »

إن مسرحيات الكاتب المـذكور مسرحيات حركات

(*) ارنست تولير مفوض سابق في جمهورية بافاريا السوفيتية أمضى خمس سنوات في السجن في بافاريا . صاحب مسرحيات قوية منها : « الانسان ـ الكتلة » ، « تحولات » ، « محطمو الآلات » .

جماهيرية ولوحات عظيمة تلخص الاشكال التاريخية للنضال الطبقي.

إن ما يقارب الف شخص من **العمال** المختصين في شؤون الستوديوهات يعملون في ستوديوهاتنا المسرحية ، المنتشرة في كافة أرجاء روسيا ، على انشاء **مسرح بروليتاري طبقي** . وهذا أيضاً إنجاز لمهمة أخرى طرحتها جماعة الثقافة البروليتارية ، مما يبرر مرة أخرى ضرورة وجودها (هذه الجماعة) .

إننا نعرف جيداً ، من ممارستنا ، ما في المهام التي وضعناها من صعوبة فائقة . لكن مهمات البروليتاريا لم تكن يوماً بالسهلة ، ولا هي الآن كذلك . وقد اعطت أربع سنوات من عمل جماعة الثقافة البروليتارية في ظروف غاية في الصعوبة نتائجها الآن ، ومهدت الطريق للمستقبل . وكثيراً ما نسأل : ماذا حققتم خلال أربع سنوات ؟ وأين هي ثقافتكم البروليتارية المنشودة ؟

فلنذكر السائلين أن الثقافة البرجوازية بنيت خلال خمسة قرون أو ستة ، وأن الايديولوجيا البرجوازية ظلت طوال الفترة نفسها تترسخ في وعي الناس ، في حين أننا لم نبدأ نضالنا في سبيل الثقافة البروليتارية في صيغتها العملية إلا منذ أربع سنوات فقط . فليفكر السائل قليلاً في هذه الارقام . هذا هو جوابنا الآن .

وسنتحدث في مقال آخر عن الطرق التي اتبعناها خلال أربع سنوات من عملنا ، وعن نتائجه المشخصة والعملية بالارقام .

ف . بليتنيف

من مجموعة « مسائل الثقافة في عهد دكتتورية البروليتاريا » عام ١٩٢٥

الى ن . ا . بوخارين

أيها الرفيق بوخارين ! أرسل اليك العدد الصادر اليوم من البرافدا . لماذا تطبعون غباوات بشكل مقال لبليتنيف يتباهى فيه بذكر الاسماء العلمية والشائعة الآن ؟ لقد سجلت غباوتين في المقال ووضعت مجموعة من علامات الاستفهام . على المؤلف أن يدرس لا العلم « البروليتاري »، بل أن يدرس فقط . ترى ، ألن توضح هيئة تحرير البرافدا للمؤلف أخطاءه ؟ فهذا تزييف للمادية التاريخية وعبث بالمادية التاريخية !

لينينك

كتب في ٢٧ - ٩ - ١٩٢٢

ج ٥٤ ص ٢٩١

★ ★ ★

يشكل المؤلف الذي صدر منذ ايام عن التعليم في روسيا وفقاً لمعطيات احصاء ١٩٢٠ (« التعليم في روسيا » موسكو ، ١٩٢٢ ، مكتب الاحصاءات المركزي ، قسم إحصاءات التعليم العام) ظاهرة على جانب كبير من الأهمية.

وانقل فيما يلي جدولاً مأخوذاً عن هذا المؤلف يبين حالة التعليم في روسيا في ١٨٩٧ – ١٩٢٠

	عدد الرجال الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ رجل)		عدد النساء اللواتي يعرفن القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ امرأة)		عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ شخص)	
	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠
١ ـ روسيا الاوربية	٣٢٦	٤٢٢	١٣٦	٢٥٥	٢٢٩	٢٣٠
٢ ـ القفقاس الشمالي	٢٤١	٣٥٧	٥٦	٢١٥	١٣٠	٢٨١
٣ ـ سيبيريا الغربية	١٧٠	٣٠٧	٤٦	١٣٤	١٠٨	٢١٨
بالمتوسط ...	٣١٨	٤٠٩	١٣١	٢٤٤	٢٢٣	٣١٩

بينما كنا نتعثر في الثقافة البروليتارية[٤٩] وعلاقاتها بالثقافة البرجوازية ، كانت الوقائع تقدم لنا أرقاماً تدل على أن الامور تسير بصورة سيئة جداً عندنا حتى في مجال الثقافة البرجوازية . والحقيقة ، التي كان ينبغي توقعها ، هي اننا لا نزال بعيدين جداً عن المعرفة الشاملة للقراءة والكتابة ، وإن تقدمنا بالذات بالنسبة للعهد القيصري عام (١٨٩٧) بطيء جداً . وهذا تحذير صارم ولوم لاولئك الذين كانوا ، ولا زالوا ، يحلقون في سماء « الثقافة البروليتارية » . ان هذه الارقام تبين لنا أي عمل شاق وعاجل علينا أن نقوم به لكي نبلغ مستوى بلد متمدن عادي في اوروبا الغربية ، وتبين ايضاً القدر الهائل من العمل الذي يترتب علينا القيام به الآن ، لكي نبلغ فعلاً مستوى لائقاً من الثقافة بالاستناد الى مكتسباتنا البروليتارية .

علينا الا نقتصر على هذا الوضع الذي لا جدال فيه والذي يبقى ، مع هذا ، نظرياً إلى أبعد الحدود . بل علينا أن ننكب على المهمة من الناحية العملية أيضاً ، حين اعادة النظر المقبلة في ميزانيتنا الموضوعة لثلاثة أشهر . وما يجب تخفيضه بالدرجة الاولى ، ليس ، بالطبع ، نفقات مفوضية الشعب للتعليم العام ، بل نفقات الدوائر الاخرى ، لاستخدام المبالغ المتوفرة على هذا النحو في تلبية حاجات مفوضية الشعب للتعليم العام . ويجب ألا نقتر في زيادة حصة المعلمين من الخبز في سنة كهذه السنة ، إذ ان مؤونتنا من الحبوب حسنة نسبياً .

العمل الذي يجري حالياً في مضمار التعليم العام لا يمكن ، على العموم ، اعتباره ضيقاً جداً ، إذ تبذل جهود كبيرة لتحويل سلك المعلمين القديم ، ولاشراكه في القيام بمهام جديدة ، واثارة اهتمامه بالطريقة الجديدة لطرح قضايا التربية ، واثارة اهتمامه في بعض المسائل كمسألة الدين .

ولكننا نهمل الاساسي ، فنحن لانهتم ، أو نهتم بصورة غير كافية أبداً ، بتوفير وضع رفيع للمعلم الشعبي ، لا يمكن بدونه أن تكون اي ثقافة ،

لابروليتارية أو حتى برجوازية . فينبغي التحدث عن هذه اللاثقافة النصف أسيوية التي لم نخرج منها حتى الآن ، والتي لن نستطيع الخروج منها دون جهود جدية، هذا مع العلم أنه تتوافر لنا امكانية الخلاص من هذه الحال، اذ ان الجماهير الشعبية لاتهتم بالثقافة الحقيقية في اي بلد من العالم قدر ما تهتم بها عندنا ، وان قضايا هذه الثقافة لا تطرح في اي بلد بهذا القدر من العمق والتماسك الذي تطرح به عندنا. الطبقة العاملة، التي لا تمسك بزمام السلطة الا في بلدنا ، تدرك بمجموعها ادراكاً تاماً النواقص في تعليمها الابتدائي ، ولا أقول النواقص في ثقافتها . وهي ليست على على استعداد لأن تبذل ، وهي لا تبذل بالفعل ، في أي بلد آخر مثل ما تبذل من عندنا تضحيات لتحسين وضعها في هذا المجال .

اننا لانزال نفعل القليل ،القليل جداً من أجل تعديل ميزانية الدولة كلها بصورة تلبي بالدرجة الاولى حاجات التعليم الابتدائي العام . وحتى في نطاق مفوضية الشعب للتعليم العام ، يمكننا أن نجد في معظم الأحيان عدداً مضخماً بصورة فظيعة من الموظفين في مؤسسة كدار الدولة للطبع والنشر مثلاً وهذا دون أي اهتمام بأنه يجب على الدولة أن تعنى قبل كل شي لا بالطبع والنشر ، بل بأن يكون هناك قراء ، بأن يزداد عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة ، لكي تأخذ حركة الطبع والنشر مدى سياسياً واسعاً في روسيا المستقبل. ونحن ، حسب عادتنا القديمة (والسيئة) ،نخصص للمسائل التقنية ، كالطبع والنشر ، من الوقت والجهود اكثر بكثير مما نخصص لمسألة سياسية عامة، كمسألة تعليم الشعب القراءة والكتابة.

وإذا أخذنا الادارة العامة للتعليم المهني ، فنحن على يقين بأن في وسعنا أن نجد هناك ايضاً كثرة كثيرة من الامور النافلة ،تضخمها مصلحة ادارية ضيقة ، لا تستوحي ضرورات التعليم العام الواسع . إن ما يجري في الادارة العامة للتعليم المهني لأبعد من أن ينبعث كله من الرغبة المشروعة في رفع مستوى تعليم شبيبتنا في المصانع والمعامل قبل كل شيء ، وتوجيه هذا التعليم توجيهاً عملياً . واذا درسنا

بانتباه ملاك هذه الادارة ، لوجدنا فيها ، من وجهة النظر هذه ، كثرة من العناصر المتضخمة والصورية يجب الغاؤها . ففي الدولة البروليتارية الفلاحية، يمكن ويجب، تطويراً للتعليم العام ، توفير الكثير والكثير ، سواء بالغاء جميع الدمى من الطراز النصف ارستقراطي ، أو بالغاء المؤسسات التي نستطيع ، وسنستطيع ، ويجب علينا ، الاستغناء عنها زمناً طويلاً ، نظراً لحالة التعليم العام التي كشفتها الاحصاءات .

ينبغي لنا أن نؤمن للمعلم الشعبي عندنا مكانة رفيعة لم يرق اليها قط ، ولا يرقى اليها ولا يمكن أن يرقى إليها ، في المجتمع البرجوازي . هذه حقيقة لا تحتاج الى برهان . وعلينا أن نسير نحو هذا الوضع ، عاملين بانتظام ومثابرة ودأب على رفع مستوى المعلم روحياً ، على اعداده في جميع الميادين لرسالته السامية حقاً ؛ ولكن الشيء الرئيسي ، الرئيسي ابداً ودائماً ، هو تحسين وضعه المادي .

يجب تعزيز العمل التنظيمي بين المعلمين الشعبيين بدأب وانتظام ، لكي نحولهم من سند للنظام البرجوازي ، كما هم عليه حتى الآن في البلدان الرأسمالية كلها دون استثناء ، الى سند للنظام السوفييتي، لكي نستطيع بواسطتهم انتزاع الفلاحين من التحالف مع البرجوازية واجتذابهم الى التحالف مع البروليتاريا .

وأشير بايجاز الى أن من شأن الزيارات الدائبة المنتظمة الى الريف أن تضطلع بدور خاص في هذا الصدد ، مع العلم أن هذه الزيارات تجري عندنا منذ حين ، وأنه ينبغي لها أن تتطور بانتظام . ولتدبير زيارات من هذا النوع ، علينا الانبخل باعتمادات ، غالباً ما نبددها دون جدوى على جهاز دولة يعود بكليته تقريباً الى مرحلة تاريخية قديمة .

لقد كنت أجمع المواد للخطاب الذي لم استطع أن القيه في مؤتمر السوفييتات في كانون الأول ١٩١٢ ، والذي كان يعالج رعاية عمال المدن لسكان الارياف . وقد

قدم لي بعض هذه المواد الرفيق خودوروفسكي. أما وقد تعذر علي بحثها بنفسي، واذاعتها بواسطة مؤتمر السوفييتات ، فاني اعرض اليوم هـــذه المسألة على الرفاق ليدرسوها .

المسألة السياسيـة الأساسية ذات الأهمية الحاسمة لثورتنا كلها هي موقف المدينة من الريف . ففي حين تبذل الدولة البرجوازية جهودها بانتظام لتخييل عمال المدينة ، مكيّفة لهذا الغرض كافة المنشورات التي تطبـع على نفقة الدولة ،وعلى نفقة الأحزاب القيصرية والبرجوازية ، نستطيـع ، ويجب علينـــا ،أن نستخدم سلطتنا لكي نجعل من عامل المدينة ناشراً للأفكار الشيوعية في صفوف البروليتاريا الريفية فعلاً .

قلت « الشيوعية » ،لكني أبادر الى ابداء بعض التحفظات ، خوفاً من اثارة سوء فهم ، او من أن يفهمني القارىء فهماً حرفياً . لا يجب ان يفهم ما قلته بأي حال من الأحوال على انه يترتب علينا أن نحمـــل فوراً الى الريف افكاراً شيوعية خالصة ضيقة . ويمكن القول ان ذلك يعني اننا نقوم بعمل ضار ، بعمل وخيم العاقبة على الشيوعية ، طالما اننا لا نملك في الارياف قاعدة مادية للشيوعية .

كلا . يجب البدء باقامة اتصال بين المدينـــة والريف، دون ان نستهدف مسبقاً غرس الشيوعية في الأرياف ، فهذا هدف لا يمكن بلوغـــه اليوم ، وهو سابق لأوانه . وابتغاء هذا الهدف لن يفيد قضيتنا بل يسيء اليها .

أما أن نقيم صلة بين عمال المدينة وسُغيلة الريف، ان نقيم بينهم شكلاً من الرفاقية يمكن خلقه بسهولة ، فهذا واجبنا ، . وهو مهمة من المهام الاساسية التي تواجه الطبقة العاملة القابضة على زمام السلطة . ومن الضروري ، تحقيقاً لذلك ، تأسيس جملة من الاتحادات (الحزبية والنقابية والخاصة) تتألف من عمال المصانع والمعامل ، يكون هدفها المساعدة بانتظام على تطوير الأرياف ثقافياً .

فهل نتمكن من « ربط » خلايا المدينة كلها بخلايا الريف كلها ، لكي تتوصد كل خلية عمالية « مربوطة » بخلية ريفية ، على الدوام ، كل فرصة لتلبية هذه الحاجة الثقافية أو تلك من حاجات الخلية المربوطة بها ؟ ام اننا سنتمكن من ايجاد اشكال اخرى للاتصال ؟ اني اقتصر هنا على طرح المسألة لكي الفت اليها انتباه الرفاق ، لكي اشير الى تجربة سيبيريا الغربية (وقد أفادني عنها الرفيق خودوروفسكي)، لكي أطرح هذه القضية الثقافية الهائلة ذات الأهمية التاريخية العالمية بكل حجمها .

نكاد لا نفعل شيئاً من أجل الأرياف خارج ميزانيتنا الرسمية ، أو خارج علاقاتنا الرسمية . والواقع ان العلاقات الثقافية بين المدينة والأرياف تأخذ بحد ذاتها ، وتكتسب بالضرورة ، طابعاً آخر تماماً . فالتأثير الذي كانت المدينة تمارسه في ظل النظام الرأسمالي على القرية ، كان يفسدها سياسياً واقتصادياً وأخلاقياً وجسدياً ، الخ ... أما عندنا فان المدينة تبدأ تلقائياً في ممارسة تأثير معاكس تماماً على الريف ، ولكن هذا كله يجري ،بالضبط ،تلقائياً وعفوياً ، ومن الممكن تعزيز ذلك كله (ثم مضاعفته مئة مرة) اذا جعلنا هذا العمل واعياً ، دائماً ،منتظماً.

لن نبدأ في التقدم ، الا عندما ندرس هذه المسألة ، عندما نؤسس اتحادات عمالية من كل شكل ونوع ، - مع وقايتها بجميع الوسائل من تفشي الروح البيروقراطية فيها ، - لكي نطرح هذه القضية ونبحثها ثم نحققها عملياً . (وحينذاك سنتقدم بكل تأكيد بسرعة تزيد مئة مرة) .

٢ كانون الثاني ١٩٢٣

ج ، ٤٥ ص ٦٦٣ - ٣٦٨

مَسَائِل مُتفرّقَة

في الصحافة

من مشروع قرار يتعلق بحرية الصحافة (٥٠)

كانت البرجوازية تفهم حرية الصحافة على أنها حرية الأغنياء في اصدار الصحف واستيلاء الرأسماليين على الصحافة ، مما ادى فعلاً وفي كل مكان ، بما في ذلك اكثر البلدان تمتعاً بالحرية ، الى جعل الصحافة سلعة تباع وتشرى .

أما حكومة العمال والفلاحين فتفهم حرية الصحافة على أنها تحرير الصحافة من نير رأس المال ، وانتقال معامل الورق والمطابع الى ملكية الدولة ، وتوفير حقوق متساوية لكل جماعة من المواطنين يبلغ تعدادها حداً معيناً (١٠٠٠٠مثلاً) في استخدام كمية مناسبة من الورق والخدمة المطبعية ...

كتب في ١٩١٧/١١/٤
ج ٠ ٣٥ ص ٥١

* * *

حول طابع صحفنا

إننا نفسح مكاناً كبيراً جداً للتحريض السياسي في موضوعات قديمة ، أي للثرثرة السياسية ،ومكاناً صغيراً جداً لبناء الحياة الجديدة أي للوقائع، الوقائع المتعلقة بهذا الموضوع .

فلماذا لا نتحدث في ١٠ — ٢٠ سطراً، بدلاً من ٢٠٠ — ٤٠٠ سطر ، عن ظواهر بسيطة ، واضحة ، معروفة ، أدركتها الجماهير إلى حدّ كبير ، كالخيانة السافلة التي اقترفها المناشفة ، خدم البرجوازية ، وكالغزو الانكليزي الياباني لإعادة حقوق رأس المال المقدسة ، أو كصريف أسنان أصحاب المليارات الاميركيين على المانيا الخ الخ ؟ علينا أن نتحدث في هذه الأمور ، كما علينا أن نشير الى كل واقعة بهذا الخصوص ، فواجبنا لا أن نكتب المقالات ونردّد المحاكمات السابقة ، بل أن نفضح في أسطر قليلة ، « بأسلوب برقيّ » التجليات الجديدة لسياسة قديمة ، عرفناها سابقاً وقيمناها .

لم تكن الصحافة البرجوازية تتعرّض ، في « الزمن البرجوازي القديم الطيب » ، « لقدس الأقداس » ، وهو الوضع الداخلي للأمور في المعامل الخاصة والاستثمارات الخاصة . وكانت تلك عادة تتجاوب ومصالح البرجوازية ، وعلينا الآن أن نقلع عنها نهائياً . إننا لما نقلع عنها . فطابع صحفنا لم يتغيّر بعد ، كما كان يجب أن يتغيّر ، في مجتمع ينتقل من الرأسمالية إلى الاشتراكية .

علينا بمقدار أقل من السياسة . فالسياسة قد « وضحت » تماماً ، وهي تتلخص في الصراع بين معسكرين : البروليتاريا الثائرة وحفنة من الرأسماليين تجار العبيد (مع زمرتهم بما فيهم المناشفة وغيرهم) .

وأكرر : يمكننا أن نتحدث ، ومن واجبنا أن نتحدث عن هذه السياسة بإيجاز شديد .

ومقدار أكبر من الاقتصاد ؛ وليس الاقتصاد بمعنى محاكمات « عامة » ، ومقالات علماء ، وبرامج مثقفين وغيرها ، أي من الهذر الذي ليس في أغلب الأحيان ، مع الأسف ، إلا هذراً خالصاً . كلا . نحن بحاجة إلى الاقتصاد ، بمعنى جمع الوقائع المتعلقة بالبناء الفعلي للحياة الجديدة ، ودراستها والتحقيق الدقيق فيها . هل هناك بالفعل نجاحات تحرزها المعامل الضخمة والكومونات الفلاحية ولجان الفقراء والاستثمارات الجماعية الشعبية المحلية في بناء الاقتصاد الجديد ؟ ما هي هذه النجاحات ؟ وهل أقيم عليها الدليل ؟ أوليس هناك كثير من الاختلاقات والتبجح ووعود المثقفين (« الأمور تجري تسويتها » ، « وضع برنامج » ، « نبذل قوانا » ، « نضمن الآن » ، « التحسن أمر لا شك فيه » ، وغير ذلك من عبارات الشعوذة التي « نحن » أساتذة فيها) ؟ كيف أحرزنا هذه النجاحات ؟ وكيف نستطيع أن نجعلها أكبر وأوسع ؟

أين هو اللوح الأسود الخاص بالمعامل المتأخرة التي ظلت بعد التأميم مثالاً للاضطراب والانهيار والقذارة والشقاوة والروح الطفيلية . أين هو ؟ لا وجود لهذا اللوح ، مع أن هناك مثل هذه المعامل . إننا لا نستطيع أن نؤدي واجبنا ، ما لم نخضها حرباً على « القائمين على تقاليد الرأسمالية » هؤلاء . فنحن لسنا بشيوعيين ، بل أناس ضعاف النفوس ، مادمنا نصبر صامتين على مثل هذه المعامل . إننا لا نعرف كيف نخوض الصراع الطبقي في الصحافة ، كما كانت تخوضه البرجوازية .

اذكروا كيف كانت هذه تسمم حياة أعدائها الطبقيين في الصحافة بشكل في غاية البراعة ، وكيف كانت تسخر منهم ، وتهينهم ، وتسد عليهم منافذ الحياة . ونحن ؟ ألا يقوم الصراع الطبقي في فترة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية في الحفاظ على مصالح الطبقة العاملة من تلك الزمر والمجموعات والفئات من العمال التي لا زالت تتمسك بتقاليد (بعادات) الرأسمالية ، وتستمر في النظر إلى الدولة السوفيتية على الطريقة السابقة : أن تقدم لها عملاً أقل وأسوأ ، وتنهب منها مالاً أكثر .وهل أمثال هؤلاء السفلة قليلون بين عمال المطابع السوفيتية مثلاً ، أو بين عمال سورموف وبوتيلوف الخ ؟ كم شخصاً منهم قبضنا عليه ؟ وكم فضحنا منهم ؟ وكم عرينا منهم ؟

الصحافة تصمت عن هذا . وإذا كتبت ، فبالطريقة الرسمية ، طريقة الموظفين ، لا بوصفها صحافة ثورية ، لا بوصفها لسان حال دكتتورية الطبقة التي تبرهن بأفعالها أنها ستسحق بيد من حديد مقاومة الرأسماليين والطفيليين والمحافظين على العادات الرأسمالية .

ويمكن قول الشيء نفسه فيما يخص الحرب . هل نلاحق القادة الجبناء ، واللامبالين من الجنود ؟ هل شهرنا أمام روسيا بالكتائب غير الصالحة لأي شيء ؟ هل « قبضنا » على عدد كاف من هذه النماذج السيئة التي يترتب علينا أبعادها من الجيش لعدم كفاءتها وتهاونها وتقصيرها الخ بعد إثارة ضجة كبيرة بهذا الخصوص . إننا لا نخوضها حرباً عملية لاترحم، وثورية حقاً على رجال السوء أنفسهم.وتنقصنا تربية الجماهير على أمثلة ونماذج مشخصة وحية مأخوذة من كافة مجالات الحياة. هذه هي المهمة الرئيسية للصحافة في فترة الانتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية . إننا لا نبدي إلا القليل من الاهتمام بالناحية اليومية البسيطة من الحياة داخل المعمل وفي القرية وفي القطعات العسكرية ،حيث الجديد أكثر ما يكون بناؤه،وحيث

الحاجة أكثر ما تكون الى المزيد من العناية والتنوير والنقد الاجتماعي والقضاء على ما هو غير صالح والدعوة إلى التعلّم من المثال الجيد .

فقدراً أقل من الثرثرة السياسية. وقدراً أقل من محاكمات المثقفين. واقتراباً أكثر من الحياة ، وقدراً أكبر من الاهتمام بالجماهير العمالية والفلاحية وهي تبني عملياً ، في نشاطها اليومي البسيط ، شيئاً جديداً . ومزيداً من التحقق من مدى شيوعية هذا الجديد .

طبع في ١٩١٨/٩/٢٠
ج ٣٧ ص ٨٩ - ٩١

* * *

الى غ. ا. مياسنيكوف

٥ / ٨ / ١٩٢١

أيها الرفيق مياسنيكوف !

اليوم فقط قرأت مقالتيك[٥١] . لست اعلم ما هي خطبك في منظمة بيرم (بيرم على ما أظن) ، وما هو خلافك معها . فلا استطيع إذاً أن أقول شيئاً في هذا الموضوع . إذ ان المكتب التنظيمي سيحقق فيه ، وقد انتخب ، كما سمعت ، لجنة خاصة لذلك .

مهمتي تختلف. إنها تقييم رسالتيك ، بوصفها وثيقتين سياسيتين وأدبيتين . وإنهما لوثيقتان شيقتان !

فمقالتك « مسائل ملحّة » تظهر بوضوح كبير ، فيما اعتقد ، خطأك الرئيسي . وأرى من واجبي أن افعل كل شيء في محاولة لاقناعك .

انك تستخدم الديالكتيك استخداماً صحيحاً في مطلع رسالتك . أجل . إن من لايفهم معنى استبدال شعار «الحرب الأهلية» بشعار«السلام بين المواطنين» انسان مُضحك ، إن لم يكن أسوأ . أجل . انت محقّ في ذلك .

ولكن ، لأنك محق في ذلك بالضبط، يدهشني كيف نسيت الديالكتيك الذي استخدمته انت نفسك بشكل صحيح في استخلاص نتائجك .

« ... حرية الصحافة من الملكيين حتى الفوضويين ... » . جيد جداً !

ولكن ، معذرة ، سيقول الماركسيون كلهم وكل من أمعن الفكر في تجربة ثورتنا خلال أربع سنوات من العمال : فلنر أي حرية للصحافة ؟ حرية **أي شيء** ؟ الحرية **لأي طبقة** ؟

إننا لا نؤمن « بالمطلق » على أنواعه المختلفة . ونحن نسخر من « الديمقراطية الخالصة » .

لقد اصبح شعار « حرية الصحافة » عظيماً على المستوى العالمي في أواخر القرون الوسطى وحتى القرن التاسع عشر . لماذا ؟ لأنه كان يعبّر عن البرجوازية التقدمية، أي عن النضال ضد رجال الدين والملوك، الاقطاعيين والملاّك العقاريين.

وليس هناك من بلدٍ في العالم فعل ويفعل من أجل تحرير الجماهير من نفوذ رجال الدين والملاّكين العقاريين قدر ما فعلته روسيا السوفيتية . ولقد نفذنا هذه المهمة ، « حرية الصحافة » ، وننفذها **افضل من الجميع** في العالم كله .

حرية الصحافة في عالم يوجد فيه رأسماليون هي حرية **شراء** الصحف **وشراء** الكتّاب **ورشوة** « الرأي العام » وشراؤه « وفبركته » **لصالح البرجوازية** .

هذا واقع .

ولن يستطيع أحد أن يدحضه أبداً .

وعندنا ؟ هل يستطيع أحد أن ينكر أن البرجوازية قد حطّمت لكنه **لم يقضَ عليها** ؟ وأنها **اختبأت** ؟ لا يمكن أن ننكر ذلك .

إن حرية الصحافة في روسيا الاتحادية السوفيتية التي يحيط بها الأعداء البرجوازيون في العالم كله ، ليست إلاّ حرية **التنظيم السياسي** للبرجوازية ولخدمها المخلصين ، المناشفة والاشتراكيين الثوريين .

وهذا واقع لا يدحض .

لا زالت البرجوازية (في العالم كله) اقوى منّا وأقوى بمرّات كثيرة . فإذا اعطيتها أيضاً سلاحاً كحرية التنظيم السياسي (= حرية الصحافة ، إذ ان الصحافة هي مركز التنظيم السياسي وأساسه) معناه أنك تسهّل الأمر على العدو، أنك تساعد عدوك الطبقي .

نحن لا نرغب في الموت انتحاراً ، ولهذا السبب لن نقدم على ذلك .

فنحن نرى بوضوح **الواقع** التالي ، وهو أن « حرية الصحافة » تعني **عملياً** أن البرجوازية العالمية ستقوم على الفور بشراء مئـــات وآلاف من الكتّاب الكاديت والاشتراكيين الثوريين والمناشفة وتنظيم دعايتهم ونضالهم ضدنا .

هذا واقـع . هم « اغنى » منّا ، وسيشترون « قوّة » اكبر من قوتنا الحالية بعشر مرات .

كلاّ . لن نقدم على ذلك ، ولن نساعد البرجوازية العالمية .

كيف استطعنا ، من تقييم طبقي عام ، أي من وجهة نظر العلاقات بين الطبقات **كلها** ، أن **ننحدر** إلى مستوى التقييم العاطفي الضيق الأفق ؟ هـذا لغز بالنسبة لي .

لقد **استطعت** أن تنظر نظرة ماركسية ، لا نظرة ضيقة ، عاطفية ، إلى المسألتين التاليتين : « السلام بـــين المواطنين أو الحرب الأهلية » ، « وكيف كسبنا الفلاحين وكيف سنستمرّ في « كسبهم » (إلى جانب البروليتاريا) ، وهما أهم مسألتين أساسيتين عـالميتين (= يمسان **جوهر** السياسة العالمية) ، وقـد كرست لهما مقالتيك. لقد استطعت هنا أن تأخذ بعين الاعتبار **بشكل عمليّ** وواع العلائق المتبادلة بين الطبقات **كلها** .

ثم ما لبثت ان سقطت فجأة في هاوية العاطفية إذ تقول :

« ... عندنا كثير من الفضائح ومن سوء الاستعمال : وحرية الصحافة كفيلة بفضحها ... » .

هذا هو إذاً ما جعلك تضلّ ، إذا كان لي أن أحكم من مقالتيك . لقد اسلمت نفسك لعدد معيّن من **وقائع** محزنة ومرّة يضغط عليك ، ففقدت القدرة على تقدير القوى تقديراً واعياً .

إن حرية الصحافة **ستساعد** قوى البرجوازية العالمية . وهذا واقع . وهي لن تساعد على **تطهير الحزب الشيوعي** في روسيا من نقاط ضعفه وأخطائه وبلاويه وأمراضه (وفيه أمراض كثيرة دون شك) ، إذ ان البرجوازية العالمية لا تريد ذلك . بل ستصبح هذه الحرية سلاحاً **في يد البرجوازية العالمية هذه** . فهي لم تمت ولا زالت حية . إنها تقف جانباً تتربّص. **لقد استأجرت** ميلوكوف، الذي يخدمه تشيرنوف ومارتوف خدمة صادقة مخلصة (ويخدمانه عن غباء وكره لنا بسبب انشقاقهما عنّا إلى حدّ ما ، ولكن بصورة رئيسية ، انسجاماً منهما مع موقفهما الديمقراطي البرجوازي الصغير) .

« ذهبتَ الى غرفة فإذا بك في أخرى » .

أردت أن تداوي الحزب الشيوعي**فأتيت** بدواء يجلب الموت المحقق لا على يديك بالطبع ، بل على يدي البرجوازية العالمية (+ ميلوكوف + تشيرنوف + مارتوف) .

لقد نسيت شيئاً تافهاً ، تافهاً وصغيراً جداً هو ، على وجه الضبط ، البرجوازية**العالمية** و« حريتها » **في** شراء الصحف ،وشراء **مراكز للتنظيم السياسي**.

كلا . لن نسلك هذا السبيل . ومن أصل **الف من العمال الواعين ، تسعمائة** منهم لن يسيروا في هذا الطريق .

فينا كثير من الأمراض . ولقد زادت من أمراض وضعنا ومن**استفحالها**

زيادة كبيرة أخطاء (وهي أخطاؤنا جميعنا، أخطاء اللجنة المركزية ومجلس مفوضي الشعب وغيرها) كتوزيع الوقود **والمواد التموينية** في خريف عـــام ١٩٢٠ وشتائه (أخطاء جسيمة !!) .

الفقر عظيم والكوارث عظيمة .

ولقد زادت مجاعة عام ١٩٢١ من حدتها بشكل جهنمي .

سنخرج بصعوبة بالغة من هذا الوضع ، لكننا سنخرج منه حتماً . ولقد بدأنا في الخروج .

سنخرج لأن سياستنا صحيحة أساساً ، تأخذ في الحسبان القوى الطبقية **كلها** على المستوى **العالمي** . سنخرج . فنحن لا نصبغ وضعنا بألوان زاهية ،بل نعرف الصعوبات ، ونرى أمراضنا **كلها** ونعالجها بدأب ومثابرة دون أن نصاب بالذعر .

لقد سمحت لنفسك أن تكون فريسة الذعر ، وانزلقت على هذا المنحدر، حتى كان لديك ما يشبه تأسيس حزب جديد ، أو ما يشبه الانتحار .

عليك ألا تصاب بالذعر .

انقطاع صلة الكوماتشكيين بالحزب . هذا موجود . وهـذا شـــرّ ، مصيبة ، مرض .

هذا موجود . وهذا مرض خطير .

إننـا نراه .

وعلينا أن نعالجه لا « بالحرية » (الحرية **للبرجوازية**) ، بل بإجراءات بروليتارية وحزبية .

إن فيما تقوله عن رفع مستوى الاقتصاد، وعن« المحراث الآلي » وغيرهما، وعن النضال في سبيل التأثير على الفلاحين الخ.. **كثيراً** من الأشياء الصحيحة والمفيدة.

لماذا لا **تبرز هذا وتفرده** ؟ سنتفق في هذا ، وسنعمل معاً بانسجام في حزب واحد . سيكون النفع هائلاً ، **ولكن ليس على الفور** ، بل ببطء**شديد**.

إن بث الحياة في السوفيتات ، واجتذاب غير الحزبيين ، ومراقبة **غير الحزبيين** لعمل الحزبيين ، أمور صحيحة كلها صحة مطلقة . وهنا بالذات لدينا عمل كثير ، وكثير جداً .

فلماذا لا تعرض **هذا** بشكل عملي ؟ في كرّاس تقدمه للمؤتمر ؟

لماذا لا تباشر العمل في هذا المجال ؟

لماذا الخوف من العمل **الشاق** (فسوء الاستعمال على أنواعه يجب فضحه من خلال **اللجنة** المركزية للمراقبة ، والصحافة الحزبية ، والبرافدا) ؟ الناس يصابون بالذعر ، ويبحثون عن مخرج «سهل» منه في « حرية الصحافة (**للبرجوازية**) لعدم إيمان منهم بالعمل البطيء ، الصعب ، الشاق ، المضني .

لماذا تصر على خطئك ، خطئك الفاضح ، على شعارك غير الحزبي، **المعادي للبروليتاريا** ، شعار « حرية الصحافة » ؟ ولماذا لا تأخذ على عاتقك عملاً مضنياً وأقل « تألقاً » (تألقاً برجوازياً) ، هو التخلص عملياً من سوء الاستعمال على كافة أنواعه ، والنضال **العملي** ضده ، والمساعدة **العملية** لغير الحزبيين ؟

فمتى ، وأين لفتّ انتباه اللجنة المركزية الى سوء استعمال ، **أياً كان** ، والى **وسيلة** ، أي وسيلة ، لاصلاحه واستئصال جذوره ؟

إنك لم تفعل ذلك مرة .

ولا مرة واحدة .

لقد رأيت الكثير من المصائب والأمراض فيئست وارتميت في أحضان غريبة ، أحضان البرجوازية (« حرية الصحافة » **للبرجوازية**) . ونصيحتي لك أن لا تصاب باليأس والذعر .

لا زال عندنا وعند من يتعاطفون معك ، عند العمال والفلاحين، فيض من القوة والعافية .

إننا لا نزال نعالج الأمراض معالجة رديئة .

ولا نزال نطبق تطبيقاً سيئاً شعار : ادفعوا بغير الحزبيين الى المراكز المناسبة ، وتحققوا من عمل الحزبيين بغير الحزبيين .

لكننا نستطيع أن نفعل ، وسنفعل في هذا الشأن أكثر مما نفعل الآن بمائة مرة .

وآمل منك ،بعد أن تفكر في الأمر بصفاء بصيرة ، ألا تصرّ بفعل غرور كاذب ، على خطإ سياسي فاضح (« حربة الصحافة ») . كما آمل منك ، بعد أن تكون قد ضبطت أعصابك ، وتغلبت على ذعرك ، أن تباشر معنا نشاطاً عملياً من شأنه مساعدتنا على توثيق الصلة بغير الحزبيين ، وعلى تحقق غير الحزبيين من عمل الحزبيين .

لدينا الكثير مما يجب فعله في هذا المجال . وفي عملنا هذا نستطيع (ومن واجبنا) أن نداوي المرض ، ونداويه ببطء وبشكل حقيقي ، لا أن نشوّش أفكارنا « بحربة الصحافة » ، هذا الضوء المستنقعي « البرّاق » .

تحية شيوعية .

لينين

ج ٤٤ ص ٧٨ - ٨٣

في الكتاب

مذكرات حول قصيدة ف مياكوفسكي «١٥٠٠٠٠٠٠٠٠» (٥٢)

٦ ايار ١٩٢١

١ ــ من ف لينين الى أ. ف. لوناتشارسكي

كيف لا تخجل من التصويت على اصدار (٥٠٠٠) نسخة من قصيدة مياكوفسكي «١٥٠٠٠٠٠٠٠٠» ؟ هذا هراء ، غباء عظيم ، تصنع .

في رأيي أن علينا أن نطبع عشر مثل هذه الأشياء ، وعلى ألا تتجاوز ١٥٠٠ نسخة للمكتبات ولغربيي الأطوار .

أما لونا تشارسكي فيجب تأنيبه على عطفه على المستقبلية .

٦/٥ لينين

ج ٥٢ ص ١٧٩

٢ ــ من أ. ف. لوناتشارسكي

هذه القصيدة لا تعجبني كثيراً ، الا أن شاعراً كبروسوف كان مبهوراً بها ، وطالب بطبع عشرين الف نسخة . هذا اولاً ، وثانياً لقيت القصيدة عندما قرأها مؤلفها نفسه نجاحاً ظاهراً من الجمهور بما في ذلك العمال انفسهم .

« التراث الأدبي »

ج ٦٥ ص ٢١٠

٣ ــ من ف. إ. لينين الى م. ن. بوكروفسكي

أيها الرفيق بوكروفسكي ! أرجوك كثيراً أن تساعدنا في كفاحنا ضد المستقبلية وما شاكلها .

١) عرض لوناتشارسكي على اللجنة (مع الأسف !) طبع قصيدة مياكوفسكي « ١٥٠٠٠٠٠٠٠ » .

ألا يمكننا أن نضع حداً لهذا ؟ يجب وضع حد لهذا الأمر . ولنتفق على أنه لا يجوز طبع هؤلاء المستقبليين اكثر من مرتين في العام ، وبعدد نسخ لا يتجاوز ١٥٠٠ نسخة .

٢) لقد طرد لوناتشارسكي مرة أخرى كيسيليس الذي يقال عنه انه فنان واقعي. وطرده بمساندته ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، لاحدالمستقبليين.

ألا نستطيع ان نعثر على فنانين معادين للمستقبلية يمكن الاعتماد عليهم .

لينين

ج ٥٢ ص ١٧٩ – ١٨٠

* * *

عن الوضع الدولي والداخلي للجمهورية السوفيتية

من خطاب القي في اجتماع المجموعة الشيوعية
في مؤتمر عمال التعدين لعموم روسيا
في ٦ آذار ١٩٢٢

... إن بعض التغيير يطرأ الآن على مهمة عملنا . وبودي أن اتحدث ببضع كلمات في هذا الموضوع ، إضافة الى تقريري الذي طال بعض الشيء .

علينا الآن ، وغينوا يبدي انواعاً من التردد يبدو أن لا نهاية لها ، وبعد أن أقدمنا في سياستنا الداخلية على هذا القدر من التنازلات ، علينا الآن أن نقول: **« كفى . لا تنازلات بعد الآن ! »** . وإذا كان السادة الرأسماليون يعتقدون أن بإمكانهم أن يماطلوا ، وأننا سنقدم لهم تنازلات بقدر ما يماطلون ، فإني اكرر أن علينا أن نقول لهم : **« كفى . لن تنالوا في الغد شيئاً ! »** . وإذا كان تاريخ السلطة السوفيتية وتاريخ انتصاراتها لم يعلماهم شيئاً فليفعلوا ما يحلو لهم . لقد فعلنا ، من جانبنا، كل شيء واعلنّا ذلك أمام العالم كله . وآمل أن يؤكد المؤتمر أيضاً أننا لن نتراجع بعد الآن . **لقد انتهى تراجعنا** ، وبانتهائه يتغيّر عملنا .

وعلينا أن نسجل أننا لا نزال نلحظ في صفوفنا حتى الآن توتر اعصاب شديدا، يكاد يكون حالة مرضية لدى مناقشتنا لهذه المسألة ، فتوضع مختلف انواع البرامج وتقدم القرارات على أنواعها .

وأريد أن اقول لكم شيئاً بهذه المناسبة . لقد قرأت البارحة في « الازفستيا » بمحض الصدفة قصيدة لميا كوفسكي في موضوع سياسي [٥٣] . أنا لست من المعجبين بموهبة ميا كوفسكي الشعرية، مع أني اعترف اعترافاً كاملاً بعدم كفاءتي في هذا المجال . لكني لم أشعر منذ أمد بعيد بمثل هذا الرضى ، من وجهة نظر سياسية وإدارية . فهو يسخر في قصيدته سخرية لاذعة من الاجتماعات والشيوعيين ، لأنهم يجتمعون وتطول اجتماعاتهم . لست أدري كيف احكم على هذه القصيدة من وجهة نظر شعرية ، أما من وجهة نظر سياسية فأوكد بأنها صحيحة تماماً . فنحن ، بالفعل ، في وضع أناس (وعلينا أن نعترف أنه وضع في غاية الغباء) يجتمعون ، ويشكلون لجاناً ، ويضعون برامج إلى مالا نهاية . كان عندنا نموذج للحياة الروسية هو أبلوموف (٠). كان يستلقي دائماً على سريره . ويضع البرامج الواحد تلو الآخر. لقد مر زمن طويل منذ ذلك الوقت ، وقامت روسيا بثورات ثلاث ، إلا ان الأبلوموفيين بقوا مع ذلك ؛ فأبلوموف لم يكن ملاكاً عقارياً وحسب ، بل فلاحاً أيضاً، ولم يكن فلاحاً وحسب ، بل مثقفاً أيضاً ، ولم يكن مثقفاً وحسب ، بل عاملاً وشيوعياً . يكفينا أن ننظر إلى انفسنا ، كيف نجتمع وكيف نعمل في اللجان ، لنقول إن أبلوموف القديم لا زال حياً فينا، وعلينا أن نغسله طويلا ، وننظفه ونهزه ، ونشده بعنف ، ليكون فيه أي نفع . وعلينا ، في هذا المجال ، أن ننظر إلى وضعنا بدون أي أوهام . إننا لم نقلد احداً من الذي يكتبون كلمة ثورة بالحرف الكبير كما يفعل الاشتراكيون الثوريون . إلا انه بإمكاننا أن نردد كلمات ماركس القائلة: في زمن الثورة تقترف غباوات لا أقل مما يقترف في الفترات الأخرى ، ولربما كانت اكثر في بعض الأحيان. علينا أن ننظر الى هذه الغباوات بعين متبصرة وبدون وجل ، وعلينا ، نحن الثوريين ، أن نتعلم هذا. . .

ج ٤٥ ص ١٢ - ١٤

---

(٠) بطل رواية غونتشاروف التي تحمل الاسم نفسه . (المترجم)

أوجين بوتييه

(في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاته)

انقضى في شهر تشرين الثاني من العام المنصرم، عام ١٩١٢، خمسة وعشرون عاماً على وفاة الشاعر العامل الفرنسي أوجين بوتييه ، مؤلف النشيد البروليتاري « الانترناسيونال » (وقوفاً أيها الموسوم باللعنة) الخ ..

لقد ترجم هذا النشيد إلى اللغات الأوروبية كلها ، وإلى غيرها من اللغات ايضاً . ففي أي بلد وجد العامل الواعي نفسه ، وحيثما تلقي به الاقدار ، ومهما شعر بنفسه غريباً دون لغة ، ودون أقارب ومعارف ، بعيداً عن وطنه ، يستطيع أن يجد له رفاقاً واصدقاء بواسطة ألحان « الانترناسيونال »

لقد تلقف عمال مختلف البلدان اغنية مناضلهم التقدمي ، شاعرهم البروليتاري ، وجعلوا منها نشيداً بروليتارياً عالمياً .

ويكرم عمال مختلف البلدان الآن اوجين بوتييه . فزوجه وابنته لاتزالان على قيد الحياة ، وهما تعيشان ، كما عاش صاحب « الانترناسيونال » حياته كلها، في فقر .

ولد بوتييه في باريس في الرابع من تشرين الأول ١٨١٦ . كان عمره اربعة عشر عاما عندما الف قصيدته الأولى ، وكان اسمها « فلتحيا الحرية ! » . شارك عام ١٧٤٨ في المعركة العظيمة ضد البرجوازية محارباً وراء المتاريس

لقد ولد بوتييه في عائلة فقيرة ، وبقي حياته كلها فقيراً ، بروليتارياً ، يكسب خبزه من تعبئة الصناديق ثم من الرسم على النسيج .

وأخذ من عام ١٨٤٠ يتجاوب مع الأحداث الكبرى في حياة فرنسا ، ووسيلته الأغنية المكافحة ، موقظاً وعي المتـــأخرين ، وداعياً العمال الى الوحدة بسوط البرجوازية والحكومات البرجوازية في فرنسا .

وفي عهد كومونة باريس العظيمة (عام ١٨٧١) انتخب عضواً فيها ، إذ حصل على ٣٣٥٢ صوتاً من أصـــل ٣٦٠٠ صوت . ثم شارك في كافة اجراءات الكومونة ، أول حكومة بروليتارية .

وأجبره سقوط الكومونة على الهرب الى انكلترا وأميركا . وقد كتب نشيده الشهير « الانترناسيول » **في حزيران عام ١٨٧١** أي في اليوم التالي ، ان صح التعبير ، لهزيمة أيار الدامية ...

لقد سحقت الكومونة . . . أما نشيد بوتييه « انترناسيونال » فقد حمل افكارها الى انحاء العالم كله ، وهي الآن حية أكثر مما كانت في اي وقت مضى.

وفي عام ١٨٧٦ كتب، وهو في المنفى ، قصيدته « من العمال الأميركيين الى عمال فرنسا » ، رسم فيها صورة لحياة العمال تحت نير الرأسمالية ، ولفقرهم ولعملهم الشاق وتعرضهم للاستغلال وايمانهم الصلب في النصر العتيد لقضيتهم .

ولم يعد أوجين بوتييه الى فرنسا الا بعد مرور تسع سنوات على الكومونة، حيث انخرط فوراً في « الحزب العمالي » . وفي عام ١٨٨٤ نشر ديوانه الاول وفي عام ١٨٨٧ ديوانه الثاني بعنوان « أغنيات ثورية » .

أما أغنيات هذا الشاعر العامل الأخرى فلم تنشر الا بعد موته .

وفي الثامن من تشرين الثاني عام ١٨٨٧ شيع عمال باريس جثمان أوجين بوتييه الى مقبرة بير لاشيز ، حيث يرقد الذين اعدموا من رجال الكومونة .

ونظم رجال البوليس مجزرة بتمزيقهم العلم الأحمر . لقد شاركت الجماهير في الجنازة المدنية ، وكانت ترتفع من كل مكان هتافات : عاش بوتييه !

توفي بوتييه فقيراً . الا انه ظل هو ذاته اثراً خالداً . فقد كان واحداً من **اعظم المحرضين بالأغنية** . لقد كان العمال الاشتراكيون يعدون بالعشرات على أبعد حد عندما الف قصيدته الاولى . اما الآن فان عشرات الملايين من البروليتاريين يعرفون اغنية أوجين بوتييه التاريخية .

طبع في ١٩١٣/٢/٣
ج ٢٢ ، ص ٢٧٣ - ٢٧٤

★ ★ ★

في اللغة

من مقال

« ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية »

١ ــ الليبراليون والديمقراطيون ومسألة اللغات :

أشارت الصحف اكثر من مرة الى تقرير حاكم القفقاز العام ، وهو تقرير يتميز « بليبراليته » ، لا برجعيته . فهذا الحاكم يعلن انه ضد الترويس المصطنع ، أي جعل القوميات غير الروسية روسية . ففي القوقاز يسعى ممثلو القوميات غير الروسية انفسهم الى تعليم اولادهم باللغة الروسية ، كما يجري مثلاً في المدارس الأرمنية الدينية ، حيث دراسة اللغة الروسية امر اختياري .

وقد أشارت « روسكويي سلوفو » وهي من أوسع الصحف الليبرالية انتشاراً (العدد ١٩٨) الى هذا الواقع ، وخلصت الى هذه النتيجة الصحيحة وهي أن الموقف العدائي من اللغة الروسية في روسيا « ناشئ حصراً » عن نشر اللغة الروسية « بصورة مصطنعة » (وكان ينبغي القول : عن طريق الاكراه) .

وتقول الصحيفة : « ليس هناك ما يدعونا الى القلق على مصير اللغة الروسية ، اذ انها ستحظى بنفسها على اعتراف الناس بها في روسيا كلها » . وهذا قول حق ، اذ ان المتطلبات الاقتصادية ستجبر دائماً القوميات القاطنة في دولة واحدة (ما دامت هذه القوميات تريد أن تعيش معاً) على دراسة لغة الأكثرية .

فبقدر ما يتسم النظام في روسيا بالطابع الديمقراطي، وبقدر ما تتطور الرأسمالية بقوة وسرعة وشمول ، تدفع المتطلبات الاقتصادية بمزيد من الالحاح القوميات المختلفة الى دراسة اللغة التي تكون الانسب للعلاقات التجارية العامة .

لكن هذه الصحيفة الليبرالية ما تلبث ان تتعثر وتقدم الدليل على عدم تماسكها الليبرالي ، فهي تكتب قائلة :

« من المشكوك فيه ان يهب احد ، حتى من بين خصوم الترويس ، ليعارض الامر التالي ، وهو وجوب قيام لغة واحدة في دولة شاسعة الأرجاء كروسيا، وهذه اللغة ... لا يمكن ان تكون إلا اللغة الروسية » .

يا له من منطق مقلوب ! فسويسرا الصغيرة لا تخسر ، بل تربح من كونها تملك ثلاث لغات بدلاً من لغة رسمية واحدة ، وهذه اللغات هي الألمانية والفرنسية والايطالية . فسبعون بالمائة من سكان سويسرا ألمان (في روسيا ٤٣٪ من السكان روس) ، و ٢٢ بالمائة فرنسيون (في روسيا ١٧٪ من السكان اوكرانيون) ، و ٧ بالمائة ايطاليون (في روسيا ٦٪ بولونيون و ٤٫٥٪ من الروس البيض (بيلاروس) . واذا كان الايطاليون غالبا ما يتكلمون بالفرنسية في البرلمان المشترك ، فهم لا يفعلون ذلك من جراء التهديد بعصا أي قانون بوليسي وحشي (ليس في سويسرا من وجود لمثل هذا القانون) بل ، بكل بساطة ، لأن المواطنين المتمدنين في دولة ديمقراطية يفضلون من تلقاء انفسهم اللغة التي تفهمها الاكثرية . فاللغة الفرنسية لا تثير كره الايطاليين لانها لغة امة حرة متمدنة لم تفرضها أي تدابير بوليسية كريهة .

فلماذا يترتب على روسيا « الشاسعة الارجاء » والمتعددة القوميات والمتأخرة الى حد مخيف ان تعيق تطورها بالحفاظ على اي امتياز مهما كان للغة من اللغات ؟ ألا يتعين على روسيا ، اذا كانت تريد اللحاق بأوروبا ، ان تضع

بأسرع وقت ممكن ، وبأكمل وجه ممكن ، وبأحزم طريقة ممكنـــة ، حداً للامتيازات على مختلف اشكالها وانواعها ؟

فاذا زالت الامتيازات كلها، وتوقف فرض أي لغة، سيتعلم السلاف كلهم أن يتفاهموا بسرعة ويسر ، وسيزول خوفهم من هذه الفكرة « الرهيبة » وهي أن الخطب ستلقى في البرلمان المشترك بلغـــات مختلفة . ذلك ان الضرورات الاقتصادية نفسها ستحدد لغة البلد التي ترى الاكثرية أن معرفتها ستكون افيد للعلاقات التجـــارية . وسيكون هذا التحديد من الرسوخ بقدر ما يقبل به ابنـــاء مختلف القوميات طواعية ، ومن السرعة والانتشار بقدر ما يكون في الديمقراطية من تماسك ، وبالتالي من سرعة في تطور الرأسمالية .

يسلك الليبراليون في مسألة اللغات ، كما يسلكون في القضايا السياسية الأخرى كلها ، سلوك تجار مرائين يمدون يداً (علناً) الى الديمقراطية ، واليـــد الأخرى (من وراء الظهر) إلى الاقطاعيين ورجال البوليس . فهم يصيحون أمام الملأ أنهم ضد أي امتياز ، لكنهم يسعون في الخفاء إلى الحصول على هذا الامتياز أو ذاك من الاقطاعيين .

هذه هي صفات كل تعصب قومي برجوازي ليبرالي . وهي ليست وقفاً على التعصب القومي الروسي (فهو شرّ أنواع التعصب القومي بسبب طابع العنف فيه ، وقرابته من السادة أمثال بوريشكيفتش) ، بل هي صفات التعصب القومي البولوني واليهودي والأوكراني والجيورجي وأي تعصب آخر . إن برجوازيـــة القوميّات **كلها** ، سواء في النمسا أو في روسيا ، تلجأ **بالفعل** إلى تفريق صفوف العمال ، وإلى اضعاف الديمقراطية ، وإلى عقد صفقات خسيسة مـع الاقطاعيين على بيـع حقوق الشعب وحريته تحت شعار « الثقافة القومية » .

إن شعار الديمقراطية العاملة ليس « الثقافة القومية » ، بل الثقافة الأممية ،

ثقافة النزعة الديمقراطية والحركة العاملة العالمية . فلتحاول البرجوازية أن تخدع الشعب بمختلف البرامج القومية « الايجابية » . لكن العمال الواعين سيردون عليها قائلين : هناك حلّ واحد فقط للمسألة القومية (مادام حلّها ممكناً في عالم الرأسمالية ، عالم الركض وراء الربح ، والتطاحن العنيف ، والاستغلال) وهذا الحلّ هو الديمقراطية المتماسكة .

ودليلنا على ذلك سويسرا بثقافتها العريقة في أوروبا الغربية ، وفنلندا بثقافتها الناشئة في أوروبا الشرقية .

أمّا برنامج الديمقراطية العمالية القومي فيقوم على النقاط التالية : لا امتيازات حتماً لأي أمة أو أي لغة ؛ حل مسألة حرية الأمم في تقرير مصيرها السياسي ، أي قضية انفصالها وتكوين دولة خاصة بها بملء الحرية والديمقراطية ؛ سن تشريع عام للدولة يعتبر بموجبه لاغياً وغير شرعي كل تدبير (يتخذه الزيمستفو أو المجلس البلدي أو المشاعة الخ) يمنح أي امتياز من الامتيازات لأي قومية من القوميات ، كما يحق بموجبه لكل مواطن من مواطني الدولة أن يطالب بإبطال مثل هذا التدبير لمخالفته الدستور وبمعاقبة من يحاول تطبيق هذا التدبير .

الديمقراطية العمالية تطالب بدلاً من التطاحن القومي بين مختلف الأحزاب البرجوازي بسبب مسألة اللغات وغيرها ، وبدلاً من التعصب القومي البرجوازي ، تطالب بوحدة العمال من مختلف القوميات وحدة غير مشروطة ، واندماجهم التام في المنظمات العمالية كلها من نقابية واستهلاكية وتربوية الخ . وهذه الوحدة وهذا الاندماج هما القادران وحدهما على صيانة الديمقراطية وصيانة حقوق العمال ضد رأس المال ـ الذي أخذ ولازال يأخذ طابعاً عالمياً يشتد يوماً بعد يوم ـ وعلى صيانة مصالح الانسانية السائرة نحو نمط جديد من الحياة لا امتيازات لأحد فيه ولا استغلال .

كتب في الفترة ما بين تشرين الأول
وكانون الأول من عام ١٩١٣
ج ٢٤ ، ص ١١٦ – ١١٩

من مقال

هل نحتاج الى لغة رسمية واحدة إلزامية ؟

. . . ونجيبهم : هذا كله صحيح أيها السادة الليبراليون ! ونحن ندرك أكثر منكم أن لغة تورغنيف وتولستوي ودوبروبوف وتشرنيشفسكي عظيمة وجبّارة. ونريد أكثر منكم أن يقوم بين الطبقات المضطهدة من مختلف القوميات، التي تقطن روسيا دون تمييز ، أقصى حدّ ممكن من الاتصال الوثيق والوحدة الأخوية . ونحن بالطبع نرى أن تتوفر لكل من يقطن روسيا امكانية تعلم اللغة الروسية العظيمة .

لكن شيئاً واحداً لا نريده ، هو عنصر **الاكراه** . لا نريد أن نسوق الناس إلى الجنة بالعصا . إذ ان اللغة الرسمية **الالزامية** ستكون مقرونة بالاكراه والقسر مهما تحدثتم بجمل منمقة عن « الثقافة » ، ونعتقد أن اللغة الروسية العظيمة والجبارة ليست في حاجة إلى من يدرسها **خوفاً من العصا** . إننا مقتنعون بأن تطوّر الرأسمالية في روسيا ، ومجرى الحياة الاجتماعية كله يؤديان إلى تقارب الأمم كلها فيما بينها . فمئات الآلاف من الناس ينتقلون من مكان إلى آخر في روسيا ، والقوميّات تختلط فيما بينها ، مما يؤدي إلى زوال العزلة والجمود القومي. وسيدرس اللغة الروسية الذين يشعرون بحكم ظروف عملهم وحياتهم أنهم في حاجة إلى معرفة هذه اللغة ، وسيدرسونها آنذاك دون إكراه. أمّا الإكراه (العصا) فلن يؤدي إلا إلى شيء واحد ، هو أنه سيصعب على اللغة الروسية العظيمة والجبارة أن تنتشر في

أوساط القوميّات الأخرى . والأهم من ذلك أن الإكراه سيصعد من حـــدّة العداء ، وسيخلق مليون سبب للاحتكاكات ،وسيزيد من التوتر وسوء التفاهم الخ.

من يحتاج ذلك ؟ لا الشعب الروسي ، ولا الحركة الديمقراطية الروسية في حاجة إلى ذلك . فنحن لا نقر أي اضطهاد قومي « ولو كان في صالح الثقافة الروسية والدولة الروسية الواحدة » .

ولهذا السبب بالضبط يقول الماركسيون الروس **بعدم ضرورة** اللغة الرسمية الواحدة الإلزامية ، مع تأمين مدارس للسكان تعلّم باللغات المحلية كلها ، وبضرورة ادراج تشريع أساسي في الدستور ، يعلن بطلان أي امتياز لأي من القوميّات وأي انتهاك لحقوق الأقليّات القومية . . .

طبع في ١٨ / ١ / ١٩١٤
ج ٢٤ ص ٢٩٤ - ٢٩٥

★ ★ ★

مُلحَق

ملاحظات ف. ا. لينين على كتاب شولياتيكوف

« تبرير الرأسمالية في الفلسفة الأوروبية الغربية

(من ديكارت الى إرنست ماخ)[٥٤]

رسخ في أوساط **المثقفين** موقف تقليدي من الفلسفة... هكذا!
فالافكار الفلسفية لا ترتبط إلا نادراً وبصورة ضعيفة جداً بالأرضية الطبقية ، أيا كانت هذه الارضية . . .

ويتمسك بهـــذه النظرة **ماركسيون كثيرون وكثيرون جداً** . وهم على قناعة بأن تنوع الآراء الفلسفية في صفوف الطليعة البروليتارية أمر جائز ، وأنه ليس ذا اهمية كبيرة إن كان ايديولوجيو البروليتاريا يؤمنون **بالمادية أو مذهب الطاقة ، بالكنطية الجديدة او الماخية ...**

إن الأخذ بالنظرة المذكورة آنفاً معناه **الوقوع في خطأ ساذج ومؤسف جداً** ... فالتعابير و الصيغ الفلسفية كلها على الأطلاق إنما تستعملها **الفلسفة للدلالة على طبقات، وجماعات ، وخلايا اجتماعية وعلى العلائق المتبادلة بينها** . فعندمـــا غير صحيح
يكون أمامنا نظام فلسفي لهذا المفكر البرجوازي أو ذاك ، غير صحيح
معناه أن **اما منا لوحة لبنية المجتمع الطبقية** رسمت بوساطة

إشارات اصطلاحية وتمثل العقيدة الاجتماعية المعلنة لجماعة برجوازية معينـــة .

. . . . .

لا نستطيـع أن نأخذ هذه اللوحات على أنها شيء يمكن استخدامه وتنسيقه مع النظرة البروليتارية إلى العالم . فهذا معناه **الوقوع في الانتهازية ومحاولة جمع مالا يجمع** ...

هكذا !

لقد جرت التجربة الأولى **الباهرة** لاعادة تقييم مماثلة منـــذ عدة سنوات . إن مقالة الرفيق أ . بوغدانوف « التفكير الاستبدادي » تفتح **عهداً جديداً** بلا شك في تاريخ الفلسفة .

!!

فبعد ظهور هذه المقالة فقدت الفلسفة المغرقة في الخيال الحق في استخـدام **مفهوميها الاساسيين « الروح »** «والجسد ؛ إذ ثبت أن هذين الأخيرين نشآ على خلفية العلائق **الاستبدادية** وأن التناقض بينهما كان يعكس تناقضاً اجتماعياً هو التناقض بين « الفئات العليا » المنظمة « الفئات الدنيا » المنفذة. ولقد صمت النقد البرجوازي بإصرار مدهش عن **مؤلف الماركسي الروسي**...

يا له من هراء

. . . . .

إن **التحليل الاجتماعي لمنشأ** المفاهيم والنظم الفلسفية في مثل هذه الظروف ليس أمراً مرغوباً فيه وحسب ، بل أمراً ضرورياً ضرورة قصوى . وهذه المهمة واحـدة من **اصعب المهام واعقدها** ... فالنظم الفلسفية المعاصرة **الشائعة الآن كالكنطية الجديدة او الماخية** ...

. . . . .

إن مقالنا ليس مخصصاً لفئة محدودة من الأخصائيين ...

فقد أخذ الشعب يبدي اهتماماً بالفلسفة... ولهذا فمقالناذو طابع بدائي بسيط بعض الشيء ...

وسيسهل استيعاب وجهة النظر التي ندافع عنها إذاما أوضحت بمواد منتقاة باقتصاد.

×

- ١ -

« الاسس » المنظِمة والمنظَمة

...وبرز التفاوت الاقتصادي ، فقد تحول المنظمون بالتدريج إلى مالكين لوسائل الانتاج التي كانت تخص المجتمع سابقاً ...

علائق الانتاج في المجتمع الاستبدادي ... ؟ ؟

ويبدأ || الانسان البدائي المتوحش || يرى في هاهوذاالهراءواضح!! كل شيء ظهور إرادة المنظم . « ... إن المنفذ معرض للأحاسيس الخارجية مباشرة- وهذا هو الجهاز الفيزيولوجي ، الجسم ، أما المنظم فهو ليس كذلك ، ووجوده مفترض داخل الجسم ، وهذه هي الشخصية الروحية » ...

مماحكة وجمل مجردة. كلام « عام » جداً . كلام في كلام . مسألة الانسان المتوحش والشيوعية البدائية يربط بينهما . وكذلك الأمر بالنسبة للمادية والمثالية في اليونان

... وأخـــذ مفهوم الروح يكتسب باستمرار طابعاً اكثر تجريداً . المثالية فقط !

. . . . .

عندما طرح في تاريخ الفلسفة اليونانية السؤال المشهور: كيف يمكن أن تنشأ من مادة خالصة ، غير مادية لا تتحول ، ظواهر العالم المادي العارضة العديدة؟ وما هي علاقة «الوجود» بـ «الموجود» ؟ ـ لم يكن هـــذا السؤال ، على الرغم من تأكيدات مؤرخي الفلسفة ، **اعلى نقطة يحلق اليها الفكر الانساني الكريم** ، وأنزه جهد يوجهـــه لفكّ أعظم لغز في الوجود ، فيسعد بذلك الجنس البشري الى الأبـد . لقد كان الأمر أبسط من هذا بكثير إن طرح هذا السؤال لا يدل إلا على أن **عملية التمايز الاجتماعي في المدن اليونانية** برزت بشكل جلي تماماً ، **وان الهوة بين اوساط المجتمع «العليا» «والدنيا»** أصبحت أعمق ، وأن ايديولوجيا المنظمين القديمة ، التي كانت تستجيب لعلاقات اجتماعية أقل تمايزاً ، فقدت حقها في الوجود . ففي السابق لم تكن مسألة وجود علاقة مباشـرة بين الجوهر والأعراض تثير أي شك ، على الرغم من كل ما بينها من تباين . أما الآن فيُنكر وجود هـذه العـلاقة . ويعلن بعضهم أن الجوهـر والعرض قيمتان غير متناسبتين ، لا يمكن أن تقوم بينها علاقة إلا من خلال حلقات متوسطة ، أو اننا لا نستطيع أن نقيم علاقة متبادلة بينها **لا بمســـاعدة الحواس ولا بمساعدة التفكير العادي** ، إذا ما استعملنا لغـة فلســـفية أدق : إنا نحتاج في ذلك الى مساعدة «فكرة» من نوع خاص ، تنبثق بدورها من حدس من نوع خاص .

هكذا إذاً ! والمادية اليونانية !

واصحاب فلسفة الريبية !

« الأسس المنظّمة » والمنظّمة في فترة الانتاج الحرفي

لقد طرح معلمو **الفلسفة الجديدة** الأوائل هذه المسألة، مسألة عدم التناسب بين «الأساسين» الروحي والمادي وفقدان الصلة المباشرة بينهما ، وحاولوا حلها ...

. . . . .

ويشيرون عادة إشارة طفيفة الى ما كان يكنه عصر النهضة والعصور التي تلته من تعاطف مع الأسس الروحية . لكن لهذا التعاطف دلالته المميزة جداً «*» .

. . . . .

إن حرفيّ القرون الوسطى - وهو المنظّم أصلاً - كان يقوم في الوقت نفسه بوظائف تنفيذية إذ كان يعمل مع مستخدميه . أما الحرفي البرجوازي فلا يعرف إلا وظائف من نوع واحد فقط ، وهو أنه منظّم حقيقي . والحقيقة انه قد فسّرت لنا في الحالة الأولى أرضية هذه **« الطريقة المزدوجة في تصور الوقائع »** ، **وهي الطريقة التي شرحها الرفيق بوغدانوف** . إلا ان التناقض بين المنظم والمنفذ لا يزال غامضاً بعض الشيء ، ولهذا لم يستطع التناقض الذي يقابله ، في مجال

يا له من هراء!

---

* ولنذكر أن ماركس في الجزء الأول من « رأس المال » و ك. كاوتسكي يشيران الى الارتباط القائم بين الأفكار الدينية المجردة وبين تطور الانتاج البضاعي .

ليس بالمعنى الذي تعطيه أنت

الايديولوجيا ، بين الأساسين الروحي والجسدي ، الفاعـــل والسالب ، أن يبرز بشكل حادٍ وظاهر ...

... لم يكن في ورشة حرفيّ القرون الوسطى مكان لمثلي ما يسمى بالعمل الذي يتطلب مهـارة فنية وعلمـاً ، إذ كانوا يجدون دوماً عمـلاً ما هناك . وكانوا يشكلون « الطبقـة الدنيا » وكانت تعلوهم طبقات أخرى، جماعات عمالية اخرى، تتفاوت فيما بينها حسب درجة مهارتها الفنية. وفي هذه الطبقات كانت تتكون بعض الفئات **المنظمة** . وإذا ما ارتقينا اكثر فأكثر سلم هذه الحلقات ، نرى **جماعات تشرف على ادارة المنشأة فنياً وعلى اداريين عاديين** . وبهذا الشكل فصاحب المنشأة ليس « **محوراً** » من أي عمل فيزيائي وحسب ، بـل من كثير من الواجبات التنظيمية الخالصة أيضاً .

كلام فارغ . مثلاً المتعلمون والذين يتعلمون على ايديهم

. . . . .

... أما « آباء » الفلسفة الجديدة فيعيرون ، بخلاف مفكري القرون الوسطى ، عـالم الظواهر اهتمامـاً كبيراً في نظمهم الفلسفية، ويدرسون بالتفصيل تركيبه وتطوّره وقوانين العلاقة بين أجزائـه ، **وينشئون بذلك الفلسفة الطبيعية** . وهذا الموقع « السامي » ، الذي كان لمثلي المنشآت الحرفية والذي أوحى لآباء الفلسفة الجديـدة بالفكرة الخـالصة عن الإرادة المنظمة، قد أوحى هو نفسه لهم، وبالقدر ذاته، **بتفسير العمليّات الجارية في الواقع المادي** ، أي العمليات الجارية في اوساط الجمهور المنظـم ، تفسيراً آلياً .

**

وكل ما في الأمر أن مدير المنشأة الحرفية ليس إلا الحلقة الأخيرة في سلسلة طويلة نوعاً ما من حلقات منظمين .

وما المنظمون الآخرون بالنسبة له إلا تابعون ، وإن كانوا يقفون منه موقف النقيض باعتبارهم منظمين... ولكن بقدر مايكون دورهم مختلفاً عن دور كبير المديرين،وبقدر ما يقتصر على المشاركة في العمل التقنيّ ، الذي « تحرّر » منه كبير المديرين ، يبهت طابعهم « الروحي » ويقيّم نشاطهم على أنه نشاط « **مادة** » .

من ؟

هراء !

. . . . .

النظام البرجوازي، بوجه عام ، ذو وجهين ...

صحيح أننا لا نجد هذا التحديد القاطع للثنائية إلا في المذهب الديكارتي ،**وهو نظام فلسفي نشأ في مطلع العهد الاقتصادي الجديد** ، وصحيح أن النظم الفلسفية التالية بدءاً من **نظام سبينوزا** أخذت تعلن أن معارضة ديكارت الله بالعالم ، والروح بالجسد تنطوي على تناقض ...

والنظم المادية والوضعية في الفلسفة البرجوازية لا تشهد بدورها ، هي الأخرى ، على الانتصار على وجهة النظر الثنائية . فالفرق بين الميتافيزيكا البرجوازية « والنظرة الايجابية » البرجوازية الى العالم ليس عظيماً بالقدر الذي قد يبدو لاول وهلة ... فهجوم المادية ليس موجهاً ضد المقدمة الاساسية التي تفرضها الميتافيزيكا : **فالمادية لا تحذف مفهوم الارادة المنظمة**.وجلّ ما في الأمر أنه يوجد عندها، وهو يحمل أسماء أخرى،« فالروح » يستبدل مثلاً « بالقوة » .

لاحظ ذلك

في هذا الابتذال لتاريخ الفلسفة نسي تماماً صراع البرجوازية ضد الاقطاعية .

كانت البرجوازية الانكليزية **تدعو في** القرن السابع عشر ، في أيّام « طموحها الجامح » ، **الى نظام** لابدّ أن يُفسر كل ما في العالم بموجبه على أنه حركة جزيئات **مادية** ، وهذه الحركة تتم وفق ضرورة آلية . لقد كانت البرجوازية الانكليزية آنذاك ترسي **اساس الاقتصاد الرأسمالي الكبير . . . فكانت تتصور العالم كله على شكل تنظيم جزيئات مادية تتحد بحكم قوانين متضمنة فيها** .

. . . . .

وقد اغرقت البرجوازية الفرنسية السوق في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بأبحاث فكرية مماثلة . . . ونحن نعرف التركيب الداخلي للمنشأة: إنه سيطرة المادة والعمليّات الآلية . **ومن هنا كان التعميم التالي : الانسان آلة ، والطبيعة آلة** .

ليس من هنا

نضالهم ضد الكهنوتية . لقد شوه شولياتيكوف التاريخ .

. . . ان حركة المادة محكومة بالمادة ذاتها ، او بشكل ادق ، محكومة بقوة المادة (هولباخ). ان الارادة المنظمة ، كما ترون ، قد تغيرت صورتها كثيراً ، لكنها موجودة ويُعترف بضرورتها المحتمة .

. . . لم يكن الحرفيون في فترة « الهجوم والعاصفة» ثوريين . . .

- ٣ -

الديكارتيـــة

... المنظّمون يحتاجون الى منظِم .. ||

. . . .

إن الحلقات المتوسطة من المنظِمين ، أي « النفوس الفردية » ، لا تستطيع أن تقوم بدور المنظِم الا بوجود مركز منظم اعلى . وهذا المركز يستطيع وحده ان يجعلهم في تماس مع **البروليتاريا** ـ« **المادة** »ـ ضمن إطار كل منظَم في اطار منشأة حرفية ما ... || ملاحظة يا له من هراء

البروليتاريا = المادة

... ليس مفهوم ديكارت عن العالم الا تطويراً أبعد لشكل معين من التفكير ، وطريقة معينـــة في تصور الوقائع ، **ونوع معين من جمعها في نفس الانسان** . وقـــد رأينا أن العالم ، في نظام ديكارت الفلسفي ، منظم كتنظيم **المنشأة الحرفية** ... || هراء

. . . .

أمامنا **عبادة العمل الفكري** .

... انا منظِم، وبصفتي هذه لا استطيع ان اوجد الا وانا اقوم بوظائف تنظيمية لا تنفيذية : هذا هو معنى تأكيد ديكارت إذا ما نقل الى لغة العلاقات الطبقية . × ×

. . . .

... ان النظرة العادية الساذجة تتصور العالم الخارجي كما يرسم من خلال المشاعر .

. . . .

... ان مفهوم العامل ، بوصفه سراجاً وحسب، أو منجداً وحسب ، يزول ليحل محله مفهوم العامل بوجه عام . فلا تعود المهنة تشكل « ماهية» القوة العاملة ... و «افكار» افلاطون

... ويقول ديكارت : لا يجوز اعتبار الزمن خاصة من خواص المادة،بل هو « طريقة تفكير »ومفهوم جنسي (نوعي) أنشأهما الفكر ...

. . .

... لقد اصبحت الفلسفة منذ الآن الخادم الامين للراسمالية ... واعادة تقدير القيم الفلسفية صارت تحددها التحركات في الاوساط العليا المنظمة والاوساط الدنيا المنظمة . فوجود منظمين جدد ومنظمين جددمعناه مفاهيم جديدة عن الله والنفس ومفاهيم جديدة عن المادة .

— ٤ —

سبينوزا

. . . .

كل ارتباط بين النفس والجسد لا يتم الا من خلال الله . وكل علاقة بين حالات المنظمين المتوسطة وبين الجمهور المنظم لا تتم الا باذن من المنظم الاعلى .

... **ليست حركة المادة ونشاط النفس الاجاني عملية واحدة** . ولا يمكن التحدث عن أي تأثير متبادل بين النفس والمادة .

التجربة ،الادراك الحسي، شرطلازم، في رأيه، لمعرفة الاشياء ...

. . . .

... ولكن ... عندما توفي سبينوزا رافقت العربة التي تحمل رفاته **زهرة البرجوازية الهولندية في احتفال مهيب** . واذا ما تعرفنا عن **كثب على معارفه ومراسليه** لا نصادف ، من جديد ، زهرة البرجوازية الهولندية وحدها، بل البرجوازية العالمية أيضاً . . . **لقد كانت البرجوازية تكرم** في سبينوزا من غنّاها ومجّدها .

وما فهم سبينوزا للعالم **الا نشيد راس المال المنتصر ،راس المال الذي يلتهم كل شي ويوحد كل شيء** . بدون مادة واحدة وحيدة لا وجود ولا موجودات : وبدون منشآت حرفية ضخمة لا يستطيع المنتجون أن يوجدوا .

لغو صبياني

5

ليبنـــتز

. . . .

إله ليبنتز صاحب منشأة منظمة تنظيماً مثالياً ، وصاحب العمل نفسه منظم ممتاز ...

كلام منمق فارغ

٦

بـــير كلي

كانت مـــادية هوبيس تستجيب لفترة « العاصفة والهجوم » البرجوازية الرأسمالية الانكليزية . لقد مهدت (١
الأرض للحرفية ، ومرت على الحرفيين اوقات أهدأ ، فحل مذهب (٢
لوك التوفيقي محل مادية هوبيس . وكان **الرسوخ المطرد** (٣
لمواقع الحرفية السبب في ظهور اتجاهات معادية للمادية .

لقد فسرت الامور! مادية بدائية على طريقة لوريا

. . . .

« يجب أن يتم جذب العمال ونبذهم دون اي عائق »: ففي المجموعات المدركة لايمكن قطعاً أن تكون أي عناصر **مطلقة . فكل شيء نسبي .**

والنسبية عند اليونان

. . . . .

٧

هيـــوم

. . . قربه من المفكرين الذين سبق ذكرهم في الفصول السابقة امر لا شك فيه . . .

غامض وغير دقيق

. . . إن موقف الريبية الفلسفية الذي وقفه هيوم

يستجيب ، على وجه الدقة ، لمثل هـــذا التصور عن الجهاز الرأسمالي .

يخلط الحابل بالنابل! المثاليـــة والريبيـة وكل شيء عنـــده يستجيب للحرفة ! بسيط الرفيـــق شولياتيكوف، بسيط جداً .

٩

فيخته ، شيلنغ ، هيغل

. . . .

ظهر ما يسمى بنظم المثالية **الموضوعية** ... || ؟ وفيخته

... المثاليون الموضوعيون ... × فيخته ؟

... لكننا نعرف أن **المادة تعتبر** في كل نظم **المفهوم البرجوازي للعالم** أساساً تابعاً حتى عند الماديين الذين يقرون **بوضعه كتابع، مقحمين مع ذلك مفهوم« الثورة»** || هراء || ومفهوم ||| « الحركة » ؟

لم تبق إلا خطوة بين طريقة فيخته القائمة على أساس التناقض وتعاليم شيلنغ عن « القدرة » وبين **ديالكتيك هيغل**.

ولم يبق لنا بعد كل ما قلناه في هذا الفصل عن الطريقة القائمة على التناقض، إلا أن نبدي بعض الملاحظات الإضافية حول هذا الديالكتيك ، **اذ قد اوضحنا « السبب الحقيقي الخفي » للديالكتيك** . يا له من هراء

وجلّ ما فعله هيغل هـو انه برهن بشكل اكمل على نظرية التطور القائم على « التناقض » التي اشار إليها **المثاليان الموضوعيان الآخران ...**

فيخته ـ مثالي موضوعي !!!

. . . .

إن ما اضافه هيغل من جديد يؤكد الحقيقة التالية في ميدان **العلائق « الواقعية »**، وهي ان تباين الوظائف والأدوار **في الصناعة الحرفية** يبلغ ذروته ، حيث يجري | تقسيم | كل جماعة منفذة وكل جماعة منظمة إلى فئات. فتتوزع الوظائف التي كانت من اختصاص جماعة معينة على جماعات متنوعـــة تتشكل من جديد . فكل جمـاعة تتجزأ وتبرز من صفوفها مجموعات جديدة . وايديولوجي اصحاب الحرف يأخذ بالحسبان عملية التجزؤ هذه ، بوصفها عمليـة **تطور داخلي** لهذا «المبدأ» أو ذاك .

)(

يا له من هراء !

. . . . .

ـ ١٠ ـ

انبعاث الفلسفة « الحرفية »

اخذت الفلسفة التأملية تفقد رصيدها في المجتمـع # البرجوازي . والحقيقة أن هذا لم يتم دفعة واحدة . **ولكن الآلة لم تسيطر هي الاخرى على الصناعة دفعة واحدة .**

× يا له من هراء !

كيف نفسر الطابـــع الايجابي للنظم الايديولوجية

الجديدة ؟ أبقانون التناقض وحده ، أو بمجرد السعي الى)(القيام بعكس ماكان « عقيـــدة الامس ؟ . . .

« المجموعات » التي أخذت طابعاً فردياً (ايفان ، بيوتر ، يعقوب) تزول، ويظهر مكانها في الورشات العامل بوجه عام ، وتعود « للمادة » « الصفات » التي انتزعت منها .

ويُرد للمادة اعتبارها من جديد . فيدخل المجتمع × البرجوازي عبادة وثنٍ جديد هو « الوسط » . . . والحقيقة أنه لا ينسى مع ذلك أن المادة تبقى مادة على أي حال ، أي ياله من هراء ! كتلة منظمة لا تستطيع بصفتها هذه أن توجدبدون «قائد» ، فتلحق بالمادة « القوة » ، بوصفهاخصائية في ميدان الواجبات التنظيمية. وتتكاثرالكتب التي تعالج موضوع المادة والقوة ×

. . . . .

إن مقارنة التنظيم الحديث للعامل بالتركيب الداخلي للحرفة يحتم بشكل قبلي الجواب، وهو ان التبدل الجديد في)(يا له من هراء الفهم البرجوازي للعالم يحتم نشوء سمات جوهرية خاصة في فهم العصر الحرفي للعالم . . .

. . . . .

وتذهب الكنطية الجديدة لتحل محلها اساليب في التفكير تعود إلى ما قبل كنط .

فونت

. . . . .

« . . . لا يجوز ابداً فصل الشيء عن التصور ، والتصور عن الشيء » . .

ملاحظة

. . . . .

ترسم المحاكمة السابقة بوضوح كاف فيلسوفاً يضع نصب عينيه محاربة المادية أو « تجاوزها » ، (إذا استعملنا التعبير الشائع الآن) ، دون أن يصرح في الوقت نفسه أنه نصير مدرسة تعتبر عدوة تقليدية للأخيرة (أي المادية) . . .

. . . . .

إن ما يعبر عن مثل هذه الموازاة بين حلقات المنظمين الوسطية وممثلي العمل « الفيزيائي » أي « المنفذين الأدنين » هـــو السعي الهادف إلى اعتبار « الذات » و « الموضوع » ، « النفسي » و « الفيزيائي » ، كلا واحداً « لا يتجزأ » ، وإلى إرجاع التناقض بين الظواهر المذكورة اعلاه إلى وهم معرفي . إن تعاليم افيناريوس المتعلقة بالتناسق المبدئي ، وتعاليم ارنست ماخ حول علاقة ما هو نفسي بما هو فيزيائي ، وتعاليم فونت حول التصوير ـ الشيء ليست كلها الا تعاليم نابعة من نظام ذي طبيعة واحدة .

هـــراء

هذا صحيح ، لكن لم يعبر عنه بشكل صحيح

لا يسعنا إلا أن نقـــر بأن نظرية فونت

الموحّدة لا زالت حتى الآن تنطوي على بعض التماسك. ها ـ ها !
انتقائي .
غير صحيح
كما لا يجوز لنا بالمقابل أن نرتاب في ميوله المثالية .

إن فونت يقفز مثل هذه القفزات بالضبط حين يتبع تعاليمه في « التصورات ـ الأشياء » بمحاكماته حول « التوازي النفسي ـ الفيزيائي » . . .

« الصفات » تتحول الى « مستويات » ، لكن هذا في جوهره اصلاح ذو طابع لفظي اكثر . . .

. . . . .

تؤكد أولوية المبدأ الروحي . . . × صحيح

. . . . .

إن لكل ما هو جسدي نظيره النفسي الملازم له حتماً، فلا يستطيع أي عامل مهما كانت الوظيفة التي يؤديها بسيطة أن ينتج أي شيء ، لا يستطيع أن يستخدم قوة عمله ، لا يستطيع أن يوجد، ما لم يكن تحت « قيادة » مباشرة ودقيقة لمنظم ما . . .

... إلا أن المستوى النفسي ليس إلا مجموعة المنظمين، ولا تعني ملازمة المنظمين « للمستوى الفيزيائي » ، أي للعمال، إلا التبعية .

. . . . .

وعلى هذا فإن على الفلسفة ، في رأي فونت ، أن تتجاوز حدود التجربة « وتكملها ». وعلينا أن نتابع التحليل

الفلسفي حتى نصل إلى فكرة الوحدة التي تشمل كلا المستويين المستقل أحدهما عن الآخر . وما أن يدلي فونت بوجهة نظره هذه ، حتى يسرع بإبداء تحفظ يعتبره هاماً ، إذ يعلن أننا قد نتصور وحدة العالم اما وحدة مادية واما وحدة روحية ، × وليس هناك من حل ثالث . . .

ويرفض فونت أن يطلق على فكرته عن الوحدة الكلية اسم الجوهر (Substance) ، فهو يعرفها على أنها فكرة العقل الخالص ، أي يعرفها بروح كنط . وكما ان إله كنط هو فكرة المبدأ الاعلى اللاجوهري « المكون » كل شيء ، فإن الوحدة الكلية عند فونت هي فكرة كل غير جوهري تستمد منه الظواهر كلها معناها الحياتي وقيمتها الثابتة . وفي ضوء هذه الفكرة تضمحل النظرة « الفارغة والكئيبة » إلى العالم التي ترى جوهر الظواهر الحقيقي في نظامها الخارجي ، وفي ارتباطها الآلي . فتصبح نظرتنا إلى الآلية الكونية وكأنها القشرة الخارجية للنشاط والابداع الروحي .

ويؤكد فونت في الوقت نفسه بقوة على عنصر مطابقة الواقع . فيرجع فكرة الوحدة الكلية وأساس العالم إلى * فكرة الإرادة الكلية . . .

ونسمح لأنفسنا بعدم الاسترسال في تحليل ما يقترحه هراء! وشوبنهور؟ من صيغ ، كما لن نأخذ في شرح نظريته في الارادية . . .

. . . .

. . . وبالتالي لا يستطيع ايديولوجيو الطليعة

المعاصرة للبرجوازية الرأسمالية أن يتحدثوا عن أي مبادىء « دائمة » منظّمة ، بل بالعكس ، عليهم أن يصفوا هـــذه المبادىء بأنها شيء متبدل إلى أقصى درجـة ، شيء يوجد دائماً وأبداً في حالة حركة .

- ١٢ -

التجربة الانتقادية

... لم يكن لنقد فونت قوّة مدمّرة ، لأنـه **كان يوجه ضرباته الى هدف خيالي** . ولم يكن ما عرضه فونت والردّ الذي تبعه من معسكر تلاميذ أفيناريوس(*) ، يمثلان **صدام مفهومين عن العالم** لطبقتين مختلفتين أو فئتين ضخمتين من طبقة واحدة ، **اذ ان الفرق الطفيف** نسبياً بين نموذجين من أحـدث التنظيمات الرأسمالية ، أحدهما اكثر تقدميـة من الآخر بقليل ، كان في هذه الحالة السبب الاجتماعي والاقتصادي الحقيقي لهذا التنافس الفلسفي ...

غير دقيق

صحيح !

صحيح

. . . . .

... وعلينا أن نقول اكثر من ذلـــك ، وهو انه يتوجب علينا أن نفهم فلسفة التجربية الانتقادية على أنها تمجيد **للفكرة التي ذكرناها** قبل أي شيء آخر . **فما مفهوم التبعية الوظيفية الا نفي للسببية** ...

هل هذا صحيح ؟؟

(*) أول من أشار الى ذلك هو كارستانيان .

ثم تبعه ويلي وبيـولدوكلينبيتر

... وعلينا أن نعترف **بأن استنتاج غيفدينغ** صحيح بوجه عام . وعيبه الوحيد هو استشهاده « بعلل الغائية » . فهذه العلل ضبابية وغير محدّدة .

بالطبع، لكن هذا لا يستتبع بالضرورة ان الوظيفية لا يمكن ان تكون نوعاً من السببية .

إن افيناريوس لم يقم ، في هذه الحالة ، **الا بتنازل للتعابير المادية** ، وهو تنازل حتمه وضعه الاجتماعي ... **كان يمكن لافكار اصحاب نظرية « التوازي » ان تبدو افكاراً مادية للكثيرين بالمقارنة مع النظرية الروحية العامية .**

حقاً ؟

ويمكننا ان نقول الشيء نفسه بالنسبة للتجربية الانتقادية . **فامكانية تقريبها من المادية امكانية عظيمة بشكل خاص . وقد تكوّن راي في اوساط واسعة من القراء يرى في التجربية الانتقادية واحدة من المدارس المادية .**

هِمْ !

كذب !

ونستطيع أن نقول اكثر من ذلك، وهو أنه حتى الاخصائيون في الفلسفة يحكمون حكماً خاطئاً عليها : فشيخ الفلسفة الحديثة نفسه فونت **سماها « مادية »** وأخيراً ، وهذا أهم ما في الأمر ، فإن التجربيين الانتقاديين ، **وهم يعرضون عن المادية** ، يستعملون في الوقت نفسه تعابيرها أحياناً ، لا بل يأخذون في التردّد في نظراتهم المعادية للمادية ...

لماذا ؟ انت لم تفهم ذلك ! آ !

هـذا هو السبب الحقيقي الذي أوحى للتجربيين الانتقاديين فكرة تصنيف المعرفة الانسانية استناداً إلى مبدأ التصنيف « البيولوجي » . لكننا نكرر **انه ليس بين المادية وبين مثل هذه البيولوجيا اي قاسم مشترك ...**

. . . . . (*)

... إن المنظم التابع ، إذا أخذنا بوجهة نظره « المطلقة » ، أي إذا نظرنا إليه بوصفه منظماً غير تابع « لإرادة » تحكمه، لا يرى في العمال أمامه، هو أيضاً ، إلا « شيئاً » أو « جسماً » . ولكن لنأخذ حالة أخرى : إن المنظم التابع ليس، بالنسبة « للإرادة » الأعلى منظماً فقط بل منظماً ... « فالشيء » السابق ، الذي يتحول الآن إلى « ذات » ، « ينظم » المادة : فالانسان يستوعب الشجرة لكنها شجرة « قد تبدّلت »، إنها تصور عن الشجرة ...

آه ، كلام يثير الريبة! توضيحات رخيصة دون تحليل لجوهر الموضوع !

. . . . .

... إن تعاليم افيناريوس المتعلقة **بالتناسق المبدئي** تؤكد هي أيضاً « كمال التجربة الانسانية » ...

... إن « المستويات » ، عند افيناريوس كما عند فونت ، غير متناسبة في الحقيقة ...

وبدلاً من الفهم المادي للعالم الذي كان علينا أن نتوقعه، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار التصريحات القاطعة حول « كمال التجربة » ، نرى أن ما يبرز أمامنا هو آراء تشهد **بتعاطف التجربية الانتقادية مع المثالية** ...

لكن فونت وأفيناريوس يفترقان في بنائها المثالي . ففي حين يبدي صاحب « نظام الفلسفة » ميلاً إلى « الكنطية »،

(*) رودلف فلاسلك . وقد ذكره ماخ في كتابه « تحليل الأحاسيس » .

يعرب مؤلف « المفهوم الانساني عن العالم » عن آراء تقربه من الموقف الذي كان يقفه بركلي في وقت ما . | حقاً !

ونسرع فنبدي تحفظنا قائلين إننا لاننوي أبداً التأكيد أن مؤلفات أسقف كلون حددت وجهة نظر افيناريوس وأنها أثرت تأثيراً مباشراً فيه . لكن التشابه في مواقف الفيلسوفين المثالية أمر لا شك فيه . ويشهد على هذا التشابه ما ذكرناه سابقاً من نظريات حول التناسق المبدئي مأخوذة ككل . حقاً !

إن افيناريوس يطرح القضية بنفس الوضوح الذي طرحها به بركلي : لا وجود للأشياء خارج الذات . فكل شيء يجب أن « يرتبط » حتماً بالجهاز العصبي المركزي الذي يلعب دور المركز الوظيفي . . . | وهنا أيضاً نلحظ عدم فهم شوليا تيكوف!

. . . إن « القائد » الأعلى لا يوجد لا في صورة فكرة كنطية عن العقل ، ولا في «شكل» كنطيّ ، ولا في صورة « وحدة كلية » فونتية . إلا انه موجود ، وهو ، إلى ذلك ، العنصر الأساسي في النظام الفلسفي . والظواهر كلها ينظر إليها من وجهة نظره بالضبط . ويشهد على وجوده« غير المرئي» التقدير السامي للمبدأ المنظم ، هذا التقدير الذي يقترن بالتصور عن المنظمين المنظمين . وفي تلك اللوحة العامة للعالم التي ترسمها محاكمات افيناريوس يبرز بالدرجة الأولى الطابع المنظم للعوامل المنظمة . . . حسن ! هم ؟ هم ؟

إن العالم ، كما يبدو لأفيناريوس ، كتلة من الأجهزة العصبية المركزية . « فالمادة » فاقدة أي صفات سواء كانت « أولية » أو « ثانوية » ، وهي الصفات التي كانت تعتبر فيما مضى جزءاً لا يتجزأ من المادة. إن الروح ، **او الجهاز العصبي المركزي حسب** تعبير صاحب « نقد التجربة الخالصة » ، هو الذي يحدّد بشكلٍ قاطع كل شيء في المادة . . .

سوء فهم

إن مؤلف « نقد التجربة الخالصة » يطبق بتماسك كبيرٍ وجهة **نظر المثالية على طريقة بركلي** .

ملاحظة

. . . تعاليم ماخ **عن «الانا» بوصفها رمزاً منطقياً** .

إن ماخ ، كأفيناريوس ، يعرف مستويين : النفسي والفيزيائي (**نوعين من اتحاد العناصر**) . وهذان المستويان ، عند ماخ كما عند افيناريوس ، غير متناسبين ، ولا يمثلان في الوقت نفسه إلا **وهم تفكيرنا، فتارة تبرز الى المقام الاول وجهة النظر الموحدة وطوراً وجهة النظر الثنائية** ، وبالتالي فإن الحلقات المتوسطة توصف تارة بأنها مبدأ منظم وطوراً بأنها مبدأ منظم . ويعلن ماخ ، كما يعلن أفيناريوس ، « دكتتورية الإرادة المنظمة » في نهاية الأمر . **وترسم لوحة تتصف بالمثالية ، فاذا العالم مجموعة من « الاحساسات »** .

سوء فهم

اليس كذلك!

. . . لا يمكننا أن نقول إن اعتراض ماخ اعتراض ناجح . فالمفهوم الرئيسي في نظامه الفلسفي ، وهو مفهوم **«الاحساس» الشهير** ، ليس نفياً للمبدأ المنظم فقط ، بل للمبدأ المنظم الأعلى أيضاً . . . إن مافرض على ماخ نقد فكرة «الأنا»

سوء فهم

هو نظرته الى المنظمين التبعين بوصفهم كتلة منظمة .. هراء

. . . . . .

. . . كان باستطاعتنا أن نعرض بالتحليل لأفكار ممثلين مرموقين للفلسفة الأوروبية الغربية الحديثة **كرينوفيي وبريدلي** أو **برغسون** بالإضافة إلى تحليل فلسفة فونت وأفيناريوس وماخ . . . لاحظ ذلك

إن الفلسفة هي القلعة الحقيقية للايديولوجيا البرجوازية . ×

وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار ان الايديولوجيين البرجوازيين يقظون ، ويوطدون مواقعهم . لا بل انهم مقتنعون الآن بأن مواقعهم حصينة لا يمكن اقتحامها . والميول المثالية لبعض الأدباء الذين يسيرون تحت اعلام الماركسية تخلق بدورها تربة ملائمة تماماً لمثل هذه القناعة .

- ١١ -

فونت أوستوالد غير موجود في الكتاب

الكتاب كله مثال على ابتذال لا حدود له للمادية . فبدل التحليل المشخص للعهود والبنى والايديولوجيات نرى جملاً عارية عن «المنظمين» ، ومقارنات غير صحيحة تبلغ حدود اللامعقول ، ومبطوطة حتى لتثير السخرية .

إنه تشويه للمادية على امتداد التاريخ ، وهذا أمر مؤسف ! لأننا نرى في الكتاب سعياً نحو المادية . .

« البولشفيك » عدد ١٥
نشرت لاول مرة في الاول من آب عام ١٩٣٧

- ٢ -

ذِكْرَيات عَن لينين

أ. ام. أفدليانوفا اليزاروفا

من « ذكريات عن ايليتش »

... استقر في ذاكرتي حديث مع فالوديا دار حول قصة تشيخوف الجديدة التي نشرت ذلك الشتاء في احدى المجلات وهي قصة « الغرفة رقم ٦ » . كان فالوديا ممن يحبون تشيخوف . وقد عبر في معرض حديثه عما في هذه القصة من موهبة ، وعن الانطباع القوي الذي تتركه ، أفضل تعبير بالكلمات التالية : « عندما فرغت البارحة مساء من قراءة هذه القصة شعرت بضيق عظيم ، ولم يعد بوسعي أن أبقى في غرفتي ، فنهضت وخرجت منها . كان لدي احساس وكأني أنا الآخر مسجون في الغرفة رقم ٦ » . حدث هذا في ساعة متأخرة من الليلة الماضية . كان الجميع قد تفرقوا كل الى مكانه أو ناموا . ولم يكن هناك من يستطيع أن يتحدث اليه .

وكشفت لي كلمات فالوديا هذه عن حالته النفسية : فقد أصبحت سامارا بالنسبة له مكاناً يشبه « الغرفة رقم ٦ »، وكان ، كالمريض التعس في قصة تشيخوف تقريباً ، يتحرق على الخروج منها . وقرر باصرار مغادرتها في الخريف القادم ...

ذكريات أقرباء ف. ا. لينين عنه

ص ٣٦

ن. ك. كروبسكايا

من كتاب

« ذكريات عن لينين »

١٨٩٩ . شوشسكويي

... كان فلاديمير ايليتش يقرأ في المساء عادة كتباً في الفلسفة لهيغل وكنط والماديين الافرنسيين، ثم يتحول الى قراءة بوشكين وليرمنتوف ونيكراسوف عندما يأخذ التعب منه كل مأخذ .

عندما ظهر فلاديمير ايليتش في بطرسبرغ للمرة الأولى ، لم اكن اعرف عنه شيئاً الا من خلال أحاديث الناس عنه . فقد سمعت من ستيبان ايفانوفتش رادتشينكو أن فلاديمير ايليتش يقرأ الكتب الرصينة الجادة فقط ، وأنه لم يقرأ في حياته رواية واحدة قط ، فأخذني العجب . ولم نتطرق في أحاديثنا مرة الى هذا الموضوع ، عندما تعرفت عن قرب فيما بعد على فلاديمير ايليتش . ثم عرفت في سيبيريا فقط ان كل ما سمعته عن هذا الموضوع كلام فارغ . فقد كان فلاديمير ايليتش يقرأ تورغنيف وتولستوي ورواية تشرنيشفسكي « ما العمل ؟» ، بل لقد اعاد قراءتهم عدة مرات . فقد كان يعرف الكتاب الكلاسيكيين معرفة رائعة وكان يحبهم. وعندما أصبح البلاشفة في مراكز السلطة، وضع أمام دار نشر الدولة مهمة اعادة نشر الكلاسيكيين في طبعات رخيصة. وكانت صورتا زولا وغرتسن

وبعض صور تشرنيشفسكي موجودة في ألبوم فلاديمير ايليتش بالاضافة الى صور الأقرباء والمنفيين القدامى .

١٩١٢ – ١٩١٣ . كراكوف

... كانت اينيسا موسيقية جيدة . وكانت تحرضنا كلنا على الذهاب الى الحفلات الموسيقية التي تقدم مقطوعات لبيتهوفن . وكانت هي نفسها تعزف بشكل جيد جداً مقطوعات كثيرة لبيتهوفن . كان ايليتش يحب « السونات الباتيتيك » (العاطفية) بشكل خاص ، ويطلب منها بشكل دائم أن تعزفها له فقد كان يحب الموسيقى . وبعد ذلك ، في أيام الحكم السوفياتي ، كثيراً ما كان يذهب الى تسوروب ليصغي الى موسيقي معروف وهو يعزف هذه المقطوعة . كنا نتحدث كثيراً في شؤون الأدب .

١٩١٦ – زيوريخ

... عندما قرأت كتاب جون ريد « ابنة الثورة » بعد ذلك ، أعجبني كثيراً أن ريد لم يرسم المومسات من وجهة نظر مهنتهن أو انطلاقاً من مسائل الحب ، بل من وجهة نظر اهتماماتهن الأخرى . فعندما يرسم « القاع » عادة ، لا يعار الوضع الحياتي اهتماماً كبيراً .

وعندما شاهدت مع ايليتش في روسيا بعد ذلك مسرحية غوركي « في القاع » في المسرح الفني – وكان فلاديمير ايليتش يرغب كثيراً في رؤيتها – لم يعجبه « التصنع المسرحي » في الاخراج ، وفقدان الاشياء الحياتية الصغيرة التي « تصنع الموسيقي » ، كما يقال ، والتي ترسم الوضع بكل ما فيه من تشخيص .

ماذا كان يعجب ايليتش من الادب ؟

قال لي الرفيق الذي عرفني على فلاديمير ايليتش للمرة الاولى ، ان ايليتش انسان عالم لا يطالع الا الكتب العلمية ولم يقرأ في حياته رواية واحدة كما لم يقرأ

الشعر أبداً . وأخذ مني العجب كل مأخذ . فقد طالعت شخصياً في شبابي مولفات الكلاسيكيين كلهم ، وكنت أعرف عن ظهر قلب مؤلفات ليرمنتوف كلها وغيره تقريباً ، ودخل كتّاب ، كتشرنيشفسكي وتولستوي وأوسبنسكي ، حياتي عنصراً له شأنه . فبدا لي من الغريب أن أجد انساناً لا يهمه هذا كله في شيء .

ثم عرفت ايليتش عن قرب اثناء العمل ، وعرفت كيف يقدر الناس، وراقبت كيف ينظر بتمعن الى الحياة والى الناس، فاذا بإيليتش الحي يزيح صورة ذلك الانسان الذي لم يأخذ في يده أبداً كتباً تحكي عما يحياه البشر .

لكن الحياة سارت آنذاك على نحو لم يسمح لنا بوقت فراغ نتحدث خلاله في هذا الموضوع . لكني عرفت فيما بعد ، ونحن في سيبريا ، ان ايليتش قرأ الكلاسيكيين لا أقل مما قرأت ، ولم يقرأهم فحسب، بل أعاد قراءة تورغنيف مثلاً أكثر من مرة . وكنت قد حملت معي إلى سيبريا مؤلفات بوشكين وليرمنتوف ونيكراسوف ، فوضعها لينين قرب سريره الى جانب كتب هيغل، وكان يعيد قراءتها في المساء المرّة تلو الأخرى . كان بوشكين أكثر من أحب . لكنه لم يكن يقدر الشكل وحسب ، بل أحب ، مثلاً ، رواية تشرنيشفسكي « ما العمل ؟ » على الرغم من شكلها الساذج الضعيف فنياً . وقد دهشت للانتباه الذي قرأ به هذه الرواية ، وللفروق البالغة الدقّة التي لاحظها في الرواية . وعلى أي حال ، كان يحب شخصية تشرنيشفسكي كلها ، وكان ألبومه السيبيري يضم صورتين لهذا الكاتب ، كتب ايليتش بيده على احداها عام ولادة الكاتب وعام وفاته . كما كان البوم ايليتش يضم صورة لزولا وصورتين لغرتسن وبيساريف من من الكتاب الروس. لقد طالع فلا دمير ايليتش في حينه مؤلفات بيساريف وأحبها كثيراً . واذكر أنه كان عندنا هناك ، في سيبيريا « فاوست » غوته باللغة الألمانية وديوان شعر لهايني .

وعندما عاد فلا ديمير ايليتش من سيبيريا ، ذهب مرّة الى المسرح في موسكو وشاهد « سائق العربة هنشل » ، وقال فيما بعد إن هذه المسرحية اعجبته كثيراً .

وفي مونيخ اذكر أن رواية غرهار « عند الماما » ورواية بولنتس «الفلاح» كانتا من بين الكتب التي اعجبته كثيراً .

ثم طالع ايليتش فيما بعد ، اثناء الهجرة الثانية في باريس ، قصائد فكتور هيغو « Chatiments » (القصاص) المكرسة لثورة عام ١٨٤٨ بكل رضى : وقد نظم هيغو هذه القصائد وهو في المنفى ، وكانت تنقل إلى فرنسا سراً . وفي هذه القصائد قدر كبير من التزويق الساذج، لكن المرء يحس فيها مع ذلك بنبض الثورة . كان يطيب لا يليتش أن يذهب إلى المقاهي المختلفة وإلى المسارح في ضواحي المدينة ليستمع إلى مرتجلي الاغنيات الثورية ، وهم يغنون في احياء العمال عن كل شيء : كيف ينتخب الفلاحون السكارى محرضاً عابراً نائباً في المجلس ، عن تربية الأطفال ، وعن البطالة الخ... وكان مونتيغوس يعجب ايليتش بشكل خاص . كان مونتيغوس ، وهـــو ابن رجل من رجال الكومونة ، حبيب الضواحي العمالية. صحيح أن اغانيه المرتجلة الملونة دوماً بألوان حياتية ساطعة لم تكن تنطوي على أي ايديولوجيا واضحة المعالم إلى حد ما ، إلا انها كانت تنمّ عن ولع صادق. وكثيراً ما كان ايليتش يدمدم بتحيته للفوج السابع عشر الذي رفض إطلاق النار على المضربين .

« Salut, Salut à vous, soldats du 17 - me »

« تحية ، تحية لكم ، يا جنود الفوج السابع عشر » .

وذات مرّة تحدث ايليتش إلى مونتيغوس في احدى الامسيات التي كان يقيمها الروس . والغريب أن هذين الشخصين المختلفين شديد الاختلاف (فقد

التحق مونتيغوس بمعسكر الشوفينيين عندما اندلعت الحرب فيما بعد) أخذا يحلمان بالثورة العالمية . هكذا يحدث أحياناً : يلتقي في عربة قطار أناس لا يعرف بعضهم بعضاً إلا معرفة قليلة ، ويأخذون في الحديث ، على وقع عجلات القطار ، عن اعز أمانيهم ، عما قد لا يبوحون به في وقت آخر ، ثم يتفرقون كي لا يلتقوا بعد أبداً في الحياة . وهكذا كان . ناهيك عن ان الحوار جرى باللغة الفرنسية . والحلم بصوت ، مسموع بلغة اجنبية ، اسهل منه باللغة الام . كانت تأتينا خادمة فرنسية لمدة ساعتين . وسمعها ايليتش ذات مرة تدمدم اغنية . كانت الاغنية الزاسية . وطلب ايليتش ان تغنيها له وتملي عليه كلماتها . وكثيراً ما اخذ يغني هو نفسه الاغنية بعد ذلك . كانت الاغنية تنتهي بما يلي :

Vous avez pris l'Alsace et la Lorraine .
Mais malgré vous nous resterons français .
Vous avez pu germaniser nos plaines ,
Mais notre cœur - vous ne l'aurez jamais !

« اخذتم الألزاس واللورين . لكننا سنبقى فرنسيين رغماً عنكم . لقد استطعتم ان « تجرمنوا » سهولنا ، لكن قلوبنا لن تكون لكم ابداً ! » (*)

كان هذا العام عام ١٩٠٩ ، وكان الزمن زمن الرجعية . كان الحزب مهزوماً ، لكن روحه الثورية لم تكن محطمة ، فإذا بهذه الاغنية تجد صداها في مزاج ايليتش . كان على المرء ان يسمع كيف تتردد كلمات الاغنية على شفتيه ظافرة :

Mais notre cœur - vous ne l'aurez jamais !

في تلك السنوات ، التي كانت اقسى سنوات الغربة والتي كان ايليتش يتحدث عنها دائماً بشيء من المرارة ، (ردد ذات يوم ، عند ماعاد إلى روسيا ،

(*) يوردلينين في مجلة « سابرن » « مؤلفات ، طبعة خاصة ، ج ٢٤ ص ١٨٤ » نهاية هذه الاغنية كما ترجمها هو : « اخذتم الزاسناولوريلنا ، وفي وسعكم أن تجرمنوا سهولنا ، لكنكم لن تملكوا قلوبنا أبداً ، أبداً » « هيئة التحرير »

ما قاله اكثر من مرة من قبل « ولماذا تركنا آنذاك جنيف إلى باريس ؟ ») في هذه السنوات القاسية ، كان يصر على ان يحلم ؛ كان يحلم وهو يتحدث إلى مونتيغوس وكان يحلم وهو يغني بظفر اغنية الألزاس ، او وهو يطالع فرهارن في ليالي أرقه .

واولع فلاديمير ايليتش فيما بعد ، إبان الحرب ، بكتاب هنري باربوس (النار) وكان يعيره اهمية عظيمة . فقد كان هذا الكتاب يتوافق إلى درجة كبيرة مع مزاجه آنذاك .

نادراً ما كنا نذهب إلى المسرح . وعند ما كان يحدث ان نذهب ، كانت تفاهة المسرحية ، او زيف التمثيل ، ترهق اعصاب فلاديمير ايليتش. كنا نذهب إلى المسرح ، ونغادره بعد الفصل الأول عادة . كان الرفاق يسخرون منا قائلين إننا ننفق اموالنا عبثاً .

لكن ايليتش بقي مرة واحدة حتى نهاية المسرحية . حدث هذا ، على ما يبدو ، في اواخر عام ١٩١٥. كانت مسرحية ليف تولستوي « الجثة الحية » تعرض آنذاك في برن . وعلى الرغم من ان الحوار كان يدور باللغة الألمانية ، إلا ان الممثل ، الذي كان يقوم بدور الأمير ، كان روسيا واستطاع ان يؤدي فكرة تولستوي وتابع ايليتش التمثيل بانفعال وتوتر .

وها نحن اولاء في روسيا اخيراً . كان الفن الجديد يبدو لإيليتش غريباً ، غير مفهوم . ودعينا ذات مرة لحضور حفلة موسيقية اقيمت في الكرملين لرجال الجيش الأحمر . اقتيد لينين إلى الصف الأول . كانت الممثلة غزوفسكايا تلقي بعض شعر مايا كوفسكي : « إلهنا الركض ، وقلبنا طبلنا » . واندفعت الممثلة مباشرة نحو ايليتش ، لكنه ظل جالساً لا يفقه ما يجري وقد اربكته المفاجأة قليلاً . ثم

تنفس الصعداء ، عند مـــا حل محل غزوفسكايا ممثل آخر القى قصة تشيخوف « سيء النية »

واراد ايليتش ذات مساء ان يرى كيف يعيش الشباب في الكومونة . فقررنا ان نزور صاحبتنا الطالبة في فخوتياس فرفارا آرمند . كان هذا، على ما اظن، في يوم جنازة كروبوتكين ، عام ١٩٢١ . كان هذا العام عام جوع ، لكن الشباب كان يزخر بالحماسة . كان طلبة المعهد ينامون على الواح خشبية تكاد تكون عارية ، وكان الخبز يعوزهم . وقال العضو المناوب في الكومونة بوجه مشرق « ولكن عندنا مجروش الحبوب» ، ومن هذا المجروش طبخ الطلاب لإيليتش عصيدة.

كان ايليتش ينظر إلى الشباب ، إلى الوجوه المشرقة ، وجوه الرسامين والرسامات الشباب المحيطين به ، فإذا بسرورهم ينعكس على وجهه هو ايضاً . كانوا يعرضون عليه رسومهم الساذجة ، ويشرحون له فكرتها ، وينهالون عليه بالاسئلة . اما هو فكان يضحك ويتهرب من الإجابة ويرد على اسئلتهم باسئلة اخرى : « ماذا تقرؤون ؟ هل تقرؤون بوشكين ؟» وصاح احدهم : « كلا ، كان برجوازياً ، نحن نقرأ مايا كوفسكي» . وابتسم ايليتش قائلاً : « في رأيي ، بوشكين أفضل » . ثم تحدث بكلمات أرق عن مايا كوفسكي . فقد تذكر ، لدى سماعه هذا الاسم ، شباب « فخوتياس » الممتلئين حياة وفرحاً ، المستعدين للموت في سبيل السلطة السوفيتية ، والذين لا يجدون في اللغة المعاصرة من الكلمات ما يعبرون بها عما يعتمل في نفوسهم ، والذين يبحثون عن هذا التعبير في قصائد مايا كوفسكي العسيرة الفهم . وقد مدح ايليتش ذات مرة فيما بعد مايا كوفسكي على شعره الذي يسخر فيه من البيروقراطية السوفيتية . ومن بين المؤلفات العصرية اذكر ان ايليتش اعجب برواية اهرنبورغ التي تصف الحرب. فقد قال لي بلهجة ظافرة: «أوتعرفين؟ لقد أجاد ايليا الأشعث الشعر (وهو لقب اهرنبوغ) » .

ذهبنا بضع مرات إلى المسرح الفني . ذهبنا لمشاهدة « الطوفان » . وقد اعجب ايليتش بالمسرحية اعجاباً شديداً ، وأراد ان يذهب في اليـــوم التالي إلى المسرح حيث كانت تعرض مسرحية غوركي «في القاع». كان ايليتش يحب الكسي مكسيموفتش انساناً شعر نحوه بقرابة في مؤتمر لندن ، ويحبه فناناً . كان يرى ان غوركي فنان يستطيع ان يفهم الكثير من نصف كلمة . كان ايليتش يتحدث إلى غوركي في صراحة خاصة . وغني عن البيان ان ايليتش كان ، لهذا السبب ، متطلباً بنوع خاص ومتشدداً فيما له علاقة بتمثيل مسرحية غوركي . إلا ان الاخراج المفرط في تصنعه المسرحي اغاظه . وعدل عن الذهاب إلى المسرح مدة طويلة بعد ذلك . لكننا ذهبنا مرة بعد ذلك ، لسبب ما ، لحضور مسرحية تشيخوف « الخال فانيا » ، وقد اعجبته . وذهبنا للمرة الأخيرة إلى المسرح عام ١٩٢٢ لمشاهدة « جد جد على الموقد » من تأليف ديكنز . بعـــد الفصل الأول بالذات تملك ايليتش الضجر ، واخذت عاطفية ديكنز التافهة تثير اعصابه . ثم لم يتمالك نفسه ، فخرج من منتصف الفصل عندما بدأ حوار صانع اللعب العجوز مع ابنته العمياء .

وها نحن اولاء في الأشهر الأخيرة من حياة ايليتش . كنت أقرأ له المؤلفات الأدبية بناء على طلبه وقبيل المساء عادة . قرأت شيدرين و « جامعاتي » لغوركي ، كان ايليتش يحب ، بالإضافة إلى ذلك ، ان يسمع الشعر وخصوصاً شعر دميان بيدني . لكن شعر بيدني الحامي كان يعجبه اكثر من شعره الهجائي.

عندما كنت أقرأ له الشعر احياناً ، كان ينظر من النافذة الى الشمس الغاربة وهو مستغرق في التفكير . واذكر قصيدة تنتهي بالبيت التالي : « ابداً ، ابداً لن يصبح رجال الكومونة عبيداً » .

كنت اقرأ وكأني أقسم لايليتش : ابداً ، ابداً لن نســـلم بأي من مكتسبات الثورة .

وقبل وفاته بيومين قرأت له في المساء قصة جاك لندن «حب الحياة» — وهي لا تزال حتى الآن على الطاولة في غرفته . انها لقوية جداً هذه القصة . عبر صحراء من الثلج لم تطأها قدم انسان بعد ، يمضي رجل مريض يموت جوعاً نحو رصيف على نهر كبير . قواه تخور شيئاً فشيئاً : انه لا يمشي بل يزحف، والى جانبه يزحف ذئب يموت جوعاً هو الآخر . ويحتدم بينهما صراع ، وينتصر الرجل ثم يصل الى هدفه وهو نصف ميت ، نصف مجنون . اعجبت هـــذه القصة ايليتش اعجاباً خارقاً . وطلب مني في اليوم التالي أن اواصل قصص لندن . لكن الاشياء القوية عند جاك لندن تختلط بأشياء في غاية الضعف . وكانت القصة التاليـــة من نوع آخر تماماً ؛ كانت مشبعة بالأخلاق البرجوازية : وعد أحد الربابنة صاحب سفينة مشحونة بالحبوب ان يصرف الحبوب بأسعار رابحة ؛ ويضحي الربان بحياته كي يفي بوعده فقط . ضحك ايليتش وأشاح بيده .

ولم يتأت لي بعد ذلك أن اقرأ له ابداً . .

ذكريات عن لينين لاقربائه (طبعة عام ١٩٥٥)
ص ١٩٢ — ١٩٧

من مقال

« لينين وتشرنيشفسكي »

...بودي أن أتوقف قليلاً عند تفصيل صغير ، هو ان فلاديمير ايليتش يشير في كتابه « من هم اصدقاء الشعب » ... الى ان كاوتسكي كان محقاً وهو يتكلم على تلك الفترة التي عاش فيها تشرنيشفسكي ، والتي كان فيها كل اشتراكي شاعراً وكل شاعر اشتراكياً . كان فلاديمير ايليتش يقرأ الأدب ويدرسه ويحبه . لكن شيئاً واحداً كان يميز فلاديمير ايليتش وهو انه كان يعتبر المعالجة الأدبية والتصوير الفني للواقع وحدة لا تتجزأ ، فلم يكن يفرق بين هذين الأمرين . وكما ان افكار تشرنيشفسكي انعكست انعكاساً كاملاً في مؤلفاته الأدبية ، كذلك كان لينين وهو يختار الكتب الادبية . فقد كان يحب بشكل خاص الكتب التي تنعكس فيها هذه الافكار الاجتماعية او تلك فنياً بشكل ساطع ...

ذكريات عن لينين

طبعة عام ١٩٣١ ص ١٨٦

من مقال

لينين وغوركي

كان فلاديمير ايليتش يقدر غوركي ، بوصفه كاتباً ، تقديراً رفيعاً . وكانت تعجبه بنوع خاص « الأم » ، ومقالات غوركي في « نوفايا جيزن » عن البرجوازية الصغيرة (كان فلاديمير ايليتش نفسه يبغض كل ما هو برجوازي صغير ، تافه وضيق الأفق)، كما كانت تعجبه مسرحية «في القاع» واغنية الصقر ونذير العاصفة والروح التي كتبت بها . وكان يحب من مؤلفات غوركي « ستة وعشرون رجلاً وامرأة واحدة » وغيرها .

اذكر كيف استبدت بايليتش ذات مرة الرغبة في الذهاب الى المسرح الفني لمشاهدة « في القاع » . واذكر كيف كان يستمع الى « جامعاتي » في الأيام الأخيرة من حياته .

كتب غوركي، اكثر ما كتب، عن العمال، عن فقراء المدن ،عن الذين يعيشون « في القاع » ، عن تلك الفئات التي كانت تثير اكثر من غيرها اهتمام ايليتش . كان يصف الحياة كما هي ، بكل ما فيها من تشخيص ، وكان يراها بعيني انسان يبغض الظلم والاستغلال والتفاهة وهزال الفكر ، كان يراها بعيني انسان ثوري . وكان كل مايكتبه غوركي قريبا الى قلب لينين، وكان يتفهمه .

وكان لينين نفسه يمعن النظر في الحياة وبأشيائها الصغيرة كلها . ولقد أشار

غوركي ، في احدى رسائله الي (عام ١٩٣٠) ، الى هـــذه القدرة في ايليتش ، القدرة على ملاحظة الأشياء الصغيرة وادراك معناها .

ويقول الكسي مكسيموفتش في الرسالة نفسها : « كان، وهو يتحدث الي في كابري في ادب تلك السنوات ، يصف كتّاب جيلي وصفاً دقيقاً يبلغ حد الروعة ، كاشفاً بيسر ودون رحمة عن ماهية كل منهم » .

كان ايليتش على معرفة جيدة بالأدب الروسي الذي كان بالنسبة له اداة لمعرفة الحياة . وبقدر ما تعكس المؤلفات الأدبيـــة الحياة بشكل اتم واكمل واعمق ، وبقدر ما تكون بسيطة ، كان تقديره لها اكبر .

تعرف فلاديمير ايليتش على غوركي عن قرب عام ١٩٠٧ في مؤتمر لندن الحزبي ، وراقبه هناك ثم تحدث اليه قليلا فنشأت بينهما قرابة روحية . شيقة هي رسائل ايليتش الى غوركي ابان الهجرة الثانية . ففي هذه الرسائل تظهر صورة ايليتش انساناً بسطوع خاص ، إذ يكتب له فيها بصراحة حادة عما يختلف فيه معه ، وعما يشغله ويقلقه . هكذا كان ايليتش يكتب عادة لرفاقه ، لكن رسائله الى غوركي تحتوي على لهجـــة خاصة . فكثيراً ما كان يكتب بشكل حاد ، لكنه يوجد في هـذه الحدة نفسها نوع من الرقة الخاصة . كان ايليتش يكتب رسائله دائماً وهو لا زال تحت تأثير الانطباع المباشر عن حادثة ما ، وكان فيها كثير من الانفعـــال، اذ تعكس بوضوح قلقه ووطأة بعض انفعالاته ومزاجه وآماله . وكان يتهيأ لايليتش أن غوركي سيفهم هذا كله فهماً جيداً تماماً . وكان ايليتش يود ايضاً اقناع غوركي في صحة آرائه ، فكان يدافع عنها بحرارة .

ويتضح من رسائل لينين اهتمامه بغوركي . ونعرف جميعاً مدى الاهتمام الذي كان يبديه ايليتش في علاقته بالناس ومدى عنايته بهم . وقد كتب الكسي مكسيموفتش اكثر من مرة في هذا الموضوع . ولقد اشار الجميع الى هذه الناحية.

كانت صحة الكسي مكسيموفتش تثير قلق ايليتش ، فكان دائم السؤال

عنها ، ينصحه بضرورة الذهاب الى اطباء من الدرجة الأولى ومراعاة « الرجيم » وعدم العمل ليلا .

كان لينين في الغربة يأخذه الضيق لأن الفرص لم تكن تتيح له ان يرى العمال إلا قليلا . صحيح ان كثيراً من العمال كانوا في الغربة ، الا انهم كانوا يتدبرون عملا بسرعة ويأخذون يعيشون اهتمامات محلية ، افرنسية او سويسرية، وكانت حياة الغربة تترك فيهم طابعها . ولهذا كان يُسر دائماً من الاتصال بالعمال الذين يفدون الى الخارج لمدة وجيزة . كان ايليتش راضياً بنوع خاص عن عمله مع العمال في مدرسة كابري ، ومع طلاب المدرسة الحزبيـــة في لندن . كان من المفترض ان يصل العمال النواب الى بورونين (في غاليسيا قرب كراكوف) عام ١٩١٣ . كان غوركي في كابري وكانت تتهيأ له فرص اندر للاتصال بالعمال . وكان ايليتش يتصور جيداً ما يعانيـــه غوركي بسبب ذلك ، فأخذ يدعوه الى بورونين : « تعال الى هنا لمدة قليلة اذا كانت صحتك تسمح لك بذلك! تستطيع ان ترى العمال ايضاً بعد لندن ومدرسة كابري » .

لا زلت احتفظ برسالة من ايليتش كتبها في تموز عام ١٩١٩ . . كنت انتقل وقتها على باخرة اعدت للتحريض هي « كراسنايا زفيزدا » ، وقد بعثت الى ايليتش بانطباعاتي الأولى عن الرحلة ، فخطر له ان من المفيد ان يبعث بغوركي الينا فكتب يقول : « ارسلت برقية اسأل فيها عن امكانية حجز حجرة لغوركي في « كراسنايا زفيزدا » . سيصل الى هنـــا غداً وبودي ان انتزعه من بطرسبرغ حيث توترت اعصابه كثيراً . آمل ان تسري انت والرفاق بالسفر مع غوركي، انه انسان لطيف تماماً » .

قليلا ما رايت ايليتش وغوركي معاً .

لم اكن في مؤتمر لندن ولم اسافر الى كابري . وعندما كان يأتي الينا غوركي في باريس وموسكو وغوركي ، كنت احاول ان اتغيب لأتركهما وحيدين يتحدثان حديث القلب للقلب . .

صحيفة « كومسومولسكايا برافدا »
٢٥ ايلول عام ١٩٣٢ العدد ٢٢٢

م. غوركي

من مقال

« ف. لينـــين »

... لم أكن أتوقع ان لينين هكذا . شيء ما كنت أفتقده فيه . ألثغ ، مكتنز الجسم ، يقف وقد أخفى يديه في مكان ما تحت إبطه . كله ، بوجه عام ، بساطة متناهية ، لا يشعر المرء بشيء من « القائد » فيه . إني أديب . وتقتضي مهنتي أن أسجل الأشياء الصغيرة . وقد اصبح هذا الواجب عادة تثير فيّ السأم أحياناً .

عندما « قادوني » الى غ. ف. بليخانوف ، كان يقف شابكاً يديه على صدره ينظر بصرامة وملل كما ينظر معلم أرهقته واجباته الى تلميذ جديد آخر . قال لي جملة عادية جداً : « إني من المعجبين بموهبتك » . ولم يقل لي شيئاً آخر أمكن لذاكرتي ان تحفظه . ولم نشعر ، لا أنا ولا هو ، طوال انعقاد المؤتمر ، برغبة في ان نتحدث معاً « حديث القلب للقلب » .

وهذا الانسان الأصلع ، الألثغ ، المكتنز ، العفيّ ، أخذ يحدثني مباشرة عن النواقص في كتابي « الام » ، وهو يمسح بيد جبينه السقراطي ، ويمدّ الاخرى بسرعة نحوي ، وعيناه النابضتان حياة غريبة تلمعان برقة . وتبين لي أنه قرأها مخطوطاً اخذه من ن. ب. لاديبخيكوف . فقلت إني أسرعت في كتابتها إلا اني

لم أوضح سبب اسراعي . وهز لينين رأسه بالموافقة وأوضح هو نفسه السبب : إنه لأمر حسن جداً أنك أسرعت ، فالكتاب ضروري، إذ ان كثيراً من العمال شاركوا في الحركة الثورية مشاركة لا واعية ، عفوية ، وسيقرؤون الآن « الام » ويفيدون منها فائدة كبيرة .

« كتاب جاء في وقته تماماً » . كان هذا إطراءه الوحيد ، لكنه إطراء له قيمته القصوى بالنسبة لي . ثم استوضح مني بشكل عملي تماماً عما إذا كانت « الام » تترجم الى اللغات الاجنبية ، وعن مقدار ما افسدت الرقابة الروسية والاميركية من الكتاب. ولما عرف أنه تقرر إحالة المؤلف على المحاكمة، انقبض وجهه في البدء قليلاً ، ثم رفع رأسه وأغمض عينيه وانطلق في ضحكة غير عادية ؛ وأثارت ضحكته انتباه العمال فاقترب منا فوما اورالسكي ، على ما يبدو ، وثلاثة آخرون على ما أظن ..

* * *

... وتهيأت لنا في لندن أمسية كنافيها أحراراً، فذهبنا مجموعة صغيرة الى ميوزيك ـ هول ، وهو مسرح ديمقراطي صغير . كان فلاديمير ايليتش يضحك عن طيب خاطر وبشكل مُعدٍ ، وهو ينظر الى المهرجين والبهاليل ، بينما كان ينظر لا مبالياً الى ما عدا ذلك . كما كان ينظر باهتمام خاص الى عمال من كولومبيا البريطانية وهم يقطعون الأخشاب . كان المشهد الصغير يمثل معسكراً في غابة ، وفي المقدمة كان شابان معافان شديدان جالسين على الأرض ، يقطعان في دقيقة جذع شجرة حجمها يقارب المتر . قال لينين :

ـ بالطبع هذا من أجل الجمهور . أما في الواقع فلا يستطيعان ان يقوما بهذا العمل بمثل هذه السرعة . ومن الواضح أنهما يستخدمان هناك ايضاً فؤوسهم ، لأنهم يحيلون هذه الكتلة من الخشب الى قطع صغيرة لا فائدة منها . اليكم هؤلاء الانكليز المثقفين !

ثم أردف يتحدث عن فوضى الانتاج في ظل النظام الرأسمالي، وعن النسبة الهائلة من المواد الخام التي تذهب هدراً ، وأنهى كلامه مبدياً أسفه لأن أحداً لم يفطن حتى الآن الى تأليف كتاب في هذا الموضوع . كان شيء ما في هذه الفكرة غير واضح لي ، لكن لم يتح لي الوقت لسؤاله ، إذ كان قد بدأ حديثاً ممتعاً عن « البهلوانية » بوصفها شكلاً خاصاً بالفن المسرحي .

ـ هناك موقف ساخر او متشكك فيما هو متعارف عليه ، هناك ميل الى قلبه على قفاه ، وتشويهه قليلاً ، وإظهار ما في الأشياء العادية من لا منطقية شيء مبتكر ومعقد ، لكنه شيق !

وبعد عامين تقريباً قال لـ أ. أ. بوغدانوف مالينوفسكي وهو يتحدث اليه في كابري عن الرواية الخيالية :

ـ لو أنك تكتب للعمال رواية يكون موضوعها كيف نهبت وحوش الرأسمالية الأرض بعد أن امتصت كل ما فيها من نفط وحديد وأخشاب وفحم ، لكان كتاباً نافعاً جداً ، أيها السينيور الماخيّ !

* * *

وأتيت اليه ذات مرة ، فإذا بي أرى على الطاولة كتاباً . كان هذا كتاب « الحرب والسلام » .

ـ أجل ، تولستوي ! أحببت أن أقرأ مشهد الصيد ، لكني تذكرت أن عليّ أن ابعث رسالة الى احد الرفاق . ليس لدي أي وقت للقراءة . هذه الليلة فقط قرأت كتيبك عن تولستوي .

تمطّى في مقعده بلذة وهو يبتسم مغمضاً عينيه قليلاً ثم أردف يقول بسرعة خافضاً صوته :

ـ أي كتلة ضخمة ، آ ؟ يا له من انسان عظيم قوي ! هذا ، يا أبتاه ، فنان ... أتعلم ما المدهش ايضاً ؟ لم يوجد ، حتى هذا الأمير ، موجيك حقيقي في الأدب .

ثم تساءل وهو ينظر إلي بعينين نصف مغلقتين :

ـ ممن في أوربا نستطيع أن نقارنه به ؟

وردّ هو نفسه على تساؤله قائلاً :

ـ لا أحد .

ثم ضحك وهو يفرك يديه ضاحكاً .

كثيراً ما لمحت فيه سمة الاعتزاز بروسيا والروس والفن الروسي . وقد بدت لي هذه السمة احياناً غريبة عن لينين بشكل يدهش، لا بل بدت لي ساذجة، لكني تعلمت فيما بعد أن أرى فيها صدى حب للشعب العامل دفين ومفعم بالفرح.

وقد لاحظ مرة في كابري، وهو ينظر الى صيادي الأسماك يفكون شباكهم التي مزقها القرش وعقّد خيوطها ، « أن جماعتنا يعملون بخفة اكبر » .

وعندما أبديت له شكي في الأمر ، قال بلهجة لا تخلو من كدر :

ـ همْ ، همْ ، ألم تنس روسيا وأنت تعيش في هذا الكوز .

وأخبرني ف. أ. ديسنيتسكي ستروييف أنه كان يسافر مع لينين في سويسرا ، وكان يتفحص ، وهو في العربة ، كتاباً عن دوهرر .

وسأله الألمان ، جيرانه في المقصورة ، عن هذا الكتاب. وتبين بعد ذلك أنهم لم يسمعوا شيئاً عن فنانهم العظيم . وقد أثار هذا الحادث ما يشبه الانبهار في لينين ، وردّد مرتين بفخار على مسامع ديسنيتسكي :

ـ إنهم لا يعرفون جماعتهم ، أمّا نحن فنعرفهم .

وقال ذات مرّة وكان يستمع في احدى الامسيات في موسكو ، في شقة إ. ب. بيشكوفا ، إلى سوناتات بيتهوفن يعزفها اسحاق دوبروفين :

ـ لااعرف شيئاً أفضل من « الأباسيوناتا » ، وأنا مستعدّ أن اسمعها كل يوم . إنها موسيقى مدهشة خارقة . إني افكر دائماً بكبرياء قد تكون ساذجة : أي عجائب يستطيع الناس أن يجترحوا !

وأضاف بلهجة حزينة وهو يغمض عينيه قليلاً ويبتسم ابتسامة ساخرة .

ـ لكني لا استطيع أن استمع إلى الموسيقى كثيراً . إنهـا تؤثر على اعصابي . أود أن أقول غباوات لطيفة وأمرّ بيدي برفق على رؤوس الناس الذين يستطيعون أن يبدعوا جمالاً كهذا الجمال ، وهم يعيشون في جحيم قذر . اليوم لا يستطيع المرء أن يمسح بيده على رأس أحد منهم ، لأنهم يعضون يده . علينا الآن أن نضرب على الرؤوس ، ونضرب دون رحمة ، مع أننا ضد أي عنف من حيث المبدأ . هِمْ ... هِمْ . واجب صعب إلى درجة جهنمية !

كانت علاقته بي علاقة معلمّ صارم « وصديق طيب كثير العناية بي » .

قال لي مازحاً :

ـ انت انسان محيّر . تبدو في الأدب وكأنك واقعي ، أمّا في علاقتك بالناس فأنت رومنطيقي . الناس كلهم بالنسبة لك ضحايا التاريخ ؟ نحن نعرف التاريخ جيداً ونقول لضحاياه : اهدموا المذابح ، وحطموا المعابد ، ولتسقط الآلهة ؟ وأنت تريد أن تقنعني بأن على الحزب المكافح أن يهتم قبل كل شيء براحة المثقفين .

قد اكون مخطئاً . إنما كان يبدو لي أن فلاديمير ايليتش كان يشعر بلذّة في التحدث إليّ . فقد كان دائماً يعرض عليّ قائلاً :

ـ عندما تصل ، اتصل بي هاتفياً لنلتقي معاً .

وقال لي مرّة :

ـ التحدث إليك طريف دوماً ، فانطباعاتك أوسع واكثر تنوعاً .

كان يسأل كثيراً عن مزاج المثقفين ، كما كان يسأل باهتمام خاص عن العلماء ـ كنت اعمل آنذاك مع أ. ب. خالاتوف في « جمعية تحسين أحوال العلماء » ـ وكان يهتم أيضاً بالأدب البروليتاري :

ـ وماذا تتوقع منه ؟

كنت أقول له إني انتظر منه الكثير ، لكني اعتبر أن من الضرورة القصوى تنظيم معهد أدبي بأقسام خاصة بفقه اللغة واللغات الأجنبية، لغات الغرب والشرق ، وبالفولكلور وبتاريخ الأدب العالمي مع قسم خاص بالأدب الروسي.

وكان يرد علي وهو يقهقه مغمضاً عينيه قليلاً: ـ هِمْ . هِمْ . آمال عريضة تبهر العينين . أمّا انها عريضة ـ فليس عندي مانع. أمّا أنها تبهر العينين ـ فلسوف نحققها آ ؟ ليس عندنا الآن اساتذة في هذه الاختصاصات كلهـــا ... والأساتذة البرجوازيون يعرضون علينا التاريخ ، وأي تاريخ يعرضون .. كلاّ ، لانقوى على هذا الآن ... علينا أن ننتظر ثلاث ، خمس سنوات أخرى .

وكان يشكو :

ـ القراءة ، ليس عندي أي وقت للقراءة !

اكد لينين اكثر من مرّة وبقوة على الأهمية الدعائية لأشعار ديميان بيدني ، لكنه كان يقول :

ـ فظّ قليلاً . يمشي وراء القارىء ، وعليه أن يسير قليلاً أمامه .

كان موقفه من مايا كوفسكي يتسم بعدم الثقة وحتى بالحدّة :

- يصرخ ، ويخلق كلمات ملتوية . وكل ما عنده ليس ما نرغبه ، ليس ما نرغبه ، كما أنه غير مفهوم . كل شيء عنده مبعثر ، وتصعب قراءته. موهوب؟ لا بل ذو موهبة كبيرة ؟ هِمْ ، هِمْ . سنرى ! ألا ترى أنهم يكتبون الكثير الكثير من الأشعار هذه الأيام؟ في الصحف صفحات كاملة من الشعر. والدواوين تصدر كل يوم تقريباً .

وقلت له إن ميل الشباب إلى الأغنية طبيعي في أيام كهذه ، وأن كتابة اشعار عفوية هي ، في نظري ، أسهل من كتابة نثر جيد ، وان الشعر يتطلب وقتاً أقلّ ، ثم إن عندنا كثيراً من الأساتذة الجيدين في فنّ النظم .

ـ لا أصدق أن كتابة الشعر اسهل من كتابة النثر ! لا استطيع أن اتصور ذلك . لن استطيع أن اكتب بيتي شعر ولو سلخوا جلدي .

قال هذا وتجهّم وجهه ثم أضاف :

ـ علينا أن نقدم للجماهير كل ما عندنا وما عند أوربا من الأدب الثوري القديم .

م. غوركي

مؤلفات في ثلاثين جزءاً

ج ٧١ ص ، ٧ - ١٦ - ١٧

٣٨ - ٤٠ - ٤٤ - ٤٥

أ. شابوفالوف

في المنفى في سيبيريا

... مرت الأيام الثلاثة ، التي أمضاها لينين في تيسي ، في مناقشات حادة بين لينين من جهة و إ. ف بارامزين و ف. ف لينفنيك من جهة أخرى . كانت الشعبية في شخص بارامزين ترفض الاعتراف بهزيمتها النهائية وتحاول التشبث بالحياة. فقد هاجم بارامزين مسألة الفنّ والأدب، وهي مسألة لم تبحث فيها الماركسية إلاّ قليلاً ، ولم تستطع أن تترك فيها تأثيرها كما فعلت الشعبية ...

وبقدر ما اذكر ، عرض لينين فكرته القائلة إنه يصعب أن نتوقع من عامل مضطهد ، يعود من معمله منهكا حتى درجة التبلّد، أن يستطيع خلق ثقافة وفنّ خاصين به دون مساعدة المثقفين المنحدرين من وسط برجوازي ، وان أهم شيء في الموضوع هو نضال الطبقة العاملة ، وهو نضال قد بدأته وسيؤدي بها ، كما تبرهن على ذلك نظرية الماركسية الثورية ، إلى انتصار الاشتراكية انتصاراً تاماً . ليس الفن غاية ، بل وسيلة في هذا الصراع . الفنّ الشعبي لم ينقذ النظرية الشعبية ، عندما اصطدمت بالماركسية الثورية . وبقدر ما يتطور نضال الطبقة العاملة ، سيساعد الفنّ المنبثق من أوساط العمال انفسهم أو الفنّ الذى يخلقه مثقفون يأخذون بوجهة نظر البروليتاريا الثورية هؤلاء العمال ...

ذكريات عن لينين
ج ١ ص ، ١٨٠

كلارا زيتكين

من كتاب

« ذكريات عن لينين »

. . . ألفانا لينين ، نحن النساء الثلاث ، نتحدث في شؤون الفنّ والتعليم والتربية . وكنت في تلك اللحظة بالذات أعرب عن انبهاري بعمل البلاشفة الثقافي العملاق والوحيد في نوعه ، وبازدهار القوى الخلاقة الساعية الى شق طرق جديدة للفن والتربية في البلد . لكني لم أخف ، مع هذا ، انطباعي بأنه كثيراً ما يتأتى للمرء أن يلاحظ قدراً كبيراً من عدم الثقة ، ومن تلمّس غير واضح للطريق ، ومن الخطوات التجريبية ، وبأنه يوجد أحياناً ميل مصطنع إلى « الموضة » ، وتقليد للنماذج الغربية إلى جانب البحث المندفع عن مضمون جديد وأشكال جديدة وسبل جديدة في الحياة الثقافية . وعلى الفور تدخل لينين في الحديث بحماسة كبيرة قائلاً :

— إن استيقاظ القوى الجديدة وعملها على خلق فن وثقافة جديدين في روسيا السوفيتية أمر حسن ، حسن جداً . ووتيرة تطورها العاصف أمر مفهوم ونافع . علينا أن نعوّض مافاتنا على مدى قرون ، ونحن نريد هذا . إن هذا الاختيار الفوضوي والبحث المحموم عن شعارات جديدة ، شعارات تنادي اليوم « مبارك الآتي باسم الرب » بالنسبة لتيارات معينة في الفنّ وفي الفكر ، وتصرخ غدا « أصلبه ، أصلبه ! » — هذا كله أمر لا مفرّ منه .

ـ إن الثورة تحـــلّ وثاق القوى المقيدة حتى الآن كلها ، وتدفعها من الأعماق إلى سطح الحياة . إليكن واحداً من أمثلة كثيرة . فكرن في التأثير الذي مارسه البلاط بموضه ونزواته ، كما مارسه السادة الارستقراطيون والبرجوازيون بأذواقهم وأهوائهم الغريبة ، على رسمنا ونحتنا وفننا المعماري . ففي مجتمع يقوم على الملكية الخاصة ، ينتج الفنان البضائع من أجل السوق ، لأنه يحتاج إلى مشترين . لقد حررت ثورتنا الفنانين من ربقة هذه الظروف المبتذلة العادية ، وجعلت من الدولة السوفيتية حامياً لهم وطالباً لانتاجهم . إن لكل فنان ، وكل من يعتبر نفسه فنّاناً ، الحق في أن يبدع بحرية وفقاً لمثله الأعلى ودون أن يكون تابعاً لأي شيء .

ـ لكننا شيوعيون ، وهذا أمر مفهوم . وواجبنا أن لا نقف مكتوفي الأيدي ، ونترك الفوضى تضرب أطنابها حيث تريد ، بل أن نقود هذه العملية بشكل منهجي تماماً ، ونصوغ نتائجها . ونحن لازلنا بعيدين عن هذا ، بعيدين جداً . ويخيل إلي أنه يوجد عندنا أيضاً دكاترة من طراز كارلشتادت (*) . نحن « في ميدان الرسم هدامون » أكثر مما ينبغي . علينا أن نحافظ على ما هو جميل ، ونتخذه مثالاً وننطلق منه ، حتى ولو كان « قديماً » . لماذا يجب علينا أن نـدير ظهرنا لما هو جميل حقاً ، ونعرض عنه ، بوصفه نقطة انطلاق لتطور لاحق ، لسبب واحد فقط هو أنه « قديم » ؟ لماذا يجب علينا أن ننحني أمام الجديد ، كما لو كنا أمام إله ، ونستسلم له لمجرّد أنه « جديد » ؟ هذا أمر غير معقول ، غير معقول إطلاقاً ! في هذا قدر كبير من النفاق ومن الإجلال غير الواعي ، بالطبع ، للموضة الفنية السائدة في الغرب . إننا ثوريون جيدون ، لكننا نشعر ، لسبب ما ، أننا ملزمون بأن نثبت أننا ، نحن أيضاً ، على « مستوى الثقافة العصرية » . لابل لدي

« * » كارلشتادت « ١٤٨٠ ـ ١٥٤١ » رجل بارز من رجال الاصلاح ، كان ينادي بالقضاء على فن الرسم الديني كله . « هيئة التحرير » .

من الجرأة لأقول عن نفسي إني « همجي » . فأنا لا أستطيع أن أعتبر مؤلفات التعبيرية والمستقبلية والتكعيبية وما شاكلها من تيارات التجلّي الأسمى للعبقرية الفنية . إني لا أفهمها ولا أشعر بأي فرح بها .

ولم أستطع تمالك نفسي ، فاعترفت بأنه تنقصني أنا أيضاً ملكة الإدراك كي أفهم لماذا يجب أن تكون مثلثات الزوايا التعبير الفني عن الروح الملهمة بدلاً من الانف ،ولماذا يجب أن يحول النزوع الثوري إلى الفعالية القوية جسم الانسان ، الذي تترابط فيه الأعضاء في كل واحد معقد ، إلى كيس رخو عديم الشكل ، مركب على قضيبين ، لكل قضيب شعبتان ، ولكل شعبة خمس أسنان .

وانطلق لينين يقهقه من صميم قلبه .

ـ أجل ، يا عزيزتي كلارا ، ليس في اليد حيلة . كلانا عجوز .وحسبنا ، على أقل تقدير ، أن نبقى شباباً في الثورة ، ونكون في الصفوف الأولى منها .ليس لنا أن نلحق بالفن الجديد ، وسنظل نسير ببطء وراءه .

واستطرد لينين قائلاً :

ـ لكن المهم ليس رأينا في الفن ، كما ليس مهماً ما يعطيه الفن لبضع مئات ، أو حتى لبضعة آلاف من مجموع السكان الذين يعدون بالملايين . الفن للشعب . عليه أن يضرب بأعمق جذوره في أعمق أعماق الجماهير الكادحة الواسعة ، وأن يكون فناً يفهمه «*» الشعب ويحبه . عليه أن يوحد احساس هذه الجماهير وفكرها وإرادتها وأن يرقى بها . عليه أن يوقظ الفنانين ويطورهم . هل من واجبنا أن نقدم البسكويت الحلو الرقيق لأقلية ضئيلة ، بينما يعوز جماهير العمال والفلاحين الخبز الأسود ؟ غني عن البيان أني أفهم هذا لا بالمعنى الحرفي للكلمة فحسب ، بل

«١» حدث اختلاف في ترجمة هذه العبارة من الالمانية . بعضهم ترجمها « يفهمه الشعب » والبعض الآخر « يستطيع الشعب أن يفهمه » .« المترجم » .

بمعناها المجازي : أي ينبغي أن يكون العمال والفلاحون نصب أعيننا دائماً . ومن أجلهم يجب علينا أن نتعلم إدارة الاقتصاد والحساب ويصح هذا أيضاً على الفن والثقافة .

ـ ولكي يكون في وسع الفن أن يقترب من الشعب ، والشعب من الفن ، ينبغي لنا أن نرفع المستوى العام للتعليم والثقافة أولاً . فما هو الوضع عندنا الآن في هذا المجال ؟ إنك مشدوهة لهذا العمل الثقافي الضخم الذي أنجزناه منذ وصولنا إلى الحكم . بالطبع ، نستطيع أن نقول ، دون غرور ، إننا فعلنا في هذا المجال الشيء الكثير والكثير جداً . فنحن لم « نقطع رؤوساً » وحسب ، كما يتهمنا بهذا منشافة البلدان كلها وكاوتسكي الموجود في بلدكم ، بل أنرنا كذلك رؤوساً ؛ لقد أنرنا رؤوساً كثيرة . لكن هذه « الكثيرة » بالنسبة لما مضى فقط ، بالنسبة لحطايا الطبقات والزمر السائدة آنذاك . إن الظمأ إلى التعليم والثقافة الذي أثرناه وسعرناه في نفوس العمال والفلاحين عظيم لا حد له . ولقد سعرنا هذا الظمأ ، لا في بتروغراد وموسكو وفي المراكز الصناعية فقط ، بل وصل هذا الظمأ إلى أبعد من ذلك بكثير ، إلى القرى نفسها . هذا مع العلم أننا شعب فقير ، فقير تماماً . إننا نشنّ ، بالطبع ، حرباً عنيفة حقيقية على الأمية . فنحن ننظم المكتبات و « بيوت المطالعة » في المدن والقرى ، كبيرها وصغيرها ، وننظم مختلف أنواع الدورات التدريسية ، ونحيي حفلات مسرحية وغنائية وموسيقية جيدة ، ونرسل « المعارض المتجوّلة » « والقطارات التنويرية » إلى مختلف أنحاء البلد . لكني أعود فأقول : ما عسى هذا كله أن يعطي سكاناً يعدون بالملايين والملايين وتنقصهم المعارف الأولية والثقافة البدائية بالذات ؟ ففي الوقت الذي يذهب فيه عشرة آلاف شخص في موسكو اليوم ، مثلاً ، إلى المسرح ، ويذهب عشرة آلاف آخرون في الغد ليتمتعوا بمشاهدة مسرحية باهرة ويعجبوا بها ، يوجد ملايين من الناس يسعون إلى أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم بشكل

صحيح ، وكيف يحسبون ، يسعون إلى امتلاك ثقافة تعلمهم أن الأرض كروية، لامسطحة ، وأن العالم تحكمه قوانين الطبيعة ، وليس الجن والسحرة مع « الآب السماوي » .

ولاحظت قائلة : «أيها الرفيق لينين ، لا يجوز أن تشكو بمثل هذه المرارة من الامية . فهي قد سهلت عليكم قضية الثورة من ناحية معينة ، وحفظت ادمغة العمال والفلاحين من التلوث بالمفاهيم والنظرات البرجوازية ، ومن الحمود والذبول. ان دعايتكم وتحريضكم يلقيان البذار في أرض بكر . ومن الاسهل البذر والحصاد في تربة لا يتوجب عليكم فيها استئصال غابة بدائية كاملة مسبقاً » .

وأجاب لينين :

— أجل ، هذا صحيح ، ولكن في حدود معينة ، أو على الأصح بالنسبة لمرحلة معينة من نضالنا . لقد توافقت الامية مع النضال من أجل السلطة، مع ضرورة تحطيم جهاز الدولة القديم . ولكن ، أترانا نحطم من أجل التحطيم فقط ؟ إننا نحطم لنخلق شيئاً أفضل. الأمية تتعايش بشكل سيء، بل لا تتعايش مطلقاً، مع مهمة اعادة البناء . إذ ينبغي أن تصبح هذه القضية ، كما قال ماركس، قضية العمال انفسهم ، وأضيف من جهتي أنها قضية الفلاحين أيضاً ، إذا كانوا يريدون نيل حريتهم . إن نظامنا السوفييتي يسهل هذه المهمة ، وبفضله يتعلم في الوقت الحاضر آلاف الكادحين من أبناء الشعب ، في مختلف السوفييتات والهيئات السوفييتية ، العمل على القيام بمهمة إعادة البناء ، « وإنهم لرجال ونساء ، في تفتح قواهم » كما يقال عندكم عادة . لقد ترعرعت غالبيتهم في ظل النظام القديم ، ولم يحصلوا بالتالي على العلم ، ولم يتصلوا بالثقافة ، لكنهم يسعون الآن باندفاع إلى المعرفة . إننا نضع نصب اعيننا بكل إصرار هدفاً ، هو اجتذاب فئات جديدة وجديدة من الرجال والنساء إلى العمل السوفييتي ، واعطاؤهم قدراً معيناً من التعليم

العملي والنظري . لكننا لا نستطيع ، على الرغم من هذا كله ، أن نلبي كامل حاجتنا إلى القوى القائدة المبدعة . نحن مضطرون الى اشراك بيروقراطيين من الطراز القديم ، وكانت النتيجـــة أن تشكلت عندنا البيروقراطية . إنني اكره البيروقراطية من صميم قلبي، دون أن أقصد هنا بالطبع بيروقراطياً واحداً معيناً . فقد يكون هذا البيروقراطي انساناً مجتهداً . لكني اكره النظام البيروقراطي ، فهو ينشر الشلل والفساد في القاعدة والقمة على حد سواء . أما العامل الحاسم في التغلب على البيروقراطية واستئصالها فهو تعليم الشعب وتربيته على أوسع نطاق .

ـ ما هي تطلعاتنا إلى المستقبل ؟ لقد اقمنا مؤسسات رائعة ، وطبقنا إجراءات جيدة بالفعل ، غايتها افساح المجال أمام الشبيبة البروليتارية لتحصيل العلم ودراسة الثقافة واستيعابها . لكن السؤال المعذب نفسه يثور هنا أيضاً أمامنا: وما قيمة هذا بالنسبة لهذا العدد الكبير من السكان كالذي في بلدنا ؟ والأسوأ من ذلك أن عدد رياض الأطفال والمياتم والمدارس الابتدائية أبعد ما يكون عن الكفاية. «فملايين الأطفال ينشأون ، كآبائهم واجدادهم ، اميين، غير مثقفين . كم من المواهب تهلك من جراء ذلك ، وكم من طموح إلى النور يتحطم ! هذه جريمة بشعة من وجهة نظر سعادة الجيل الناشىء تساوي جريمة تبديد ثروة الدولة السوفيتية التي يجب أن تتحول إلى مجتمع شيوعي . وهنا يكمن خطر رهيب .

كان صوت لينين الهادىء جداً بطبعه ينم عن غضب مكبوت .

وفكرت : « لشد ما تمس قلبه هذه المسألة ، ما دام يلقي أمامنا نحن الثلاث خطاباً تحريضياً » . وشرعت واحدة منا ـ ولا أذكر من كانت بالضبط ـ تتحدث عن بعض الظواهر التي تلفت النظر بشكل خاص في الفن والثقافة مفسرة نشوءها « بظروف الفترة الراهنة » . فاعترض لينين قائلا :

ـ اعرف هذا جيداً ! كثيرون هم المقتنعون عن إخلاص بإمكانية تذليل

صعوبات الفترة الحالية ومخاطرها « بالخبز والعاب السيرك(*) » أما بالخبز فطبعاً! أما بالعاب السيرك ـ فلتكن ! ـ أنا لا أعارض . إنما عليهم الا ينسوا في هذه الحال أن التمثيليات ليست هي الفن الحقيقي الكبير ، بل انها بالأحرى تسلية جميلة إلى هذا الحد أو ذاك . وعلينا ألا ننسى في هذه الحالة أن عمالنا وفلاحينا لا يشبهون حثالة البروليتاريا في روما في شيء . فهم لا يعيشون على حساب الدولة ، بل هم يقومون بأود دولتهم بكدحهم وتعبهم . لقد « صنعوا » الثورة ، ودافعوا عن قضيتها باذلين سيولاً من دمائهم ، ومقدمين تضحيات لا حصر لها . والحقيقة أن عمالنا وفلاحينا يستحقون شيئاً ما اكبر من العاب السيرك . لقد أصبح لهم الحق في فن حقيقي كبير . ولهذا نطرح في المقام الأول قضية التعليم الشعبي والتربية الشعبية على أوسع نطاق ، فهما اللذان يمهدان التربة للثقافة ـ بشرط أن تكون مشكلة الخبز قد حلت طبعاً . وفي هذه التربة يجب أن ينمو فن جديد فعلاً، فن شيوعي عظيم يخلق له شكلاً يتناسب ومضمونه . وأمام « مثقفينا » في هذه الطريق قضايا نبيلة ذات اهمية هائلة ، عليهم أن يجدوا لها حلا . فإذا فهموا هذه القضايا وقاموا بحلها يكونوا قد أدوا واجبهم نحو الثورة البروليتارية التي شرعت أمامهم ابواباً تتقدم من تلك الظروف الحياتية الوضيعة التي وصفها « البيان الشيوعي » بمنتهى المهارة ، وتنطلق بهم إلى آفاق رحبة طليقة .

تطرقنا في تلك الليلة ـ وقد سهرنا إلى ساعة متأخرة ـ إلى مواضيع أخرى . لكن انطباعاتي عنها تخبو بالمقارنة مع الملاحظات التي أبداها لينين حول قضايا الفن والثقافة والتعليم والتربية . . .

(*) Panemetcircenses (شيء من الخبز والعاب السيرك) كلمة احتقار وجهها الشاعر اللاتيني جوفينال إلى الرومانيين في فترة الانحطاط الذين لم يكونوا يطالبون إلا بالخبز والعاب السيرك . « المترجم ».

لينين والجماهير

. . . كان لينين ، الذي فهم الجماهير بروح ماركس ، يعلق اهمية عظيمة ، بالطبع ، على تطورها الثقافي الشامل ، إذ يعتبر هذا التطور اعظم مكتسبات الثورة وضمانة اكيدة لتحقيق الشيوعية .

قال لي ذات مرة : « لقد فتح اوكتوبر الأحمر الطريق رحبة أمام ثورة ثقافية ذات أبعاد عظيمة جداً ، تتحقق على اساس الثورة الاقتصادية التي بدأت ، وبالتفاعل المستمر معها . تصوري ملايين الرجال والنساء من قوميات وعروق مختلفة وعلى درجات متفاوتة من الثقافة ، وقد اندفعت الآن جميعاً إلى الأمام ، نحو حياة جديدة . إنها لمهمة عظيمة تلك المهمة التي تواجه السلطة السوفيتية ، إذ عليها أن تسدد في سنوات او في عشرات السنين ديناً ثقافياً تراكم خلال قرون وقرون . إن اعداداً كبيرة من منظمات العلماء والفنانين والمعلمين واتحاداتهم تعمل في سبيل التقدم الثقافي ، بالإضافة إلى الهيئات والمؤسسات السوفيتية . كما تقوم نقاباتنا في المؤسسات ، وتعاونياتنا في الريف ، بعمل ثقافي ضخم جداً . إن فعالية حزبنا حية وتنتشر في كل مكان . اشياء كثيرة جداً تتحقق ، ونجاحاتنا عظيمة بالنسبة كما كان ، لكنها تبدو صغـــيرة بالقياس إلى ما يجب عمله . إن ثورتنا الثقافية لا زالت في بدايتها الأولى .

وتطرق لينين صدفة الى مناقشة حول اخراج رائـع لأحد البـاليهات في البلشوي تياتر فقال مبتسماً :

ـ اجل ، الباليه ، المسرح ، الابرا ، معارض الرسم والنحت الحديث

والأحدث هذا كله بالنسبة لكثيرين في الخارج برهان على اننا ،نحن البلاشفة ، لسنا على الاطلاق برابرة فظيعين كما كانوا يظنون هناك . انا لا انكر هـــذه المظاهر وما يماثلها من مظاهر الثقافة الاجتماعية ، ولا انجسها حقها . لكني اعترف ان بناء مدرستين ابتدائيتين او ثلاث في قرى نائيـة امر احب الى قلبي من اروع المعروضات في اي معرض . ان رفع المستوى الثقافي العـــام للجماهير يخلق تلك التربة السليمة القوية التي تنمو فيها قوى جبارة لا تنضب لتطوير الفن والعـــلم والتقنية . ان الطموح الى خلق الثقافة ونشرها قوي الى درجة غير عادية عندنا . ولا بد لنا أن نعترف أنه تجري عندنا اختبارات كثيرة ، نجد، الى جانب الأشياء الجادة فيها ، كثيراً مما هو صبياني ، غير ناضج ، يبـدد القوى والأموال . لكن الحياة المبدعة تتطلب ، على ما يبدو ، التبديد في المجتمع كما تتطلبه في الطبيعة . لقد توفر لنا اليوم اهم شيء بالنسبة للثورة الثقافية ، منـــذ ان ظفرت البروليتاريا بالسلطة ، هو يقظة الجماهير وسعيها الى الثقافة. ان اناساً جدداً خلقهم النظام الاجتماعي الجديد ، ويخلقون هم انفسهم هذا النظام ، ينمون الآن عندنا ...

ذكريات عن لينين ج ٢ موسكو ١٩٥٧
ص ٤٥٥ – ٤٥٨ ، ٤٩٨ – ٤٩٩

اناتولي لوناتشارسكي

لينين والفن

لم يكن لدى لينين في حياته من الوقت ما يسمح له بالاهتمام جدياً بالفن ، وكان يعترف دوماً أنه جاهل في هذه الأمور. ولأن الهواية السطحية كانت دائماً غريبة عنه ، وبغيضة إلى نفسه ، لم يكن يحب الإدلاء برأي في الفن . ومع هذا كان له ذوق محدد جداً في الفن ، فهو يحب الكلاسيكيين الروس ويحب الواقعية في الأدب والرسم الخ . .

ففي عام ١٩٠٥ ، اثناء الثورة الأولى ، أمضى ليلة في شقة الرفيق د. إ. ليشنكو حيث كانت توجد مجموعة كاملة من منشورات كناكفوس كرّسها لكبار فنّاني العالم .

وقال لي فلاديمير ايليتش في صباح اليوم التالي : « ياله من مجال أخّاذ تاريخ الفن هذا ! وكم فيه من متسع لعمل الشيوعي . البارحة لم أستطع أن أغفو حتى الصباح وأنا اقلب كتاباً إثر آخر . وكم اسفت لأنه ليس عندي ، ولن يكون عندي ، وقت لأهتم بالفنّ » . وقد استقرت كلمات ايليتش في ذاكرتي بوضوح خارق .

وتهيأ لي أن ألقاه مراراً بعد الثورة في لجان التحكيم الفنية المختلفة. اذكر مثلاً أنه دعاني مرّة وذهبنا مع كامينيف إلى معرض تصاميم للتماثيل . كانت الغاية

استبدال تمثال الكسندر الثالث الذي انزل عن قاعدته الفخمة قرب كنيسة المسيح المخلص . تأمل فلاديمير ايليتش التماثيل المعروضة كلها بعين ناقدة ، لكن أحداً منها لم يعجبه . ووقف أمام تمثال على الطريقة المستقبلية يتأمله بدهشة خاصة . وعندما سئل عن رأيه فيه ،قال : «أنا لا أفهم في هذا الأمر شيئاً . سلوا لونانشارسكي». وعندما قلت إني لا أرى تمثالاً واحداً لائقاً ، سرّ كثيراً وقال لي : « وأنا الذي كنت أظن أنك ستنصب فزّاعة مستقبلية » .

ومرة أخرى كان الأمر يتعلق بتمثال كارل ماركس . كان النحات الشهير م. (س د. ميركوروف) قد أظهر دأباً خاصاً . فقد وضع مشروعاً كبيراً لتمثال : « كارل ماركس واقفاً على أربعة فيلة » وبدت هذه الفكرة غير المتوقعة غريبة علينا جميعاً ، بما في ذلك فلاديمير ايليتش . وأخذ الفنان يعيد صنع تمثاله . قام بذلك ثلاث مرات تقريباً مصراً على النجاح في المسابقة مهما كلف الأمر . ولما رفضت هيئة التحكيم المشكلة برئاستي مشروعه ،ووافقت على المشروع الجماعي الذي أعدته مجموعة من الفنانين بإشراف اليوشن ، أسرع النحات م. إلى مكتب لينين يتظلم . اهتم فلاديمير ايليتش بشكواه واتصل بي بالهاتف خصيصاً يطلب دعوة لجنة تحكيمية جديدة ، وقال إنه سيذهب شخصياً ليرى مشروعي اليوشن والنحات م . وبعد زيارته كان راضياً رضى تاماً عن مشروع اليوشن ، بينما رفض مشروع النحات م .

وفي العام نفسه (عام ١٩٢٠) نصب فريق اليوشين في عيد أول أيار نموذجاً مصغراً لتمثال كارل ماركس في المكان المقرر لنصب التمثال . حضر فلاديمير ايليتش خصيصاً إلى هناك ، ودار حول التمثال عدة مرات وسأل عن حجمه المقترح . وأخيراً حبذ المشروع ، إلا انه قال : « قل للفنان بوجه خاص ، يا أنا تولي فاسيليفيش ، أن يأتي الرأس مشابهاً لرأس كارل ماركس ، حتى يتوفر

انطباع كالانطباع الذي تحدثه صور ماركس الجيدة . لكأن الشبه هنا قليل » .

في عام ١٩١٨ دعاني فلاديمير ايليتش وقال لي إنه يجب دفع الفن إلى الأمام بوصفه وسيلة تحريض . ووضع مشروعين بهذا الخصوص يقضي أولهما ، كما يرى ، بتزيين الأبنية والجدران الخ . . أي الأماكن التي تلصق عليها الاعلانات بكتابات ثورية كبيرة ، عرض على الفور بعضاً منها .

وقد تلقف الرفيق بريخنتشيف ، عندما كان مديراً لجمعية التعليم الشعبي في غوميل ، المشروع كما هو . فقد وجدت غوميل مرقشاً كله بمثل هذه الكتابات غير السيئة بمعناها . حتى المرايا ، التي كانت في المطاعم الكبيرة التي تحولت إلى مؤسسات تعليمية ، كان الرفيق بريخنتشيف قد ملأها حكماً .

لكن هذا لم ينتشر في موسكو ولا في بتروغراد ، ليس بهذا الشكل المبالغ فيه فحسب ، بل حتى بالشكل الذي اقترحه لينين .

وكان المشروع الثاني يتعلق بإقامة تماثيل من الجص للثوريين العظام على نطاق واسع جداً ، تكون مؤقتة في بطرسبرغ وموسكو ، وقد استجابت المدينتان بحرارة لاقتراحي القائل بتحقيق فكرة لينين . كان من المفروض أن يزاح الستار عن كل تمثال في احتفال مهيب وبخطاب عن الثوري صاحب التمثال ، وأن تنقش على قاعدة التمثال كتابات توضيحية . وكان لينين يدعو هذا « دعاية بالنصب » .

نجحت هذه «الدعاية» إلى حدّ ما في بتروغراد . وكان تمثال راديشيف ، وهو من صنع شيرفودا ، أول تمثال من نوعه ، وقد نصبت نسخة عنه في موسكو ، لكن التمثال في بتروغراد تحطم ، مع الأسف ، ولم يجدد . وبصورة عامة لم تعمّر طويلاً معظم التماثيل الجيدة في بتروغراد بسبب هشاشة المادة المصنوعة منها . وإني لأذكر ، مع هذا ، تماثيل غير سيئة بتاتاً ، كالتماثيل النصفية لغاريبالدي وشيفتشنكو

ودوبرالوبوف وغرتسن وآخرين . وكانت التماثيل ذات الصبغة اليسارية أسوأ : فعندما أزيح الستار مثلاً عن رأس بيروفسكايا المصبوب بأسلوب تكعيبي، «جفل» بعض الحاضرين فعلاً،وطالبت ز. ليلينا بكل حدة بإزالة التمثال فوراً . وهكذا تماماً كانت الحال بالنسبة لتمثال تشرنيشفسكي الذي بدا لكثيرين بالغ التزويق. وكان تمثال لاسال أفضل هذه التماثيل كلها «*» . ولا زال هذا التمثال المنصوب قرب دوما المدينة السابقة قائماً حتى الآن(**) . ويبدو أنه صبّ من البرونز . كما نجح نجاحـــاً كبيراً تمثال ماركس بملء قامته ، ولقد تحطم التمثال لسوء الحظ واستبدل الآن في المكان نفسه، أي قرب سمولني ، برأس لكارل ماركس صب من البرونز العادي . وهو من النوع العادي جداً ، ويفتقر إلى أصالة ماتفييف في التجسيم .

أما التماثيل التي نصبت في موسكو ، حيث كان بمقدور لينين ان يراها ، فكانت غير ناجحة . فماركس وانغلز صورا في حوض سباحة ، وقد أطلق عليها اسم « السباحان الملتحيان » . وفاق الفنان ك «***» الجميع في إبداعه ، إذ ظل الناس والجياد المارون في شارع مياسنيتسكايا فترة طويلة ينظرون بخوف وجزع الى شخص مسعور ستر بألواح على سبيل الاحتياط . ولم يكن ذلك الشخص إلا باكونين كما رآه الفنان المحترم . وقد حطم الفوضويون التمثال بعد رفع الستار عنه مباشرة ، إذا لم أكن مخطئاً ، لأنهم لم يريدوا ، مع كل تقديرهم ، ان يحتملوا « سخرية » كهذه توجه لقائدهم .

«*» تمثال لاسال من صنع زاليت . لوناتشارسكي (ملاحظة خاطئة . التمثال من صنع سنايسكي) .

« ** » كتبت هذه الذكريات عام ١٩٢٤.

« *** » كورولیف .

كانت التماثيل المرضية قليلة جدا في موسكو بوجه عام ، وكان أفضلهـــا تمثال الشاعر نيكيتين . ولا ادري ما إذا كان فلاديمير ايليتش قد تأملها كلها، لكنه قال لي على أية حـال ، وهو غير راض ، إن هـذه الدعاية بالنصب لم تؤت أي نتيجة . ورددت عليـه مشيراً الى تجربة بتروغراد وشهادة زينوفييف ، لكنـه هز رأسه في شك وقال : « هل اجتمع الموهوبون كلهم في بتروغراد وغير الموهوبين في موسكو ؟ ». ولم استطع أن افسر له هذه الظاهرة الغريبة .

كان له من لوحة كونينكوف التذكارية موقف فيـه بعض التشكك ، إذ بدت له غير مقنعة بالمرة ، وكان كونينكوف نفسه يسمى عمله هذا في شيء من الظرافة « اللوحة ذات الواقع المزيف » . واذكر ان الفنان آلتمان اهدى فلاديمير ايليتش نحتاً ناتئاً يصور خالتورين . وأعجب لينين اعجاباً كبيراً بهذا النقش ، لكنه سألني ألا يكون هذا العمل مستقبلياً؟ كان لينين يقف من المستقبلية موقفا سلبياً بوجه عام . إني لم أحضر حديثه في المشاغل الفنية العليـا (فخوتيماس) حيث زار مرة قريبـة شابة له تعيش في بيت الطلبة العائد لهذا المعهد ، على ما اذكر . وقد نقل إليّ فيما بعد الحديث المستفيض الذي جرى بينه وبين طلبة المعهد « اليساريين » بالطبـع . فقد مازحهم فلاديمير ايليتش قليلا للتخلص من اسئلتهم وسخر منهم قليلا ، لكنـــه اعلن أنه لا يعتزم التحدث جدياً في هذه المسائل ، لأنه يشعر بأنه غير كفء بما فيه الكفاية لهذا . أمـــا الشباب انفسهم فقد وجدهم أناساً طيبين جداً وسرّ من روحهم الشيوعية .

نادراً ما تيسر لفلاديمير ايليتش في الفترة الأخيرة من حياته أن يتمتـع بالفن . فقد زار المسرح عـدة مرات (المسرح الفني فقط على ما يبدو ، وكان لينين يقدره تقديراً رفيعاً جداً) . وكانت تمثيليات هذا المسرح تترك فيه على الدوام انطباعاً ممتازاً .

كان لينين يحب الموسيقى حباً قوياً ، لكنها كانت تكدره . وفي فترة من الفترات كانت تقام في شقتي حفلات موسيقية جيدة : كان شالابين يغني، ومايتشيك ورومانوفسكي ورباعي ستراديفاروس وكوسيفتسكي يعزفون على الكونترو باص الخ . دعوت فلاديمير ايليتش عـــدة مرات ، إلا أنه كان مشغولاً على الدوام . وذات مرة قال لي بصراحـة : « شيء سـار بالطبـع هو سماع الموسيقى . لكن تصور ! إنها تكدرني ، وانا اتحملها بصعوبة » . واذكر ان الرفيـق تسوروبا ، وقد نجح مرتين تقريباً في اجتذاب فلاديمير ايليتش إلى حفلة موسيقية بيتية أقامهـا عازف البيانو رومانوفسكي نفسه ، قال لي ايضـــاً إن فلاديمير ايليتش كان يتمتع بالموسيقى كثيراً ، لكنه كان منفعلا على ما يبدو .

واضيف إلى ذلك ان موقفه من مسرح البلشوي كان موقفاً عصبياً إلى حد كبير . وكنت قد أشرت مراراً عـديدة إلى ان مسرح البلشوي يكلفنا أقل من غيره نسبياً . لكن الاعتمادات المخصصة لهـــذا المسرح تقلصت باصرار من لينين لاعتبارين صرح بأحدهما فوراً بقوله : « إنه لأمر محرج ان نمدّ هذا المسرح الفخم بهذه الاموال الكثيرة ، في وقت ليس لدينا فيه من المال ما يكفي لسد حاجات ابسط المدارس في القرية » . وقد عرض السبب الثاني في أحد الاجتماعات ، وكنت اناقشه معترضاً على هجومه على مسرح البلشوي، ومشيراً في الوقت نفسه إلى اهميته الثقافية التي لا يرقى اليها الشك . عندئذ اغمض فلاديمير ايليتش عينيه قليلا في خبث وقال : « ومع هذا، فهذا المسرح قطعة من الثقافة الاقطاعية الخالصة، ولا يستطيـع أحد ان يناقش في هذا » .

لا يجب ان يفهم من هذا ان فلاديمير ايليتش كان عدواً لثقافة الماضي بوجه عام . إلا ان لهجة الأوبرا البلاطية الفخمة كانت تبدو له اقطاعيـة بنوع خاص . أما فن الماضي بوجه عام ، والواقعية الروسية بوجه خاص (بما في ذلك واقعيـــة الجوالين) ، فقد كان لينين يقدرهما تقديراً رفيعاً .

هـذه هي الوقائع الـتي استطيـع ان أوردها من ذكرياتي عن ايليتش . واكرر القول إن فلاديمير ايليتش لم يجعل ابداً من أذواقه الجمالية ، تعاطفاً كانت أو نفوراً ، احكاماً يجب العمل بهديها .

يذكر الرفاق المهتمون بالفن رسالة اللجنة المركزية في قضايا الفن ،وهي الرسالة الموجهة بشكل حاد ضد المستقبلية. لست على معرفة وثيقة بالأمر، لكني اعتقد ان فلاديمير ايليتش نفسه شارك فيها مشاركة كبيرة . فقدكان يعتبرني آنذاك ، وهو مخطىء في ذلك كل الخطأ ، نصيراً للمستقبلية أو ، على الأقل، انساناًمتساهلا معها تساهلا كبيراً . ولهذا ، على الأرجح ، لم يستشرني قبـل صدور رسالة اللجنة المركزية التي كان عليها ، في رأيه ، ان تقوّم نهجي .

كما اختلف فلاديمير ايليتش معي اختـلافاً حاداً بشأن جماعـــة الثقافـة البروليتارية ، لا بل وبخـني بعنف ذات مرة . وأقول في بادىء الأمر إن لينين لم ينكر ابداً اهميـــة حلقات العمال الهادفة الى تخريج كتاب وفنانين من وسط بروليتاري ، وكان يعتقد ان اتحادهم لعموم روسيا أمر مناسب لهذه الغاية . لكنه كان يخشى كثيراً من انجرار هذه الجماعة الى الاهتمام بإنشاء علم بروليتاري، أو على العموم بإنشاء ثقافة بروليتارية بكل ابعادها . وكان هـذا يبدو له أمراً في غـير أوانه ، ومهمة لا يقوون عليها . هذا اولا، وثانياً ، كان يعتقد ان البروليتاريا ، بمثل هذه الاختلاقات الفجة ، ستبتعد عن الدراسة وعن تفهم عناصر العلم والثقافـة الجاهزين . وكان لينين يخشى ، ثالثاً ، وعلى ما يبدو ، من ان تبني هرطقة سياسية ما عشاً لها في قلب جماعة الثقافة البروليتارية . وعلى سبيل المثـال ، كان فلاديمير ايليتش يقف موقفاً غير ودي إلى حـد كبير من الدور الكبير الذي كان يلعبـه أ . أ . بوغدانوف آنذاك في قلب هذه الجماعة .

وقد عهد الي فلاديمير ايليتش ان اذهب الى مؤتمر جماعة الثقافةالبروليتارية

الذي عقد عام ١٩٢٠ على ما اظن ، وان اقول لهم بكل وضوح ان على جماعة الثقافة البروليتارية أن تكون تحت قيـــادة مفوضية الشعب للتعليم ، وأن تعتبر نفسها واحدة من مؤسساتها الخ .. وباختصار، كان لينين يريد ان يربط جماعة الثقافة البروليتارية بالدولة ، وكان ، في الوقت نفسه ، يتخذ اجراءات لربطها بالحزب أيضاً . وكان الخطاب الذي القيته في المؤتمر غامضاً وذا لهجة مسالمة الى حد ما ، اذ بدالي أن مهاجمة العمال المجتمعين وتكديرهم ليس بالأمر الصحيح. وقد نقل خطابي الى لينين بصياغة اكثر ليناً مما هي في الحقيقة ، فاستدعاني اليه وراح يعنفني . وقد أعيد تنظيم الجماعة فيما بعد حسب ارشادات لينين . وأعيد القول ان فلاديمير ايليتش لم يفكر قط في حل الجماعة ، بل كان ، على العكس من ذلك ، يعطف على مهماتها الفنية الخالصة .

أما التشكيلات الفنيـة والأدبية التي نشأت في عهد الثورة فلم ينتبه لينين الى معظمها ، اذ لم يكن لديه وقت للاهتمام بها . وأقول ، مع ذلك ، ان قصيدة مايا كوفسكي « مائة وخمسون مليون » لم تعجب ايليتش أكيداً ، فقد اعتبرها غاية في التصنع والفذلكة (*) .

ولا يسعنا الا ان نأسف لأن لينين لم يستطع ان يبدي رأيه في انعطافات الأدب اللاحقة والأكثر نضوجاً نحو الثورة .

ونعرف جميعاً ما كان يبديه فلاديمير ايليتش من اهتمام كبير بالسينما .

أ. ف. لوناتشارسكي
مؤلفات كاملة في ثمانية أجزاء . ١٩٦٧
ج ٧ ص ٤٠١ - ٤٠٦

(*) وبالمقابل ، اضحكت قصيدة صغيرة لمايا كوفسكي لنفسه عن البيروقراطية لينين كثيراً حتى انه كان يردد بعض ابياتها . .

ف. بونتش - برويفتش

لينين

في الكتب والكتاب

...ساند لينين غوركي عندما هاجم هذا الصحافة البرجوازية، التي بدأت حملة رجعية واسعة بمناسبة رواية دوستويفسكي « الأبالسة » التي كان من المنوي اخراجها مسرحياً . فقد أدان لينين دون رحمة الاتجاهـــات الرجعية في تراث دوستويفسكي . ومن المعروف ان لينين وجه نقداً حاداً الى رواية فينيتشنكو « وصايا الآباء » المشبعة نزعة انحطاطية وافتراء في رسالته الى اينيسا أرمند . وقد أشار في هذه الرسالة ايضاً الى ان « . . . التقليد السيء جداً لدوستويفسكي السيء جداً » هو عيب هذه الرواية. ومع هذا ، قال لي اكثر من مرة ان دوستويفسكي كاتب عبقري حقاً ، تأمل الجوانب المرضية في مجتمعه ، وان مؤلفاته تنطوي على الكثير من التناقضات والانعطافات ، لكنها تتضمن في الوقت نفسه لوحات حية مأخوذة من الواقع .

وكان يردد، على الرغم من موقفه السلبي جداً من « الأبالسة » ، ان على المرء ان لاينسى أن للحوادث التي يعكسها الكتاب صلة لا بنشاط س نيتشايف وحسب ، بل بنشاط باكونين ايضاً ، وان ماركس وانغلز كانا يخوضان في هذا الوقت بالذات ــ أي وقت كتابة « الأبالسة » ــ نضالاً عنيفاً ضد باكونين ،

وان مهمة النقاد ان يفرقوا بين ما في الرواية لنيتشاييف، وبين ما فيها لباكونين.

ويمكن القول بوجه عام ان فلاديمير ايليتش كان يقدر موهبة دوستويفسكي. فعندما تطرق الحديث ذات مرة الى هذا الكاتب قال ايليتش :

- لا تنسوا انه حكم على دوستويفسكي بالاعدام ، وانه تحمل تمثيلية تخفيض الحكم البربرية ، الى ان اعلن نيقولا الاول « عفوه » وارسله يمضي سنوات في الاشغال الشاقة .

واشار لينين الى ان « مذكرات من بيت الموتى » كتاب لا يجارى في الأدبين الروسي والعالمي ، لا لأنه يصور حياة النفي مع الأشغال الشاقة وحسب، بل لأنه يُصور أيضاً « بيت الموتى » ، البيت الذي عاش فيه الشعب الروسي في ظل القياصرة من آل رومانوف ...

« الصحيفة الادبية »
٢١ نيسان عام ١٩٥٥

* * *

ملاحظات

١ – نظم العمال والطلاب مظاهرة في ١٨/١٢/١٨٧٦ احتجاجاً على تعسف الحكم المطلق . القى بليخانوف خطاباً ثورياً في المتظاهرين . قضى البوليس على المظاهرة والقي القبض على المشاركين فيها ، وحكم على بعضهم بالنفي ، وبعضهم بالأشغال الشاقة .

٢ – يذكر لينين هنا كلمات دوبرالوبوف في مقالته «متى سيطل اليوم الحقيقي»!

٣ – يورد لينين مقتطفاً من « نذير العاصفة » لغوركي .

٤ – هي عضوة الحزب البلشفي منذ عام ١٩٠٤ وممثلة مسرحية . كانت زوج غوركي .

٥ – قام غوركي من تشرين الاول حتى كانون الاول عام ١٩٠٧ بجولة في ايطاليا (فلورنسا وروما) . وتعرف غوركي على لوناتشارسكي في فلورنسا .

٦ – يقصد لينين الجزء الاول من مؤلفاته الذي صدر عام ١٩٠٧ بعنوان « خلال اثني عشر عاماً » .

٧ – يقصد إ. ف. دوبروفنسكي .

٨ – كتب غوركي ملاحظات حول البرجوازية الصغيرة وأصدرها في « نوفايا جيزن » (الحياة الجديدة) في تشرين اول ـ تشرين ثاني عام ١٩٠٥ . نوفايا جيزن صحيفة بلشفية شرعية .

٩ – قصة « اعترافات » التي لم يكن لينين قد اطلع عليها بعد ، كما يبدو من مراسلاته .

١٠ - يدور الحديث حول سفر لينين وبوغدانوف وبازاروف الى كابري بمبادرة من غوركي لمناقشة المسائل المتعلقة بالنشر وببعض المسائل النظرية الأخرى . شارك في « المؤتمر » لوناتشارسكي .

١١ - يقصد مقالة غوركي « تحطيم الشخصية » .

١٢ - المقصود هو كتاب لينين « خطوة الى الأمام ، خطوتان الى الوراء » .

١٣ - المقصود هو كتاب بوغدانوف « التجربة الأحادية » .

١٤ - مجموعات مقالات كتبها لوناتشارسكي وبوغدانوف وشوتليا كوف وغيرهم وصدرت عام ١٩٠٤ في بطرسبرغ . لم تنشر في المجموعة مقالتا لينين وبليخانوف .

١٥ - اينوكنتي - الاسم الحزبي لدوبروفنسكي .

١٦ - المقصود هو المجلةالتي كان غوركي ينوي اصدارها. لكن اصدارها لم يتم.

١٧ - المقصود هو كتاب « المادية والتجربية الانتقادية » .

١٨ - هو ن. إي. فيلونوف ، عامل بلشفي وثوري ممتهن .

١٩ - يقصد المدرسة التي أنشأها بوغدانوف وألكسينسكي ولونا تشارسكي عام ١٩٠٩ في جزيرة كابري (ايطاليا) بمساعدة غوركي . رفض لينين القاء محاضرات في هذه المدرسة التي أصبحت مركزاً للأوتزوفين وبناة الله وغيرهم .

٢٠ - (المعاصر) - مجلة شهرية سياسية أدبية صدرت في بطرسبرغ بين عامي ١٩١١ و ١٩١٥ . التف حول المجلة المناشفة التصفويون والاشتراكيون الثوريون والاشتراكيون الشعبيون والليبراليون اليساريون . رأس سوخانوف تحريرها منذ عام ١٩١٣ . وصف لينين المجلة عام ١٩١٤ بأنها « مزيج من الشعبية والماركسية » .

٢١ – يقصد مقالة بليخانوف « كارل ماركس وليف تولستوي » .

٢٢ – « بوتشين » صحيفة ذات اتجاه شعبي تصفوي اصدرها الاشتراكيون الثوريون في باريس عام ١٩١٢ .

– « الفكر الثوري » لسان حال الاشتراكيين الثوريين ، صدرت في في باريس من نيسان عالم ١٩٠٨ حتى كانون اول عام ١٩٠٩ .

– « روسيا الثورية » صحيفة غير شرعية اصدرها اتحاد الاشتراكيين الثوريين في روسيا عام ١٩٠٠ . ثم صدرت في جنيف من أوائل عام ١٩٠٢ حتى آخر عام ١٩٠٥ بوصفها لسان حال الثوريين الاشتراكيين.

– أخبار منظمة المغتربين المحلية – لسان حال الاشتراكيين الثوريين من عام ١٩٠٨ حتى ١٩١١ .

٢٣ – يقصد رواية روبشين « الجواد الشاحب » التي نشرت في « الفكر الثوري » .

٢٤ – هم أصحاب صحيفة « بيزاغلافيا » (بدون عنوان) . كان هؤلاء من الكاديت اليساريين و كانوا يعارضون قيام البروليتاريا بانتهاج خط سياسي مستقل .

٢٥ – (مطالب الحياة) مجلة اسبوعية صدرت في بطرسبرغ من عام ١٩٠٩ حتى عام ١٩١٢ . كان الكاديت والاشتراكيون الشعبيون والمناشفة التصفويّون يسهمون فيها ، كما نشر فيها غوركي معظم مقالاته التي تحمل عنوان « من بعيد » . .

في الأول من ايلول عام ١٩١٢ رفض غوركي الاسهام في المجلة مبررا رفضه بقوله : إن لا حزبية هذه المجلة تصبح رويداً رويداً حزبية من نوع خاص، حزبية دون برنامج ، وهذا أسوأ أنواع الحزبية .

٢٦ – يقصد دار النشر « باروس » (الشراع) التي بعث إليها لينين مخطوط كتابه « الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية » .

٢٧ – (الأسفار) مجلة شهرية علمية وأدبية وسياسية أسسها غوركي في بطرسبرغ وصدرت في عام ١٩١٥ حتى عام ١٩١٧ . إنشئت إلى جانب المجلة دار نشر هي (« الباروس ») .

٢٨ – أعد التمرد في قلعة كراسنايا غوركا المعادون للثورة والجواسيس بهدف إضعاف التحصينات القائمة في المنطقة، ليسهل على المعادين للثورة احتلال بتروغراد . سحق التمرد في ليلة ١٥ / ١٦ حزيران عام ١٩١٧ .

٢٩ – يدور الكلام على مقال غوركي « فلاديمير ايليتش لينين » . وهذا المقال على الرغم من أنه مفعم بروح المحبة الصادقة للينين ولعمله ، إلا انه كتب من مواقع عبادة الشخصية، وتضمن عدداً من الأفكار السياسية الضارة. كما قيم غوركي دور لينين والشعب الروسي والثورة الروسية تقييماً ذاتياً ، ذا طابع مثالي في حقيقة الأمر ، متناسياً دور الحزب القيادي والدور الحاسم الذي اضطلعت به الطبقة العاملة الثورية وطبقة الفلاحين الكادحين ..

٣٠ – نظر المكتب السياسي في اقتراح لينين وقرر « ادراج الرفيق غوركي في عداد الرفاق الذين يعالجون خارج البلاد »، وعهد إلى الرفيق كريستنسكي بالتأكد من تزويد غوركي بكمية كافية من المال ..

٣١ – كتب لينين مؤلفه « الدولة والثورة » في آب – ايلول سنة ١٩١٧ عندما كان مختبئاً (في رزليف وغيلسينغفورس) .

٣٢ – انظر « نقد برنامج غوتا » لماركس .

٣٣ – ٣٤ – ٣٥ – ٣٦ – المصدر نفسه .

٣٧ – شخصية من مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » . مراب ، كان يطالب بليبرة من لحم مدينه ايفاءً لما يترتب على هذا الأخير من دين .

٣٨ – الحياة الجديدة صحيفة يومية صدرت في بطرسبرغ في ١ / ٥ / ١٩١٧ حتى تموز عام ١٩١٨ . كان المبادرون إلى اصدار هـذه الصحيفة هم المناشفة الأمميون والكتاب الملتفون حول « ليتوبيس » .

أشار لينين إلى أن نفسية اصحاب الصحيفة تتسم « بريبية المثقفين التي تعبّر عن لا مبدئية » . استقبل اصحاب الصحيفة مولد ثورة أوكتوبر بعداء .

٣٩ – المقصود هو مؤامرة الاستيلاء على حامية كراسنايا غوركا التي أشرنا إليها سابقاً .

٤٠ – هـي المعركة التي جرت في ٣ / ٧ / ٢٨٦٦ في سادوفا في تشيخيا (تشيكوسلوفاكيا حالياً) وانتهت بانتصار البروسيين نهائياً .

٤١ – كتب لينين مقاله هذا بمناسبة صدور الجزأين الثالث والرابع من كتاب المنشفي البارز سوخانوف « مذكرات حول ثورتنا » .

٤٢ – جماعة الثقافة البروليتارية (بروليتكولت) واسمها الكامل هو اتحاد المنظمات الثقافية والتعليمية البروليتارية . نشأ هذا الاتحاد على أساس من سعي العمال إلى الثقافة ، وأخذ شكله النهائي قبل ثورة أوكتوبر بوصفه منظمة مستقلة عن الحكومة المؤقتة . كان على رأس المنظمة اصحاب « فبيربود » القدامى وانصار فلسفة بوغدانوف. وقد عزل قادة هذا الاتحاد نشاطه عن نشاط السلطة السوفيتية والحزب والاتحادات النقابية باعتباره « شكلاً جديداً من اشكال الحركة العمالية » ، وبثوا من خلال صحفهم

نظرية بوغدانوف عن « العلم التنظيمي » ، وخطته الهادفة إلى انشاء ثقافة بروليتارية خالصة. وقد أدى هذا الاتجاه المعادي للماركسية ، موضوعياً، إلى معارضة جماعة الثقافة البروليتارية بالحزب والدولة السوفيتية . كان عام ١٩١٩ عام ازدهار جماعة الثقافة البروليتارية، لكن مالبثت الاتجاهات الانشقاقية والماخية أن ظهرت فيه بوضوح وتعرّضت لنقد من قبل الحزب . في أوائل العقد الثالث لم يستطع رجال الثقافة البروليتارية أن يعيدوا تنظيم انفسهم في ظلّ السياسة الاقتصادية الجديدة ، كما قلصت الدولة المخصصات المالية الممنوحة لهم ، فأخذوا في الانهيار فتوقفت صحيفتاهما « الثقافة البروليتارية » (موسكو) « والمستقبل » (بطرسبرغ) عن الصدور منذ عام ١٩٢١ على الرغم من أن الاتحاد بقي حتى عام ١٩٣٢.

٤٣ – عقد هذا المؤتمر في موسكو من ٦ إلى ١٩ أيار عام ١٩١٩ . اتخذ المؤتمر عدة قرارات منها : قرار بمحو الأمية ، وآخر يتعلق بتوحيد عمل جماعة الثقافة البروليتارية مع عمل مديرية التعليم غير المدرسي .

٤٤ – لم يكن لوناتشارسكي نصيراً لنظريات جماعة الثقافة البروليتاريا وبرامجها ، بل كان ضد موقفها العدمي من التراث الثقافي القديم ، وكان يبحث في الوقت نفسه عن أسس لتوزيع المهام بين الجماعة وبين مفوضية الشعب للتعليم . وقد تحدث لوناتشارسكي في المؤتمر بهذه الروح .

٤٥ – لينين هو الذي كتب مشروع القرار .

٤٦ – لينين هو الذي كتب مسودة القرار هذه في اجتماع المكتب السياسي الذي انعقد في ٩ / ١٠ / ١٩٢٠ لمناقشة مشروع القرار المعد للمؤتمر الأول لجماعة الثقافة البروليتارية .

٤٧ – البرنامج « نحن تعاونيون »وثيقة غفل من التوقيع تعبر عن آراء فئة قليلة من المثقفين صدرت قبيل انعقاد المؤتمر الثاني لجماعة الثقافة البروليتارية في موسكو خلال تشرين الثاني عام ١٩٢١ . أدان واضعو البرنامج سياسة الحزب الشيوعية والحكومة السوفيتية بصراحة ، وشككوا في الطابع الاشتراكي لثورة اوكتوبر . كما جهر اصحاب البرنامج بنظريات ماخية وبوغدانوفية . وفي ميدان السياسة اعلنوا تضامنهم مع « المعارضة العمالية » . ادانت المجموعة الشيوعية في اتحاد الثقافة البروليتارية البيان إدانة قاطعة . يقصد لينين بالسماريين بعضاً من اعضاء الحزب في قيادة منطقة سامارا الذين أيدوا البرنامج وكانوا قريبين من « المعارضة العمالية » .

٤٨ – نشرت مقالة بليتنيف ، الذي أصبح رئيساً لجماعة الثقافة البروليتارية منذ كانون الأول عام ١٩٢٠ ، « في البرافدا » في السابع والعشرين من ايلول عام ١٩٢٢ .

٤٩ – يقصد النقاش الذي دار بسبب مقالة بليتنيف .

٥٠ – كتب لينين مشروع القرار بمناسبة مناقشة هـذا الموضوع في اللجنة المركزية ومجلس مفوضية الشعب في ١٧ تشرين الثاني عام ١٩١٧ .

٥١ – يدور الحديث هنا عن مقالة مياسنيكوف «مسائل حية » ، وعن مذكرته الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وعن خطبه التي القاها في فرعي الحزب في بطرسبرغ وبيرم . وكان مياسنيكوف قد شكل مجموعة مناوئة للحزب .

٥٢ – يبدو ان تبادل هذه المذكرات الصغيرة قد تم في ٦ أيار عام ١٩٢١ ، اثناء احد الاجتماعات على ما يبدو .ولا تزال نسخة من القصيدة موجودة

في مكتب لينين في الكرملين. وقد كتب مياكوفسكي عليها كلمات الاهداء التالية : « الى الرفيق فلاديمير ايليتش، مع تحيتي الشيوعية المستقبلية . فلاديمير مياكوفسكي » .

٥٣ – يقصد قصيدة مياكوفسكي « الذين يأتمرون طويلا » .

٥٤ – يبدو أن ملاحظات لينين على كتاب شوتليا كوف تعود ، على الأرجح، إلى الفترة التي كان لينين يؤلف فيها كتابه «المادية والتجربية الانتقادية»، أي إلى شباط – حزيران عام ١٩٠٨ .

★ ★ ★

الفهرس

الموضوع	الصفحة
في ا. م. غوركي	٣
– من مقال « بدء المظاهرات »	٥
– من رسالة الى م. أ. أوليانوفا	٧
– من رسالة الى أ. أ. بوغدانوف	٨
– من مقال « قبل العاصفة »	٩
– من رسالة الى أ. م. غوركي	١٠
– الى أ. م. غوركي	١١
– من رسالة الى لوناتشارسكي	١٢
– من رسالة الى غوركي	١٣
– من رسالة الى غوركي	١٤
– من رسالة الى لوناتشارسكي	١٨
– من رسالة الى غوركي	٢٠
– الى أ. م. غوركي	٢٣
– الى أ. م. غوركي	٢٩
– الى أ. م. غوركي	٣٠
– الى أ. م. غوركي	٣٤
– الى أ. م. غوركي	٣٦
– أراجيف الصحافة البرجوازية حول طرد غوركي	٣٨
– من مؤلف « ملاحظات كاتب »	٣٩
– من رسالة الى غوركي	٤٤

الموضوع	الصفحة
– الى أ. م. غوركي	٤٦
– من رسالة الى غوركي	٤٩
– الى أ. م. غوركي	٥٠
– من رسالة الى غوركي	٥٢
– من رسالة الى هيئة تحرير صحيفة البرافدا	٥٣
– الى أ. م. غوركي	٥٤
– الى مؤلف « أغنيـة الصقر »	٥٥
– من رسالة الى بوكروفـكي	٥٧
– من رسالة الى شليابنيكوف	٥٨
– رسائل من بعيد (من الرسالة الرابعة)	٥٩
– من رسالة الى ن. ك. كروبسـكايا	٦١
– الى أ. م. غوركي	٦٢
– الى أ. م. غوركي	٦٧
– مشروع قرار مقدم للمكتب السياسي للجنة المركزية	٧٠
– الى ف. م. مولوتوف	٧١
من مؤلفاته في العهـد السوفيتي	**٧٣**
– مقتطفات من الفصل الخامس من مؤلف « الدولة والثورة »	٧٥
– من مقال « كيف ننظم المباراة ؟ »	٨٨
– من تقرير حول إعادة النظر في برنامج الحزب . .	٩٣
– من مؤلفه « نجاحات السلطة السوفيتية ومصاعبها »	٩٥
– المبادرة العظيمة (عن بطولة العمال في المؤخرة بمناسبة السبوت الشيوعية)	١٠٢
– في ثورتنـا « بصدد مذكرات سوخانوف »	١١٤
في الثقافة البروليتارية وجماعة الثقافة البروليتارية	**١١٩**
– رسالة موجهة الى رئاسة مؤتمر المنظمات الثقافية والتعليمية البروليتارية	١١٩

الموضوع	الصفحة

كلمة تحية في المؤتمر الاول المكرس لمسائل التعليم غير المدرسي لعموم روسيا ١٢٠

- من خطابه « خداع الشعب بشعاري الحرية والمساواة » ١٢٥

- من خطاب في الاجتماع الثالث لعموم روسيا الذي عقده رؤساء الأقسام غير المدرسية التابعة لمصالح التعليم الشعبي في المحافظات في ٢٥ شباط ١٩٢٠ ١٢٨

- مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « المادية والتجريبية الانتقادية » ١٣٣

- مهام اتحادات الشباب ١٣٤

- في الثقافة البروليتارية ١٥٤

- مسودة قرار حول الثقافة البروليتارية ١٥٦

- إلى ن . إ . بوخارين ١٥٧

- مشروع قرار لعرضه على الاجتماع الموسع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) حول الثقافة البروليتارية ١٥٧

- إلى اللجنة المركزية للحزب الشوعي الروسي (البلشفي) ١٥٨

- إلى ف . م مولوتوف ١٥٩

- إلى اعضاء المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي « البلشفي » ١٥٩

- ملاحظات حول مقال بليتنيف « في الجبهة الايديولوجية » ١٦١

- إلى إ . ن . بوخارين ١٧٩

- أوراق من دفتر مذكرات ١٨٠

مسائل متفرقة : ١٨٧

في الصحافة ١٨٩

- من مشروع قرار يتعلق بحرية الصحافة ١٨٩

- حول طابع صحفنا ١٩٠

- إلى غ . إ . مياسنيكوف ١٩٤

الموضوع	الصفحة
في الكتّاب	**٢٠١**
– مذكرات حول قصيدة ف . مياكوفسكي « ١٥٠٠٠٠٠٠٠ »	٢٠١
عن الوضع الدولي والداخلي للجمهورية السوفيتية	٢٠٣
– أوجين بوتييه « في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاته »	٢٠٥
في اللغة	**٢٠٨**
من مقال « ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية » (الليبراليون والديمقراطيون في مسألة اللغات)	٢٠٨
– من مقال « هل نحتاج إلى لغة رسمية الزامية واحدة ؟ »	٢١٢
ملحق	**٢١٥**
– ملاحظات على كتاب شولياتيكوف ، تبرير الرأسمالية في الفلسفة الأوروبية الغربية « من ديكارت حتى أرنست ماخ »	٢١٧
ذكريات عن لينين	**٢٤١**
– أ . إي . أوليانوفا اليزاروفا « من ذكريات عن ايليتش »	٢٤٣
– ن . ك . كروبسكايا ، من كتاب « ذكريات عن لينين »	٢٤٤
– ماذا كان يعجب ايليتش من الأدب ؟	٢٤٥
– من مقال « لينين وتشرنيشفسكي »	٢٥٣
– من مقال « لينين وغوركي »	٢٥٤
– مكسيم غوركي : من مقال « ف . إ . لينين »	٢٥٧
– أ . شابوفالوف « في المنفى في سيبيريا »	٢٦٤
– كلارا زيتكين ، من كتاب « ذكريات عن لينين »	٢٦٥
– لينين والجماهير	٢٧٢
– أناتولي لوناشارسكي : لينين والفن	٢٧٤
– ف . بونتش ــ برويفتش : لينين في الكتب والكتاب	٢٨٢
– ملاحظات	٢٨٤

١٩٧٣ / ٢ / ٢٠٠٠

نضع بين أيدي القراء الوثائق الكاملة لمفهوم لينين حول مسائل الأدب والفن وعلم الجمال، ولآرائه حول الأدباء والشعراء في روسيا وخارجها، ممن قرأ لهم وأبدى ملاحظات حول نتاجهم.

ان كتاب «لينين في الأدب والفن»، المترجم عن اللغة الروسية مباشرة، يرتدي أهمية خاصة بالنسبة لمجموع أعماله وكذلك بالنسبة للقارىء العربي، لأنه ينشر للمرة الأولى في اللغة العربية.

وقد ضم الكتاب كل ما قاله او كتبه لينين، وكل مادونه على شكل ملاحظات أو هوامش في مؤلفاته ورسائله حول المسائل الأدبية والفنية.

سعر النسخة
٣٥٠ ق.س.ل

طبع في لبنان

مطبعة وزارة الثقافة
دمشق ١٩٧٢